درة الأسرار وتحفة الأبرار

في

أقوال وأفعال وأحوال ومقامات
ونسب وكرامات وأذكار ودعوات
سيدي
أبو الحسن الشاذلي

جمع

الشيخ الحميري المعروف بابن الصباغ

قدم له

ابراهيم الرفاعي

الناشر
دار آل الرفاعي
حجازه قبلي - قوص قنا

إهـــــــداء2005

أ/إبراهيم منصور غنيم

القاهرة

درة الأسرار وتحفة الأبرار

في

أقوال وأفعال وأحوال ومقامات
ونسب وكرامات وأذكار ودعوات

سيدى

أبو الحسن الشاذلى

جمع

الشيخ الحميرى المعروف بابن الصباغ

قدم له

ابراهيم الرفاعى

الناشر
دار آل الرفاعي
جهازه قبلى - قوص قنا

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى أوجد فى الكون أولياءه ، وتكفل جل وعلا بحفظهم والدفاع عنهم ، فمن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل قال : من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أفضل من آداء ما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فلئن سألنى عبدى أعطيته ، ولئن استعاذنى لأعذته »[1] .

وعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يروى عن ربه عز وجل قال : من آذى لى وليا فقد استحل محاربتى »[2] . والصلاة والسلام على

---

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم .

(٢) حلية الأولياء لأبى نعيم .

الرحمة المهداه الذى من تمسك به هداه ، ومن أخذ من هديه كفاه ، محراب التلقى الآخذ من رب العزة ، القائل صلى الله عليه وسلم : « إن يسير الرياء شرك وإن من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربه »[1] .

وبعد :

اعلم أخى وفقنى الله وإياك لفهم الأمور أن لأولياء الله عز وجل نعوتاً ظاهرة ، وأعلاماً شاهرة ، ينقاد لموالاتهم العقلاء والصالحون ، ويغبطهم لمنزلتهم الشهداء والنبيون ، وقد أخبر الحبيب الأعظم والرسول الأكرم النبى الخاتم عن ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله عز وجل ، فقال رجل من هم وما أعمالهم ؟ لعلنا نحبهم قال : قوم يتحابون بروح الله عز وجل من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها بينهم والله إن وجوههم لنور وأنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم .

الناس ثم قرأ « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »[١] .

ومن نعوتهم أنهم المورثون جلاسهم كامل الذكر والمفيدون خلانهم بشامل البر قال صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل إن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم »[٢] .

وعن سعيد رضي الله عنه قال : سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولياء الله ؟ قال : « الذين إذا رؤوا ذُكر الله عز وجل »[٣] .

وعن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بخياركم ؟ قالوا بلى : قال : الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل »[٤] .

ومنها : أنهم المسلمون من الفتن الموقون من المحن : قال صلى الله عليه وسلم : « إن لله عز وجل ضنائن من عباده يغذيهم

(١) حلية الأولياء .
(٢) حلية الأولياء .
(٣) حلية الأولياء .
(٤) حلية الأولياء .

فى رحمته ويحييهم فى عافيته إذا توفاهم إلى جنته أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها فى عافية »[١] .

ومنها : أنهم المضرورون فى الأطعمة واللباس المبرورة أقسامهم عند النازلة والبأس قال صلى الله عليه وسلم : « كم من ضعيف متضعف ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره منهم البراء ابن مالك »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رُب أشعث ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله عز وجل لأبّره »[٣] .

وقد قرأ ابن مسعود فى أذن مُبتلى فأفاق فقال له صلى الله عليه وسلم : « ما قرأت فى أذنه ؟ قال : أى ابن مسعود قرأت أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا » حتى ختم السورة فقال رسول الله صلى الله عليه : « لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال »[٤] .

وعن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لكل قرنٍ من أمتى سابقون »[٥] .

---

(١) حلية الأولياء .

(٢) حلية الأولياء .

(٣) حلية الأولياء .

(٤) حلية الأولياء .

(٥) حلية الأولياء :

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « خيار أمتى فى كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون كلما مات رجل أبدل الله عز وجل مكانه وأدخل من الأربعين مكانهم قالوا يارسول الله دُلنا على أعمالهم؟ قال: يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويتواسون فيما أتاهم الله عز وجل »[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: « إن لله عز وجل خواص يتسكنهم الرفيع من الجنان كانوا أعقل الناس قلنا يا رسول الله وكيف كانوا أعقل الناس »؟

قال كانت همتهم المسابقة إلى ربهم عز وجل والمسارعة إلى ما يرضيه وزهدوا فى فضول الدنيا ورياستها ونعيمها وهانت عليهم فصبروا قليلا واستراحوا طويلا »[2].

ورضى الله عن سيدى الإمام أحمد الرفاعى فقد قال: القوم بايعوا الله بصدق النيات وخالص الطويات على كثرة المجاهدات وملازمة المراقبات والطاعات والصبر على جميع

---

(١) حلية الأولياء.

(٢) حلية الأولياء.

المكروهات قال سبحانه وتعالى فيهم « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه »[١] . بادروا ركوب العزائم بالعزم وقوة الحزم فهجروا المنام وتركوا الشراب والطعام وقاموا لله بالخدمة فى حنادس الليل والظلام وخدموا بالخشوع والسهر والقيام والركوع والسجود والصيام وتملوا فى محاريبهم بين يدى محبوبهم لنيل مطلوبهم حتى وصلوا إلى مقام القرب ومحل الأنس وظهر لهم سر قوله تعالى : « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » فأعطاهم الدرجة العليا والمحل الأدنى ولا ريب فالقريب من القريب قريب والمحب عند أحباب الحبيب حبيب حبيب لهم حبيب لمحبيهم محبوب عند الله ترفعه بركة محبته إلى درجة المحبوبية ما شاء الله كان[٢] .

ثم قال فضيلته : عليكم بالتقرب من أولياء الله من وإلى ولي الله وإلى الله ومن عادى ولى الله عادى الله من أحب عدوك هل تحبه يا أخى ؟ لا والله . . الله أغير من الخلق يغار ويفعل وينتقم ويقهر من أحب محبك هل تبغضه ؟ لا والله . . الله أكرم من الخلق . يحسن ويجمل وينعم ويكرم وهو أكرم

---

(١) الأحزاب : ٢٣

(٢) البرهان المؤيد

الأكرمين وأرحم الراحمين . نعم الله تعالى تذكر . من قربته من العزيز فهو قريب . ومن أبعـــدته عنه فهو بعيد . أيها البعيد عنا ، المقوت منا . . ما كان هذا منك يا مسكين لو كان لنا فيك مقصد يشهد بحسن استمدادك وخالص حبك إلى الله وأهله اجتذبناك إلينا وحسبناك علينا شئت وإلا . لـكن الحق يقال حظك منعك وعـدم استمدادك قطعك لو حسبناك منا ما تباعدت عنا خذ منى يا أخى علم القلب خذ منى علم الذوق خذ منى علم الشوق . أين أنت منى يا أخا الحجاب واكشف لى قلبك[1] .

وقال مولانا السيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه : ألصقوا بأولياء الله : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون »[2] الولى من واد الله وآمن به واتقاه فلا تحادوا من واد الله . جاء فى بعض الـكتب الإلهية « من أذى لى وليا فقد آذنته بالحرب »[3] الله يغار لأوليائه . ينتقم ممن يؤذيهم . ويكرمهم بصون محبيهم . وعون من يلوذ

(١) البرهان المؤيد لسيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه .

(٢) يونس ٦٢ ، ٦٣

(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده وهو صحيح ، وفى البخارى عن أبى هريرة بلفظ : « من عاد لى وليا » .

فيهم . هم أخص المخاطبين بآية : (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة)[١] . عليكم بمحبتهم والتقرب إليهم تحصل لكم بهم البركة كونوا معهم : (أولئك حزب الله إلا أن حزب الله هم المفلحون)[٢] .

ولا يخفى على ذى عقل أن وجود الأولياء فى الكون ثابت بالنص القرآنى قال جل وعلا : (ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) فمن أنكر وجودهم أو عادهم استوجب عليه معادات الله كما أوضحنا فى الحديث القدسى .

والأولياء أخى فى الله نوع من الناس بايعوا الله بصدق النيات وخالص الطويات على كثرة المجاهدات : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا) وملازمة المراقبات والطاعات والصبر على جميع المكروهات قوم أحبوا الله وأبغضوا لله وأعطوا لله ومنعوا لله ، ذكروا الله كثيراً ليس عندهم غفلة ولا فضول ، قوم عظموا شأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) السجدة آية ٣١ .
(٢) المجادلة آية ٢٢

وعرفوا أنه صلى الله عليه وآله وسلم الدال على الله المخبر عن الله جل وعلا الآخذ من الله سبحانه وتعالى عرفوا أنه صلى الله عليه وآله وسلم بابهم إليه وسيلتهم إلى حضرته قوم طلبوا الله بمتابعة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)[١] وقال تعالى : (قل أطيعوا الله والرسول)[٢]، وقال سبحانه : (وأطيعوا الله والرسول)[٣] وقال جل وعلا : (الذين استجابوا لله والرسول)[٤] وقال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)[٥] وقال جل وعلا : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) .

فالأولياء قوم صفت أرواحهم وطهرت سرائرهم وغابت عنهم أنفسهم ورقوا إلى معارج الأنس والقرب وجلسوا على عرش المودة وعاشوا فى نعيم الذكر ولذة الطاعة وحلاوة الشوق والاشتياق .

الأولياء قوم صاروا فى معية الحق جل وعلا : (الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) .

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٢
(٢) سورة آل عمران آية ١٣٢
(٣) سورة آل عمران آية ١٧٢
(٤) سورة النساء آية ٥٩
(٥) سورة النساء آية ٨٠

ولا عجب أخى فى الله فقد اقتضت الحكمة العلية أن يتفاوت الخلق فى المراتب والمقامات قال تعالى : (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ، وقال سبحانه : (يختص برحمته من يشاء) .

الأولياء قوم تولاهم الله فصاروا أهلا لحضرته فغابوا عن خليقته لا يرون فى الوجود إلا الله جل فى علاه شهدوا الله فى كل شىء .

هؤلاء القوم (الأولياء) منحهم الله سبحانه المعارف والأسرار والعلوم والأنوار والكرامات والفتوحات والمواهب.

قال أحد أجدادى من آل الرفاعى : الأولياء قوم خافوا الله فأورثهم أسرار علومه وذلك نور يقذفه الله فى قلوبهم فمن علامات هؤلاء القوم أنهم إن أرادوا التحدث عن هذه المنح سبق نور شهودهم إلى القلوب المستمعة فتسرى فيهم على قدر استمدادهم وصدقهم[1] .

---

(١) هو الإمام العارف بالله صاحب المقام المعروف بجبانة رفاعة بقرية الكرنك أبو تشت قنا الشيخ على الخلوف الرفاعى بن الشيخ أحمد بن الش[illegible]يخ محمد الرفاعى النازح من المدينة المنورة سنة ٩٢٥ من الهجرة الملقب بأبو الأولياء وذلك من كثرة أبنائه وأحفاده أصحاب المقامات العالية الكائن ضريحه بدواقة بقرية العمرة أبو تشت قنا .

فبادر أخى بصحبتهم والاجتماع بهم والأخـــذ عنهم وملاحظتهم وملازمة الأدب معهم وداوم على خدمتهم .

واعلم أن عدم الأدب معهم يُسلب نور الإيمان من القلب.

واعلم أنهم رضى الله عنهم يسمعون بالله ويرون بالله كما أوضحت من قبل وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فى قوله : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) .

واعلم أخى أنهم هم العلماء بالله وأنهم ورثة الأنبياء وأنهم يعرفون الخلق ودرجاتهم بل وحركاتهم وسكناتهم وقد تحقق ذلك فى الصحابة عليهـم السلام وفى الصالحين من بعدهم .

ورد أن رجلا دخل على سيدنا عثمان رضى الله عنه فقال أمير المؤمنين له : أيدخل على أحدكم وفى عينيه أثر للزنا ؟

فقال الرجل متعجبا : أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

قال أمير المؤمنين عثمان عليه السـلام : لا ولـكنها فراسة المؤمن .

وقصة سيدنا عمر مع سيدنا سارية رضى الله عنهم فيها الخبر المنشود .

واعلم أخى المحب وقل لغيرك ممن يجهلون حقيقة الأولياء رضى الله عنهم حتى لا تكون لهم حجة علينا أن الأولياء لهم حرمة يجب أن تُراعا :

ما حرمة الأشياخ إلا حرمة الله
فالتزمها وأحذر معادات الله

هم الخبراء والآيات دلت
أن سألت يا أخانا عن الله

الوارثون هموا للأنبياء أجمعهم
بذا نصاً رواه أهل السند عن الله

مظاهر أسرار بواطنهم رموزها
أشارات آيات تدل على الله

منطوقهم أوصاف أحكام دقائق
حالها تسوق السائرين إلى الله

فكم أحيوا وكم وصلوا قلوبا
بآيات من مدد حضرة الله

كلامهم وأرشاداتهم رقائق
عبارتها تسلى بمعنى من الله

فانخ مطايا القصد فى عتباتهم
وابشر بنيل الفوز من الله

أما قرأت فى القرآن واصبر
نفسك مع الذين يُردون وجه الله
رسول الله مالى عن عترتك ميل
بهم نجاة المحبين سبحان الله
عليك صلاة الله فى كل وقت
الرفاعى بن خلف الله فيه ذكر الله
وآله وأرضى اللهم عن
أخوانى وشيخى الموصل إلى الله
وصحبه وسلم كلما تلى
تالى آيات من كتاب الله

واعلم أخى وبلغ غيرك أن كرامات الأولياء امتداد لمعجزات الأنبياء وأنكارها إنكار لفضل الله وذلك كفر لما فيه من تكذيب النص قال محب الدين محمد بن الشحنة فى منظومته التى شرحها السيد الشريف أحمد الحموى وسماها تعليق القلائد على شرح العقائد :

ونعتقد الكرامة من ولى .
كقصة خالد يوم الذراب

وقال الإمام اللقانى فى جوهرة التوحيد :

وأثبتن للأوليـاء الـكرامة
ومن نفاها فانبـــذن كلامه

يعنى أنه يجب عليك أيها المـكلف إن تعتقــــد حقيقة كرامات الأولياء بمعنى جوازها ووقوعها كما هو الحق عنـــد جمهور أهل السنة وهى أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوة النبوة ولا هو مقدمة لها يظهرها الله على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبى كلف بشريعة والـكرامة أخى فى الله أ كـبر شاهد للاولياء على اختصاص الله لهم :

أئتنا اذكرهم بخير أنهـــــــم
تبعوا الرسول بصحة الأقوال

أقامهـــــم الله للدلالة عليه
خبراء بالوراثة فافهموا الأقوال

أشار الله عليهم فى قرآنه
فتريثوا وتذوقوا سورة الأنفال

صحت ولايتهم بشاهد حالهم
ودعوتهم لصالح الأقوال والأفعال

هم بصر الله وسمعـــــه قاما
به لـكشف البـدع والضـلال

من عادهم يبـــتر حديث صحيح
رواه النبى عن ربه المتعال
هم الخـــبزاء والآيات دلت
أن سألت عن ذى الجلال
خادمكم ابن خلف الله إبراهيم آل
الرفاعى يرجوا بكم سادتى نيل الآمال
وعشيرتى وأخـــــوانى والمسلمين
وكل محـــب بصدق فيكم قال
وصـــــل ربى على المعصوم
وسيدنا والمهاجرين وأنصاره والآل

والكرامة نوعيين:

١ — كرامة واجبة مثل كرامة سيدنا عمر وهو فى المدينة المنورة فرأى سيدنا سارية على باب نهاوند ببلاد الفرس وقد كثرت جموع الاعداء وكاد المسلمون ينهزمون فقطع الخطبة وقال: ياسارية الجبل الجبل. وسمع سارية النداء وتم النصر المسلمين.

٢ — كرامة لتقوية المريدين: يظهرها الله على يدى الولى المأذون بالدعوة من الله ورسوله وذلك لتثبيتهم فى السير إلى الله.

وأكرر : فمن أنكر هذه الأشياء فقد كذب النص القرآنى وما أخبرنا به الحق عن العطاء الذى منحه لعباده وذلك مثلا فى قصة سيدنا سليمان وطلبه عليه السلام بالأتيان بعرش بلقيس وقد أجابه رجل مؤمن عنده علم من الكتاب فهذه كرامة سجلها القرآن الكريم لاينكرها إلا المعاندون أصحاب الأهواء والنفوس المريضة .

ولابد أخى فى الله من وجود تلك النوعية المخصوصة فى الأمة ليستقيم منهج الحياة ويتحقق بهم وعد الله سبحانه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[1] .

وصدق الله : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »[2] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « فى كل خلف من أمتى عدول من أهل بيتى ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .. ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فانظروا من توفدون »[3] .

---

(١) سورة الحجر آية ٩ . (٢) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

(٣) أخرجه الملا فى سيرته .

وبعد أخى المحب لأهل البيت النبوى فسيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه واحد من هؤلاء الأولياء الذين ورثهم الله القطبانية الكبرى وأمر جل وعلا ملكه جبريل بأن نادى فى خلق أنى أحب على أبو الحسن عبدى وسمع أهل الأرض النداء فأحبوه وأجمع الخاص والعام على قطبانيته وعظم قدره وأنه المشار عليه فى وقته ورضى الله عنه فقد قال :

ذاب رسمى وصح صدق فنائى
وتجلت للسر شمس ضيائى
وتنزلت فى العلوم أبدى
ما انطوى فى الصفات بعد صفائى
فصفاتى كالشمس تبدى سناها
ووجودى كالليل يخفى سوائى
أنا معنى الوجود أصلا وفصلا
من رآنى فساجد لبهائى
أنا نور لأهله مستبين
اشهدونى فقد كشفت غطائى

وإلى سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه انتهت إليه فى عصره رئاسة العلم والطريق وشهرته فى مصر والشام والحجاز واليمن والمغرب والهند والسند والروم والغرب تغنى

عن تعريفه ومناقب الإمام الشاذلى رضى الله عنـــه ومآثره أكثر من أن تحصر وقد ترجم له جمهرة من العلماء والأحباب ما يثلج قلب المحب ويغنى الباحث عن البحث فى أحـــوال وأقوال ذلك السيد من آل الحسن عليهم السلام ولـكنى إذ أقدم هذا الـكتاب المعروف بأسم درة الأسرار ونفحة الأبرار للامام الحميرى رضى الله عنه لا لشىء إلا أننى أحب سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنـــه حبا لا يوصف فأردت أن أشرف نفسى بمثل هذا العمل فروح سيدى أبو الحسن رضى الله عنه شديدة الحضور خاصة أن قرأت شىء من أذكاره أو أقواله وتحدثا بنعمة الله سبحانه وتعالى فقد كنت مهموماً يوماً ما من أمر أصابنى فرأيت فيما يرى النائم سيدى أبو الحسن رضى الله عنه يسلم على ويقول لى : يا إبراهيم إذا ضاقت بك الأمور نادنى وقل يا أبا الحسن وأعلم أن ما فيه أنت الآن قد عانينا منه وعانى منه الأجداد كذلك فاصبر والفرج أنشاء الله قريب .

ثانيا أعجابى الشديد بهذا الـكتاب والذى يعتبر المرجع الوحيد الذى رجع إليه كل من تحدث عن سيدى أبو الحسن الشاذلى لأن هذا الـكتاب يعتبر ترجمه حقيقية كاملة عن سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ولا ضير فقـد جمعت مادة هذا الـكتاب فى عهد سيدى أبو الحسن رضى الله عنه .

ولا أطيل أخوانى فى الله عليكم ونترك الكتاب يتحدث فهو خير مجيب لكل سائل عن الإمام أبو الحسن رضى الله عنـــــه .

اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا والسلامة والعافية فى ديننا ودنيانا وتقبل منا ياربنا أعمالانا واجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم ووفقنا المزيد وكن لنا صاحبا فى سفرنا وخليفة فى أهلنا واطمس على وجـــوه أعدائنا وامسخهم على مكانتهم فلا يستطيعون المضى ولا المجىء إلينا .

وصلى اللهم على المعصوم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ؟

أخـــوكم

إبراهيم بن خلف الله بن محمد
الرفاعى الصادق الحسينى
دار آل الرفاعى حجازه
قبلى قوص قنا

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما دائما أبدا .

يقول العبد الفقير إلى الله سبحانه محمد بن أبي القاسم الحِميرى - عرف بابن الصباغ - رحمه الله :

الحمد لله الذى لم يزل بكلامه القديم محموداً ، الرحيم الذى أوزعنا برحمته شكر ما أوسعنا من نعمته ، وألهمنا تحميداً له وتمجيداً ، فاتسع نطاق النعماء ، ومنطق الثناء ، حين وعد الشاكرين بفضله مزيداً ، ومهد بساط مجالسه لذاكريه تمهيداً ، جل عن صفات الأجساد فلا تحويه الأماكن ، قهر الأشياء بحكمه ، وحكمها كما شاء بقهره ، فبإذنه يسكن المتحرك ، ويتحرك الساكن ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، مالك البسط والقبض ، عالم الغيب ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض .

نحمده سبحانه حمد من عرفه حق معرفته ، ونشكره شكر من أقر بعميم إحسانه ونعمته ، ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يلحقها ارتياب ، ولا يغلق دونها من القبول باب ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المنتخب من معدن الشرف واللباب ، المجتبى بيت من السؤدد الذى يقصر من عن وصف خصائصه باع الإطناب .

صلى الله عليه وسلم تسليما صلاة تبلغنا إليه ، وتجمعنا عليه يوم العرض والحساب ، ورضى الله عن آله وأنصاره وذريته وآل بيته وأصحابه البررة خير صحاب ما لاح نجم وطلع بدر وسح على بساط الأرض سحاب .

أما بعد : فإن أفضل ما استعمل اللسان فى إنشائه ، وجنى الجنان من مواقع ظهوره وإنشائه إنما هو ذكر ما تخلق به الأولياء المقربون من السير والآثار ، وما تحققوا به من الدعوات والأذكار ، وما اتصفوا به من الأحوال والمقامات ، وما خصوا به من الخوارق والكرامات ، وكان من جملة من الله علىّ ، وعلى من سلف لى تتبع ما لسيدنا الشيخ الولى الصديق العارف المحقق ، الغوث القطب الشريف الحسينى[1] ، أبو الحسن على ، المعروف بالشاذلى من الآثار ، وتقييد ما له من الدعوات والأذكار .

وكنت أطلبها ، وأجتهد فى جمعها ، وأصرف الرغبة فى التوجه إلى من عرف بها ، فمنها ما أخذته تلقيناً بتونس ، من سيدنا الشيخ الصالح الولى أبو سلطان ماضى ، تلميذ سيدنا الشيخ أبى الحسن وخادمه ، ومنها ما أخذته من أرض المشرق ، من ولده سيدنا الشيخ أبى عبد الله محمد المدعو بشرف الدين ولد سيدنا الشيخ رضى الله عنه ، ومن سيدنا الشيخ الصالح ياقوت الحبشى ، ومنها ما أخذته من غيرهم من مقتدى طريق الشيخ ، وأصحاب من أهل المشرق والمغرب ، حتى اجتمع عندى من ذلك ما يهز سماعه ، ويعز اجتماعه .

فرغب إلى بعض الإخوان فى الله تعالى ، أن أجمع جميع ذلك فى ديوان ، لتقع المنفعة به فى مستقبل الأزمان فى كل مكان ، فاستقبلته وأجبته إلى ذلك ، رغبة لما أرجوه من جزيل الثواب عليه ، وليكون حافظاً لما فى صدرى ، ومذكراً لى عند مطالعته وقسمته على خمسة فصول :

الفصل الأول : فى نسبه الكريم ، ومنشئه وأخذه عن شيخه ، ورحلته من المغرب إلى أفريقيا ، ثم إلى بلاد المشرق ، ونيله بها الخلافة والقطبانية .

---

(١) فى الأصل : الحسيفى .

الفصل الثانى : فى مكاتباته لأصحابه بأفريقيا .

الفصل الثالث : فى دعواته وتوجهاته وأذكاره .

الفصل الرابع : فى مرائيه وكلامه فى التصوف والحقيقة والوصايا لأصحابه .

الفصل الخامس : فى وفاته واستخلافه سيدى أبى العباس المرسى من بعده .

وأذكر عنه حكايات طريفة ، وسميته « درة الأسرار وتحفة الأبرار » لسيدنا الشيخ الولى العارف الفارف المحقق الصديق قطب الغوث أبى الحسن على من الأحوال والمقامات والخوارق والكرامات والدعوات والأذكار ، ليكون اسمه موافق[1] مسماه ومطابقاً لمعناه .

ومن الله سبحانه يرجى القبول ، وبلوغ المأمول ، وهو الحافظ من الغواية فى الرواية ، والمسعد بالإعانة على الإبانة لا رب غيره ، ولا خير إلا خيره .

(١) فى الأصل : وافق .

الفصل الأول

في نسبه الكريم ، ومنشئه ، والأخذ عن شيخه ، ورحلته من المغرب إلى أفريقيا ، ثم إلى بلاد المشرق ، ونيله بها الخلافة والقطبانية

فأما نسبه الكريم فهو : على بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز ، ابن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن محمد بن أحمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنهم .

وأما مولده فبغماره ، دخل رحمه الله مدينة تونس وهو صبى صغير ، وتوجه إلى الديار المصرية ، وحج حجات كثيرة ، ودخل العراق .

قال رحمه الله : لما دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح أبى الفتح الواسطى فما رأيت بالطرق مثله ، وكان مطلبى على القطب ، قال لى بعض الأولياء : أنت القطب بالعراق ، وهو ببلادك ، ارجع إلى بلادك تجده .

فرجع إلى بلاد المغرب إلى أن اجتمع بأستاذه وهو : سيدنا الشيخ الولى العارف الصديق القطب الغوث أبو محمد عبد السلام بن بشيش .

قال رحمه الله : لما قدمت عليه وهو ساكن بمغارة فى راقطة فى رأس جبل اغتسلت فى عين فى أسفل ذلك الجبل ، وخرجت عن علمى وعملى ، وطلعت إليه فقيراً ، وإذا به هابط إلىّ وعليه مرقعة ، وعلى رأسه قلنسوة من خوص ، فقال لى : مرحبا بعلى بن عبد الله بن عبد الجبار ، فذكر نسبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ، ثم قال لى : يا على طلعت إلينا فقيراً عن علمك وعملك[1] ، فأخذت منا غنى الدنيا والآخرة .

---

(١) فى طس : من عملك وعلمك .

فأخذنى منه الدهش ، وأقمت عنده أياماً ، إلى أن فتح على بصيرتى ، ورأيت له خرق عادات .

فمنها : أنى كنت يوماً جالساً بين يديه ، وفى حجره ابن له صغير ، فخطر ببالى أن أسأله عن اسم الله الأعظم قال : فقام إلى الولد ، ورمى بيده فى طوقى وهزنى وقال : يا أبا الحسن أنت أردت أن تسأل الشيخ عن اسم الله الأعظم ، إنما الشأن أن تكون أنت اسم الله الأعظم[1] ، يعنى أن سر الله مودع فى قلبه .

قال : فتبسم الشيخ وقال : جاوبك فلان عنى ، وكان إذ ذاك قطب الزمان ، ثم قال : يا على ارتحل [إلى] إفريقيا ، واسكن بها بلداً تسمى شاذلة ، فإن الله عز وجل يسميك الشاذلى .

وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة[2] ، وبعد ذلك تنتقل إلى الديار المصرية ، وبها ترث القطبانية .

فقلت له : يا سيدى أوصنى ، فقال لى : يا على ، الله الله ، والناس الناس ، نزه لسانك عن ذكرهم ، وقلبك من التماثيل من قبلهم ، وعليك بحفظ الجوارح ، وأداء الفرائض ، وقد تمت رواية الله عندك ، ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك ، وقد تم ورعك ، وقل : اللهم أرحنى من ذكرهم ومن العارض ونجنى من شرهم وأغننى بخيرك عن خيرهم وتولنى بالخصوصية من بينهم إنك على كل شىء قدير .

---

(١) فى طت : الاسم الأعظم .
(٢) فى طت : السلطان .

قال رضى الله عنه لما دخلت مدينة تونس وأنا شاب صغير وجدت بها مجاعة شديدة ، ووجدت الناس يموتون فى الأسواق فقلت فى نفسى لو كان عندى ما أشترى به خبزا لهؤلاء الجياع لفعلت ، فألقى فى سرى : خذما فى جيبك فحركت جيبى فإذا فيه دراهم فأتيت إلى خباز بباب المنارة فقلت عد خبزك فعده على ثم ناولته للناس فتناهبوه وأخرجت الدراهم فناولتها إلى الخباز فوجدها زائفة . فقال لى هذه مقاربة ، وأنتم المقاربة تشتغلون بالكيمياء ، فأعطيته برنسى وكرزيتى رهنا فى ثمن الخبز وتوجهت إلى جهة الباب وإذا برجل واقف عند الباب . فقال ياعلى أين الدراهم فأعطيته إياها فهزها فى يده ثم ردها إلى ثم قال أدفعها إلى الخباز فإنها طيبة فدفعتها إلى الخباز فقال هذه طيبة وأخذت برنسى وكرزيتى ثم طلبت على الرجل فلم أجده .

فبقيت أياما حائرا فى نفسى إلى أن دخلت يوم الجمعة لجامع الزيتونة عند المقصورة فى شرق الجامع ، فركعت تحية المسجد وسلمت وإذا الرجل عن يمينى فسلمت عليه فتبسم إلى وقال لى : ياعلى أنت تقول لو كان عندى ما أطعم هؤلاء الجياع لفعلت . تتكرم على الله الكريم فى خلقه . ولو شاء لأشبعهم وهو أعلم بمصالحهم منك .

فقلت له : ياسيدى بالله من أنت ؟ فقال أنا أحمد الخضر كنت بالصين[1] فقيل لى أدرك وليا عليا بتونس فأتيت مبادرا إليك . فلما صلينا الجمعة نظرت إليه فلم أجده .

وحكى عنه الشيخ صالح أبو فارس عبد العزيز بن فتوح فى فضائل أبى سعيد الباجى رحمه الله قال عن سيدى أبى الحسن رحمه الله : أنه قال : لما دخلت

(١) فى طس : فى الصين .

تونس فى إبتداء أمرى[1] قصدت من فيها من المشايخ وكان عندى شيء أحب أن أعرضه على من يبين لى مافيه فلم يكن فيهم من شرح لى حالا حتى على الصالح أبى سعيد الباجى فأخبرنى بحالى قبل أن أبديه ، وتكلم على سرى فعلمت أنه ولى الله[2] فلازمته فانتفعت به كثيرا .

قال الراوى : وسمعت منه ذلك مرارا .

وقال رضى الله عنه : كنت فى ابتداء أمرى أطلب علم الكيمياء وأسأل الله فيها ، فقيل الكيمياء فى بولك . اجعل فيه ماشئت يعود كما شئت،فحميت فأسا وأطفأته فيه فعاد ذهبا فرجعت إلى شاهد عقلى[3] فقلت يارب سألتك عن شيء فلم أصل إليه إلا بمحاولة النجاسات فقيل ياعلى الدنيا قذرة فإن أردت القذارة ماتصل إليها إلا بالقذارة فقلت : يارب أقلنى منها ، فقيل لى : أرحم الفأس تعد حديدا ، فحميته فعاد حديدا .

وقال رضى الله عنه : كنت ليلة فى سياحة فى إبتداء حالى ، فبت ليلة فى موضع كثير السباع[4] ، فجعلت السباع تهمهم على فجلست على ربوة عالية وقلت والله لأصلين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال : « من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا » . فإذا صلى على عشرا أبيت فى أمن الله .

قال ففعلت ذلك فلم أخف شيئا . فلما كان عند السحر توجهت إلى غدير ماء لأتوضأ لصلاة الصبح وكان بإزائها حجل ، فطرن ولأجنحتهن خفقان عظيم ،

---

(١) فى المخطوطة : فى بدء أمرى .
(٢) فى طت : ولى لله .
(٣) فى طت : إلى شاهد العقل .
(٤) فى المخطوطة : كثير الوحوش .

فأدركنى الدهش فرجعت إلى خلفى فخوطبت فى سرى ياعلى لمابت البارحة بالله لم تخفك (همهمة)[1] السباع عليك ولما قمت اليوم بنفسك أخافك خفقان ريش الحجل .

وقال رضى الله عنه : كنت فى سياحتى فأتيت ليلة إلى غار لأبيت فيه ، فسمعت فيه حس رجل ، فقلت والله لا أشوش عليه فى هذه الليلة وبت عند فم الغار ، فلما كان عند السحر سمعته يقول : « اللهم إن قوما سألوك إقبال الخلق عليهم وتسخيرهم لهم اللهم إنى أسألك إعراضهم عنى واعوجاجهم على حتى لا يكون لى ملجأ إلا إليك » . ثم خرج . وإذا به أستاذى .

قال فقلت له ياسيدى سمعتك البارحة تقول كذا فقال لى ياعلى أيما خيرلك تقول كن لى أو سخر قلوب عبادك . فإذا كان لك كان لك كل شيء .

ولما توجه رحمه الله من عند أستاذه إلى أفريقيا وأمره بالنقلة إلى شاذلة وصل إلى مدينة تونس إلى مصلى العيدين ، فلقى بها خطابا من أهل شاذلة فخرج معه متوجها إليها على نحو ما أمر به الأستاذ فنسى الحطاب حاجة فى السوق فرجع قاصدا إليها وترك الحمار عنده فلما توجه قال فى نفسه : هذا رجل غريب يهرب لى بالحمار وأبقى فى عدمه ؟ فناداه الشيخ فرجع إليه فقال له يابنى خذ حمارك معك وأنتظرك حتى تعود إلى لئلا أهرب لك بالحمار على زعمك وتبقى فى طلبه فبكى الحطاب وقال : والله ما اطلع على هذا إلا الله تعالى فعلم بولايته فجعل يقبل يديه ويسأله الدعاء ثم انصرف لحاجته وعاد إليه فحلف له أن يركب الحمار وأردفه خلفه وقال والله ما كان الحمار يحملنى إلا بعد جهد لضعفه وقلة علفه.

قال : فمشينا قدر الميل وإذا بالشيخ نزل وإذا نحن عند الساقية بطرف شاذلة

---

(١) ساقطة من المخطوطة .

قال : فأخذنى الدهش ثم هجمت عليه وقلت له : يا سيدى أنا مبتلى بالفاقة[1] أحتطب الحطب فأبيعه فما أصل إلى القوت إلا بعد جهد ، وكان فى طرف شعير اشتريته برسم قوت العيال وعلف الحمار ، فقال لى : هات ذلك الشعير ، فحللت طرفى فأدخل يده فيه وقال : اجعل ذلك الشعير فى قفة وأغلق عليه ، وادخل يدك ، وكلوا منه ، وما بقيت تشتكى الفاقة أبداً ، أسأل الله أن يغنيك ويغنى ذريتك ، فلم ير من ذريته فقير إلى الآن .

قال : فجعلت أدخل يدى وأخرج وأنصرف وحرثت على الحمار وزرعت منه فوجدت إصابة (خير)[2] كثيرة وحللت عنه وكلته فوجدته على نحو ما كان ، فلما دخلت عليه قال لى : لو لم تكله لأكلت منه ما دام عندكم .

وكان أول من صحبه بشاذلة سيدنا الشيخ الصالح الولى المكاشف أبو محمد عبد الله بن سلامة الحبيبى ، من أهل شاذلة ، كان يدخل مدينة تونس ويحضر مجلس سيدنا الشيخ الصالح العارف الفاضل أبو جعفر الجاسوس ، وهو مشتمل فى حولى ، فيقول الشيخ رضى الله عنه : العوالى فى الخوالى .

قال : فأخذت بيده يوماً وقلت له : يا سيدى أتخذك شيخى[3] ؟ فقال لى : يا بنى ارتقب أستاذك حتى يصل من المغرب ، حسنى من كبار الأولياء هو أستاذك ، وإليه تنسب ، فكان يرتقبه وكل من الفقراء المغاربة يصحبه حتى قدم الشيخ إلى شاذلة فاجتمع به ، وكان ذلك إكراماً به وسابقة خير له فصحبه ولازمه وتوجه معه إلى جبل زغوان وتعبد معه وجاهد معه وقتاً طويلا .

---

(١) فى طس : بالفقر .

(٢) الكلمة ساقطة من المطبوعات كلها .

(٣) فى طت : أتخذك أستاذى .

وروى عنه كرامات كثيرة :

فما حكى عنه قال : قرأ يومًا على زغوان سورة الأنعام إلى أن بلغ قوله تعالى (وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أصابه حال عظيم) وجعل يكررها ويتحرك فكلما مال إلى جهة مال الجبل نحوها حتى سكن سكن الجبل .

وحدثنا الشيخ الصالح أبو الحسن على الأبرى المعروف بالخطابى قال : قلت يومًا لسيدى أبى محمد عبد الله الحبيبى : أخبرنى عن بعض ما رأيت من سيدنا أبى الحسن ، قال : رأيت له أشياء كثيرة وسأحدثكم بعض ذلك :

أقمت معه بجبل زغوان أربعين يومًا أفطر على العشب وورق الدفلاء ، حتى تقرحت أشداق ، فقال : يا عبد الله ، كأنك اشتهيت الطعام ، فقلت : يا سيدى نظرى إليك يغنينى عنه ، فقال : غداً إن شاء الله تهبط إلى شاذلة ، وتلقانا فى الطريق كرامة .

قال : فهبطنا صباح غد ، فلما هبطنا فى وطاء الأرض قال لى : يا عبد الله إذا أخرجت عن الطريق فلا تتبعنى ، فأصابه حال عظيم ، وخرج عن الطريق حتى بعد عنى ، فرأيت طيوراً أربعة على قدر البلارجة ، نزلوا من السماء وصفوا على رأسه ، ثم جاء إليه كل واحد منهم وحادثه ، ثم طاروا ومعهم طيور على قدر الخطاطيف وهم أيضًا يحفون به من الأرض إلى عنان السماء ويطوفون حوله ، ثم غابوا عنى ، ورجع إلى فقال : يا عبد الله هل رأيت شيئًا ؟ فأخبرته بما رأيت فقال لى : أما الطيور الأربعة فمن ملائكة السماء الرابعة أتوا إلى يسألون عن علم فأجبتهم عليه ، وأما الطيور التى على شكل الخطاطيف فأرواح الأولياء أتوا إلى يتبركون بقدومنا .

وأقام بجبل زغوان زمنًا طويلا وأنبع الله له عينًا تجرى بماء عذب وله هناك

مغارة كان يسكنها ويسمع الآن الأذان من أسفل الجبل عند أوقات الصلوات فيصعد إليها فلا يوجد أحـــد يعمرها فما يعمرها غير أصحابه من الجن المؤمنين .

قال رضى الله عنه : قيل لى : يا على اهبط إلى الناس تنتفع بك ، فقلت : يا رب أقلنى من الناس فلا طاقة لى بمخالطتهم ، فقيل لى : انزل فقد أصحبناك السلامة ، ورفعنا عنك الملامة ، فقلت : يا رب تكلنى إلى الناس آ كل من دريهماتهم ، فقيل لى : انفق يا على فأنا الملىء إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب[1] .

فدخل إلى مدينة تونس وسكن بها داراً بمسجد البلاط وصحبه بها جماعة من الفضلاء منهم : الشيخ أبو الحسن على بن مخلوف الصقلى ، وأبو عبد الله الصابونى ، والشيخ أبو محمد عبد العزيز الزيتونى ، وخادمه أبو سلطان ماضى ، من المسروقين ، وأبو عبد الله البجاوى الخياط ، وأبو عبد الله الخارجى كلهم أصحاب كرامات وبركات نفعنا الله بجميعهم .

وأقام بها مدة إلى أن اجتمع عليه خلق كثير ، فسمع به الفقيه أبو القاسم ابن البراء ، وكان إذ ذاك قاضى الجماعة ، فأصابه منه حسد ، فتوجه إليه لينازعه ، فلما يقدر على التمكن منه ، فقال للسلطان : إن ههنا رجلا من أهل شاذلة سواق الحمير يدعى الشرف ، وقد اجتمع عليه خلق كثير ، ويدعى أنه الفاطمى ويشوش عليك فى بلدك .

قال الشيخ رضى الله عنه : فقلت : يا رب لم سميتنى الشاذلى ولست بشاذلى ،

---

(١) هذا ليس ببعيد ، ففضل الله لا حجر عليه ، وكرامة الله لا ينكر منها الغامض والأغمض .

فقيل له : يا على ما سميتك بالشاذلى ، إنما أنت الشاذلى ـ بتشديد الذال المعجمة ـ يعنى المفرد لخدمتى وصحبتى .

وكان السلطان الأمير أبو زكريا رحمه الله فجمع مع البراء جماعة من الفقهاء فى القضية ، وجلس السلطان خلف حجاب ، وحضر الشيخ رضى الله عنه ، فسألوه عن نسبه مراراً والشيخ يجيبهم عليه والسلطان يسمع ، وتحدثوا معه فى كل العلوم فأفاض عليهم بعلوم أسكتهم بها وما استطاعوا أن يجاوبوه عليها من العلوم الموهوبة ، والشيخ يتكلم معهم فى العلوم المكتسبة ويشاركهم فيها .

فقال السلطان لابن البراء : هذا رجل من أكابر الأولياء ومالك به طاقة ، فقال له : والله لئن لم يخرج فى هذه الساعة ليدخلن عليك أهل تونس ويخرجونك من بين أظهرهم فإنهم مجتمعون على بابك . قال : فخرج الفقهاء ، وأمر الشيخ بالجلوس ، فقال : لعل أن يدخل على بعض أصحابى .

فدخل عليه بعض أصحابه فقال له : يا سيدى الناس يتحدثون فى أمرك ويقولون يفعل به كذا وكذا من أنواع الأدب ، وبكى بين يديه .

قال : فتبسم الشيخ وقال : والله لولا أنى أتأدب مع الشرع لخرجت من ههنا ومن ههنا ، وأشار بيده ، فهما أشار إلى جهة انشق الحائط ، ثم قال له : ايتنى بإبريق ماء ، وسجادة وسلم على أصحابى وقل لهم : ما يغيب عنكم إلا اليوم خاصة وما يصلى المغرب إلا معكم إن شاء الله .

فأتاه بما أمره به فتوضأ وتوجه إلى الله سبحانه ، قال رضى الله عنه : فهممت أن أدعو على السلطان فقيل لى إن الله لا يرضى لك أن تدعو بالجزع من مخلوق فألهمت أن أقول : « يا من وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم أسألك الإيمان بحفظك إيماناً يسكن به قلبى من هم الرزق

وخوف الخلق وأقرب منى بقدرتك قرباً تمحق به عنى كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوه ، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحياء كلا إنى أسألك أن تغيبنى بقربك حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا ببعده عنى إنك على كل شيء قدير » ..

وكان عند السلطان جارية من أعز نسائه عليه أصابها وجع فماتت فى حينها فأصيب من أجلها ، فغسلت فى بيت سكناه واشتغلوا فى دفنها فنسيت المجمرة بالنار فى البيت فالتهبت النار ، ولم يشعروا بها حتى احترق كل ما فى البيت من الفرش والثياب وغير ذلك من الذخائر ، فعلم السلطان أنه أصيب من قبل هذا الولى .

فسمع بذلك أخو الملك أبو عبد الله اللحيانى ، وكان فى خبائه بخارج المدينة فأتى مبادراً إليه ، وكان كثير الاعتقاد والزيارة للشيخ ، فقال لأخيه : ما هذا الذى أوقعك فيه ابن البراء ؟ أوقعك والله فى الهلاك أنت ومن معك ، فدخل عليه وجعل يقول : يا سيدى أخى والله غير عارف بمقدارك ، وجعل يقبل يديه ، ويسأله الصفح عنه ، فقال : والله ما يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، فكيف يملكها لغيره ، كان ذلك فى الكتاب مسطوراً .

وخرج الشيخ أبو عبد الله اللحيانى بصحبة الشيخ رضى الله عنه إلى داره ، فأقام الشيخ أياماً ، ثم باع ربعه الذى بناه بمسجد البلاط ، وأمر أصحابه بالنقلة إلى الديار المصرية ، ووجه إلى ابن البراء وقال له : ترانى أوسع عليك مدينتك تونس .

وحدثنا الشيخ أبو العزائم خادمه قال : لقى الشيخ يوماً ابن البراء ، فسلم

عليه الشيخ ، فأعرض عنه ، ولم يرد عليه السلام ، وإذا بالفقيه أبى عبد الله بن أبى الحسن حاجب السلطان ، فلما رآه ترجل عن بغلته وبادر إلى الشيخ وجعل يقبل يديه ويبكى ويسأله الدعاء ، فدعا له وانصرف .

فلما دخل الدار قال : خوطبت الآن فى هؤلاء الاثنين ، فقيل لى : يا على وسم عبد بالشقاوة على الحق وتعامى عنه ، ولو علم ما علم ، ووسم عبد بالسعادة على الحق وأتى إليه ولو عمل ما عمل .

قال : وما سمع الشيخ أن دعا عليه ولا ذكره بشىء حتى كنا بعرفات يوم عرفة ، قال : أمنوا على دعائى ، فالآن أمرت أن أدعو على ابن البراء ، فقال : اللهم طول عمره ، ولا تنفعه بعلمه ، وأفتنه فى ولده ، واجعله فى آخر عمره خادمًا للظلمة .

قال : ولما توجه رضى الله عنه سمع السلطان فتغير لخروجه من بلاده فوجه إليه من يرده ، قال الشيخ : ما خرجت إلا بنية الحج إن شاء الله ، ولكن إن قضى الله حاجتى أعود إن شاء الله ، فلما توجهنا إلى المشرق ودخلنا الإسكندرية عمل ابن البراء عقداً بالشهادة : أن هذا الواصل إليكم شوش علينا بلادنا ، وكذلك يفعل ببلادكم ، فأمر السلطان أن يعقل بالإسكندرية .

فأقمنا أيامًا وكان السلطان رمى رمية على أهل البلد وهم أشياخ البلد ، يقال لهم القبائل ، فلما سمعوا بالشيخ أتوا يطلبونه فى الدعاء ، فقال لهم : غداً إن شاء الله نسافر إلى القاهرة ونتحدث مع السلطان فيكم ، فسافرنا وخرجنا من باب السدرة ، والباب فيه الجناشرة والوالى وما يدخل أحد ولا يخرج حتى يفتش ، فما كلمنا أحد ولا علم بنا .

فلما وصلنا القاهرة أتينا القلعة فاستؤذن عليه السلطان ، فقال : كيف ونحن

أمرنا أن يعقل بالإسكندرية ، فأدخل على السلطان والقضاة والأمراء ، فجلس معهم ونحن ننظر إليه ، فقال له : ما تقول أيها الشيخ ؟ فقال له : جئت أشفع إليك فى القبائل ، فقال له : اشفع فى نفسك ، هذا عقد بالشهادة فيك وجهه ابن البراء من تونس بعلامته فيه ، ثم ناوله إياه .

فقال له : أنا وأنت والقبائل فى قبضة الله ، وقام الشيخ ومشى قدر العشرين خطوة ، فحركوا السلطان فلم يتحرك ولم ينطق ، فبادروا إلى الشيخ وجعلوا يقبلون يديه[1] ويرغبونه فى الرجوع إليه .

قال : فرجع وحركه بيده ، فتحرك ونزل عن كرسيه ، وجعل يستحله ويرغب منه الدعاء ، ثم كتب إلى الوالى بالإسكندرية : أن يرفع الطلب عن القبائل ويرد جميع ما أخذه منهم ، وأقام عنده فى القلعة أياماً ، واهتزت بنا الديار المصرية إلى أن طالعنا إلى الحج ورجعنا إلى مدينة تونس ، وسكن الشيخ بداخل باب الحديد ببطحاء الشعرية ، داراً تفتح للجوف ، وأقام بها زمناً طويلا إلى أن قدم الشيخ الولى : أبو العباس المرسى ، الذى ورث مقامه — وسيأتى إن شاء الله ذكره — بعد ما جاء من بلاد الأندلس صغيراً ، وأخوه أبو عبد الله محمد ، وكان معلما للصبيان بالإسكندرية .

فلما اجتمع بالشيخ قال : ما ردنى لتونس إلا هذا الشاب ، فرباه وسلكه وسافر معه إلى المشرق .

قال رضى الله عنه : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : يا على ،

---

(١) ما جاز أن يكون معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى ، والفرق أن المعجزة مقرونة بالتحدى بخلاف الكرامة ، والمعجزة لتأييد وحى ، والكرامة لتأييد نبى مرسل .

انتقل إلى الديار المصرية ترى بها أربعين صديقا ، وكان فى زمن الصيف ، وشدة الحر ، فقلت : يا سيدى يا رسول الله الحر شديد .

فقال لى : إن الغمام يظلكم .

فقلت : أخاف العطش .

فقال : إن السماء تمطركم فى كل يوم أمامكم .

قال : فوعدنى بسبعين كرامة فى طريق . قال : فأمر أصحابه بالحركة ، وسافر متوجها إلى الديار المصرية ، وكان ممن صحبه فى سفره الشيخ الولى الصالح أبو على بن السماط ، نفعنا الله ببركتها فى الدنيا والآخرة .

حدثنى والدى رحمه الله قال : حدثنى الشيخ الصالح المقرىء أبو على الفاسخ قال : توجهت صحبتهما فى خدمة الشيخ أبى على ، فلما وصلنا إلى مدينة طرابلس ، قال الشيخ : نتوجه على الطريق الوسطى ، واختار الشيخ أبو على طريق الساحل .

قال : فرأى الشيخ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا أبا على ، أنت ولى الله ، وأبو الحسن ولى الله ، ولن يجعل الله لولى على ولى سبيلا ، امش على طريقك التى اخترت ، وهو على طريقه التى اختار .

قال : فافترقا إلى أن اجتمعنا بقربة الإسكندرية ، قال : فلما صلينا الصبح ، توجه الشيخ أبو على إلى خباء الشيخ أبى الحسن ، ونحن صحبته ، فدخل عليه ، وجلس بين يديه ، وتأدب معه أدبا ما اعتاده منه ، وتحدث معه بكلام ما فهمنا منه كلمة .

فلما أراد الانصراف قال له : يا سيدى ، هات يدك أقبلها ، فقبل يده وانصرف وهو يبكى .

قال : فتعجبنا من حاله معه . فلما كان فى أثناء الطريق التفت لأصحابه وقال: رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لى : يا يونس ، كان الشيخ أبو الحجاج الأقصورى بالديار المصرية ، وكان قطب الزمان ، فمات البارحة ، وأخلفه الله بأبى الحسن الشاذلى ، قال : فأتيته حتى بايعته بيعة القطابة .

قال : فلما وصلنا الإسكندرية وخرج الناس يتلقون الركب ، رأيت الشيخ أبا على يضرب بيده على مقدم الرحل ، ويقول وهو يبكى : يا أهل الإقليم ، لو علمتم من قدم عليكم فى هذا الركب لقبلتم أخفاف بعيره ، قدمت والله عليكم البركة .

وقال أبو عبد الله الناسخ أيضاً : كنت أمشى خلف أبى الحسن وهو راكب فى محارة، فرأيت رجلين يمشيان تحت ظل المحارة، فقال أحدهما للآخر: يا فلان ، رأيت فلانا يسىء معك العشرة ، وأنت تحسن إليه . فقال له : هذا من بلدى ، وأنا أقول كما قال الشاعر :

رأى المجنون فى البيداء كلبا ... مجـزل من الإحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه ... وقالوا : لم أنلت الكلب نيلا
فقال : دعوا الملام فإن عينى ... رأته مرة حى ليلى

قال : فأخرج الشيخ رأسه من المحارة وقال له : أعد على ما قلت يا بنى . فأعاد مقالته . فتحرك الشيخ فى محارته وقال :

. . . دعوا الملام فإن عينى ... رأته مرة فى حى ليلى

وجعل يكررها مراراً ، ثم رمى له غفارة زبيبية اللون ، وقال له : خذ هذه والبسها ، فأنت أولى بها منى ، جزاك الله يا بنى عن حسن عهدك خيرا .

قال : فأشرت إليه وقلت له : ناولنيها ، فأخذتها وقبلتها ، ثم عدت إلى

دراهم كثيرة وناولته إياها ، فقال لى : والله لو أعطيتنى ملئها ذهبا مابعتها به . هذه والله ذخيرة حصلت عندى ، لأجعلنها فى كفنى والله .

والله ما أنا أمشى تحت ظل هـذه الحارة لعل الله يرحمنى بمـا أسمع من أذكاره ، وأعلم أن الرحمة تنصب عليه ، فلعلى أنال منها شيئاً .

فعلمت أنه أعلم به منى .

وقال رضى الله عنه : لما قدمت إلى الديار المصرية، قيل لى: يا على ، ذهبت أيام المحن ، وأقبلت أيام المنن ، عُشرا بيُسْر ، اقتداء بجدك صلى الله عليه وسلم .

وكان مسكنه رضى الله عنه فى الإسكندرية ببرج من أبراج السور ، حبسه السلطان عليه وعلى ذريته ، دخلته عام خمس عشرة وسبعمائة ، فى أسفله ما جل كبير ومرابط للبهائم ، وفى الوسط منه مساكن للفقراء ، وجامع كبير ، وفى أعلاه أعلية لسكناه ولعياله .

وتزوج هناك ، وولد له أولاد ، منهم : الشيخ شهاب الدين أحمـد ، وأبو الحسن على، وأبو عبد الله محمد شرف الدين. أدركته بدمنهور قاطنا بها ومن البنات : زينب ، ولهـا أولاد ، ورأيت بعضهم . وعريفة الخير أدركتها بالإسكندرية ، وما عرفت غير هؤلاء . وسأذكر ما عرفت عنهم من البركات إن شاء الله بعد هذا .

وأقام أعواما يحج عاما ويقيم عاما آخر .

حدثنى من أثق به قال : كان فى العام الذى يحج فيه حركة التتر على أهل الديار المصرية ، فاشتغل السلطان بالحركة عليهم ، فلم يجهز الجيش للركب . فأخرج الشيخ خباءه إلى البركة ، واتبعه ناس . قال : فاجتمع النـاس بالفقيه

القاضى المفتى عز الدين بن عبد السلام ، وسألوه عن السفر فقال: لا يجوز السفر على الغرور وعدم الجيش .

فأخبر الناس بذلك الشيخ ، فقال : اجمعونى به ، قال : فاجتمع به فى الجامع يوم الجمعة ، واجتمع عليهما خلق كثير ، فقال له : يا فقيه ، أرأيت لو أن رجلا جعلت له الدنيا كلها خطوة واحدة ، هل يباح له السفر فى المخاوف أم لا ؟ فقال القاضى : من كان بهذه الحال فهو خارج عن الفتوى وغيرها .

فقال له الشيخ : أنا بالذى لا إله إلا هو ممن جعلت الدنيا كلها خطوة واحدة إذا رأيت ما يخيف النـاس أتخطى بهم حيث آمن ، ولا بد لى ولك من المقام بين يدى الله عز وجل حتى يسألنى عن حقيقة ما قلت لك .

وسافر رضى الله عنه ، فظهرت له فى الطريق كرامات كثيرة منها :

أن اللصوص كانوا يأتون الركب بالليل ، فيجدون عليه سوراً منيعاً كأنه مدينة ، فإذا أصبحوا يأتون إليه ويخبرونه ، ويتوبون إلى الله تعالى ، ويسافرون صحبة الشيخ إلى الحج .

فلما قضى الشيخ الحج رجع ، ودخل أول النـاس إلى القاهرة ، فأخبروا بمـا رأوا من مواهب الله تعالى له ، قال : فخرج الفقيه عز الدين بن عبد السلام رحمه الله ، ليلقاه بالبركة ، وهو موضع خارج القاهرة على ستة أميال .

فلما دخل عليه قال له : يا فقيه ، والله لولا تأدبى مع جـدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأخذت الركب يوم عرفة ، وتخطيت به إلى عرفات. فقال له المفتى : آمنت بالله . ثم قال له الشيخ : انظر إلى حقيقـة ذلك ؟ فنظر كل من حضر إلى الكعبة ، وصاح الناس ، وحط الشيخ رأسه بين يديه وقال له : أنت شيخى من هذه الساعة . فقال الشيخ : بل أنت أخى إن شاء الله تعالى :

وحدثنى الشيخ الصالح أبو العزائم ماضى رضى الله عنه قال : تحدث الشيخ رضى الله عنه فى حقيقة الشيخ مع أصحابه فقال : أن تكون يده عليهم يحفظهم حيثما كانوا . قال : فاعترضت ذلك فى نفسى وقلت : لا يكون ذلك إلا لله عز وجل .

فلما أصبحت أخذتنى ضيقة شديدة فى نفسى ، فخرجت لخارج الإسكندرية ، وجلست على ساحل البحر اليوم كله ، فلما صليت العصر زيقت ، يعنى : أدخلت رأسى فى طوق وإذا بشىء يحركنى فظننت أنه بعض الفقراء يمازحنى .

قال : فأخرجت رأسى من طوقى ، وإذا بها امرأة حسناء ، عليها لباس حسن ، وحلى ، فقلت لها : ما تريدين ؟ قالت : أنت ، فقلت : أعوذ بالله . فقالت : والله مالى عنك براح ، فدافعتها عن نفسى ، فأخذتنى فى حضنها ، ولعبت بى ، كما يلعب الطفل بالعصفور : وما ملكت من نفسى شيئاً ، ورمتنى بين فخذيها .

فحنت نفسى إليها ، وإذا بيد أخذتنى من أطواقى ، وإذا أنا بالشيخ يقول لى : يا ماضى ، ما هذا الذى تقع فيه ؟ ورمانى عنها ، فظننت أن الشيخ اجتاز بذلك المكان ، فرفعت رأسى ، فما وجدت الشيخ ولا المرأة ، فتعجبت من ذلك ، وعلمت أنى أصبت باعتراضى عليه[1] .

فاستغفرت الله ، وصليت المغرب ، وأتيت إلى الباب الأخضر ، وقد غلقت أبواب البلد كلها . فلما دنوت منه انفتح ودخلت المدينة ثم أغلق . وهذا الباب لا يفتح إلا بعد صلاة الجمعة ، يخرج منه الأمير والناس إلى الساحل ثم يغلق .

---

(١) قد يقع هذا فى عالم المثال لتأديب المريد أو لإقامة حجة ولاية الشيخ على من شك فيها .

قال : وأتيت القاهرة ، ودخلت بيتى مختفياً عن الفقراء ، فلما صلى الشيخ العشاء الأخيرة صرف الناس ، وكان يعمل فى كل ليلة ميعاداً ، يأتى إليه الناس من البلدان يستمعون كلامه .

قال : ثم دخل الخلوة وقال : أين ماضى ؟ قالوا : ما رأيناه اليوم . قال : اطلبوه فى بيته ، فأتوا إلى فقلت لهم : إننى مريض ، وكان كذلك ، فإنى ما أتيت إلا بحال عظيم ، فقال : احملوه بينكم .

قال : فحملونى إليه وأدخلونى عليه ، وأمرهم بالانصراف ، فجلست بين يديه وأنا أبكى ، فقال لى : يا ماضى ، لم قلت بالأمس كذا وكذا ، فاعترضت أنت على ، أين كانت يدى اليوم منك ما أردت أن تقع فى المعصية من لم يمكن من ذلك فليس بشيخ .

وحدثنا أيضاً قال : كنا بدمنهور الوحش ، فلما صلينا العصر أعطانى كتابا للشيخ الفقيه فخر الدين الفائزى بالإسكندرية ، برسم حاجة عرضت له . فقلت له : يا سيدى ، إذا كان غداً إن شاء الله أسافر بكرة — وهذا الموضع مسير يوم للفارس — فقال لى : الليلة تسافر وتعود إلى بالجواب إن شاء الله تعالى .

قال : فتقلدت نمشة كانت عندى ، وخرجت متوجها ، فوصلت إلى الإسكندرية فى أقرب وقت ، وأعطيت الكتاب للشيخ ، ورجعت إليه قبل اصفرار الشمس — وكنت مررت بجبال الحاجز فى طريقى ، فأسمع بها دويا ، وحس للمشى ، فأظن أنهم اللصوص يعترضوننى فى طرف النهار ، فأرسل النمشة وأبقى منتظرا . قال : فما رأيت أحداً .

قال : فلما جلست بين يديه تبسم وقال لى : يا ماضى ، تجبذ نمشتك تلتقى بها اللصوص ؟ الدوى الذى كنت تسمع دوى الملائكة ، والله ما خرجت من بين

يدي حتى تكفل بك ثمانون ألفاً من الملائكة يحفظونك من أمر الله حتى وصلت إلى الإسكندرية ، وعدت إلينا .

وحدثنا أيضاً الشيخ أبو العزائم ماضى المذكور رحمه الله قال : بعثنى الشيخ من الإسكندرية إلى دمياط فى بعض حوائجه ، وكان عندنا رجل من أهلها ، فأراد السفر معى ، فاستأذن الشيخ فأذن له فى السفر .

فلما توجهنا لباب السدرة — باب من أبواب الإسكندرية — أخرج الرجل دراهم ليشترى بها خبزاً وإداما .

فقلت له : ما تحتاج إلى شىء . فقال لى : نجد دكان فلان فى الصحراء ، وأشار إلى دكان حلوانى بالإسكندرية . فقلت له : حسن إن شاء الله .

وكنت مهما سافرت لا أحمل معى زادا ، فإذا أصابنى جوع أسمع كلامه من خلفى يقول: يا ماضى ، أخرج عن يمينك تجد ما تأكل ، وكذا إذا عطشت فأجد طعاما طيباً وماء عذبا .

قال : فخرجنا عن الإسكندرية ومشينا ، وجدبنا السير حتى تعلى النهار بنا فقال لى : يا ماضى ، أطعمنى فإنى قد جعت . وإذا بكلام الشيخ على العادة يقول : يا ماضى ، جاع ضيفك ، أخرج عن يمينك تجد ما تطعمه .

قال : فخرجت عن يمينى فوجدنا محفلة محلوءة بكنافة سكرية ، مخلطة بالمسك وماء الورد ، فأكلنا حتى تحلينا ، فبكى الرجل وتعجب مما رأى .

فقلت له : أيهما أطيب ، هذا الطعام ، أو ما أشرت إليه فى دكان الحلوانى؟ فقال : والله ما رأيت مثل هذا ، وما صنع مثله قط فى قصر ملك من الملوك ، وأراد أن يرفع بقيته فمنعته ، وتركتها على حالها ، ومشينا يسيرا ، فعطشنا .

وإذا بكلام الشيخ يقول : يا ماضى ، أخرج عن يمينك تجد الماء . فوجدنا عين ماء عذب فى الرمل ، فشربنا ، واضطجعنا ساعة ، وقمنا فما وجدنا قطرة ماء .

فقال الرجل : أين الماء الذى كان ههنا ؟ فقلت : لا علم لى به . فقال : والله لقد مكن لهذا الشيخ تمكينا عظيما . والله لا رجعت إلى أهلى حتى أنال ما نال هذا الشيخ أو أموت فى الله تعالى .

فخلى فروته عندى ، ومشى فى البرية يقول : الله . والله .

قال : فلما قضيت سفرى ، ورجعت إليه قال لى : يا ماضى ودّرت (أهلكت) ضيفك . فقلت له : أنت الذى ودرته . الذى أطعمته الكنافة السكرية فى البرية ، وأسقيته الماء العذب فى الرمل . فقال لى : مر فى الهائمين إلى الله تعالى .

وحدثنا الشيخ ماضى رحمه الله أيضاً قال : حججت سنة من السنين عن إذنه ، فلما قضيت مناسك الحج وأتيت أطوف الوداع ، قام أهل مكة على من بقى فى الحرم من الحجاج فنهبوهم ، وكانت عندى أمانات للناس . فدخلت فى الحِجْر ووقفت تحت الميزابْ ، وقلت : إن خرجت انهبت ، وإن جلست جلست بأموال الناس .

فتحيرت فى أمرى ، فناديت بالشيخ ، وإذا به واقف عند باب الندوة ، يشير إلى ، فبادرت إليه ، فولى خارجا عنى ، فأتيته ولم أقدر على الوصول إليه حتى دخل الركب ، ودخلت إلى الركاب ، فطلبته فلم أجده .

فلما دخلت الديار المصرية وأتيته وسلمت عليه ، سألنى عن حالى[1] وقال لى : يا ماضى ، لما اشتد الحال عليك ، وناديت بنا ، وأتينا إليك ، وخلصناك مما كنت فيه .

(١) فى طس : عن حالتى .

وحدثنى سيدى ماضى أيضاً قال : حججت معه سنة من السنين ، فلما وصلنا المدينة المكرمة وقف على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطلب الإذن بالدخول عليه ، وقال هـذا موضع قال الله فيه : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا ... حتى أذن له فى الدخول ، ووقف قباله وجه النبى صلى الله عليه وسلم ، وكشف عن رأسه وجعل يقول صلوات الله وملائكته ورسله وأنبيائه وجميع خلقه من أهل سماواته وأرضه عليك يا سيدى يا رسول الله وعلى أصحابه أجمعين . وجعل يكورها وهو فى حال عظيم إلى أن سكن عنه الحال وجلس فى جهة من الحرم وقال : لما كنت أسلم عليه كشف لى عنه ، فكنت أسلم عليه فيرد على السلام بسبابته .

قال : ودخل علينا فى تلك الساعة أبو محمد عبد العزيز الزيتونى ، وكان ناظراً على طعام الفقراء فقال له : يا سيدى مات لنا بعير ، وبقى حمله على الأرض. فقال : والله يا سيدى ما عندى فى هذه الساعة لا صفراء ولا بيضاء ، وأمره بالجلوس ، فجلس معنا وسخن حلقه دائرين عليه ، فأدخل رأسه فى طوقه ساعة ثم أخرج رأسه وقال : يا محمد ، أدن منى فدنا منه فقال : أدخل يدك وخذ ما فى جيبى ، فأدخلها وأخرجها مملوءة ذهبا ، وقال : انظروا إليه ما ضربه ضارب ، ولا صاغه صائغ وإنما قيل لى : يا على ، خذ ما فى جيبك . ثم قال له : اشتر جملا وما تحتاج إليه من أزودة الفقراء .

وكان الشيخ أبو محمد عبد العزيز من كبار أصحابه . دعا الشيخ يوما على عرفات ، واختصه بالتأمين على دعائه وحده ، فلما فرغ من دعائه قال : والله لقد دعاك بدل وخليفة فقال : يا سيدى من البدل ومن الخليفة . فقال : أنت البدل وأنا الخليفة .

وحدثنى الشيخ الفقيه المفتى جمال الدين يوسف العراقى بمدينـــة القاهرة

خمسة عشر وسبعمائة ، قال سمعت سيدى الشيخ الولى العارف بالله تعالى أبا العباس المرسى نفع الله ببركاته يقول : صليت خلف سيدى الشيخ الأستاذ أبى الحسن صلاة العشاء ، فقرأ سورة الشورى ، فلما بلغ إلى قوله تعالى : يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيما فوقع فى نفسى من ذلك شىء من طريق المعنى .

فلما سلم الشيخ من الصلاة (قال لى : يا أبا العباس : يهب لمن يشاء إناثا العبادات والمعاملات)[1] . ويهب لمن يشاء الذكور : الأحوال والعلوم والمقامات . أو يزوجهم ذكراناً وإناثا يجمع ذلك فيمن يشاء من عباده . ويجعل من يشاء عقيما بلا علم ولا عمل . فتعجبت من ذلك ، فقال : والله ما هجس فى خاطر أحد شىء فى تلك الصلاة إلا وقد أطلعنى الله عليه

وحدثنى الشيخ الصالح أبو العزائم ماضى قال : كان للشيخ ولد اسمه على . فلقيته بالإسكندرية سكرانا بالخمر ، فأتيت به إلى الدار وضربته ضربا وجيعا حتى تعلق بأمه ، فجذبته حتى خرج بخيوط رأسها فى يده ، فصاحت وبكت ، فدخل عليها الشيخ فقال لها : ما يبكيك ؟ فأخبرته بالقصة ، ولم تخبره بسكره ، فتغير الشيخ لذلك ، فلما دخل الزاوية قال لى : يا ماضى ، لم فعلت كذا وكذا ؟ قلت : لأنه وجدته سكران بالخمر ، والله لو تعلق بك لجلدته الحد قال لى : هكذا هو . وتغير وجهه ودخل الخلوة ساعة واستدعانى ، فدخلت عليه فوجدته فرحا مستبشرا فقال لى : دخلت إلى هذا المكان ، وهممت أن أدعو على ولدى فقيل لى : يا على ، مالك ولوليى دعه حتى ينفذ ما قدرته عليه . فلم تمض إلا مدة يسيرة حتى خرج فى سياحة ، وظهر بأرض المغرب ، وظهرت ولايته .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من طت وطس .

وحدثنى من أثق به قال : لما بلغ ولد أبى العباس أحمد المدعو بشهاب الدين الحلم قالت له أمه يا سيدى إن ولدى أحمد بلغ مبلغ الرجال ، فقال لها : ائتنى به حتى أوصيه وأعلمه بما يجب عليه من حقوق الله قال : فاستدعته .

قال : فاستدعته وجلس بين يديه ، فجعل ينظر إليه ساعة ويتفرس فيه ثم يلتفت عنه قال له : قم يا بنى أرشدك الله ، ودعا له بدعاء كثير . فلما انصرف قالت له أمه : ياسيدى ماسمعتك أوصيته ولاخاطبته بكلمة . فقال لها : لما جلس بين يدى أطلعنى الله على عواقب أمره . فما وجدت فى عمله شيئاً أوصيته عليه ، فاستحييت من الله أن أكلمه .

وحدثنى حفيده بالقاهرة بالجامع الأزهر : شككت فى اسمه وهو ابن ابنة الشيخ رضى الله عنه قال : لما تزايدت والدتى للشيخ دخل والدى رحمه الله وهو على الدمنهورى على الشيخ ليهنئه بها فقال له الشيخ : إنها زوجتك، وكان والدى إذ ذاك شيخا كبيراً فقال فى نفسه : كيف يكون ذلك وأنا فى هذه السن قال : نعم . يتزايد لك فلان وفلان وعد عليه الأولاد . وقال : فإن الله أطلعنى على ذلك . قال : فكان زوجها ، وتزايد له ما أخبره به . ثم مات رحمه الله فى الإسكندرية .

قال المؤلف : واجتمعت بالإسكندرية بابنته الصالحة الفاضلة عريفة الخير ، وتكنى بالوجيهة وهى إذ ذاك مكفوفة البصر ، وسألتها عن إسمها لم سميت ياسمين فقالت : لما ولدت كان والدى بالقاهرة ، فكتب لوالدتى وهو يقول لها : كنت متوجها فى خلوتى فعلمت أن تزايدت لى ابنة ، وأمرت أن أسميها عريفة الخير ، فلما وصل إلى الإسكندرية قال لوالدتى : أين الإبنة ؟ فرفعتنى أمى إليه ، فجعلنى فى حجرة ، وتفل فى فى وقال : مرحباً بالوجيهة : أى التى

عرف بها فى حال توجهه . وكانت هذه المرأة من أولياء الله تعالى ، ممن يجود عليها القرآن بالسبع من خلف ستر وكانت سيدة فاضلة .

حدثنى الشيخ الصالح أبو محمد ابن الشيخ الولى أبى عبد الله محمد بن سلطان قال : حدثنى من أثق به فى الإسكندرية قال : حضرت دفن الحرة الفاضلة عريفة الخير بالإسكندرية . فلما حطت فى قبرها نزل بعض قرابتها ليلحدها فطلع من القبر وهو مبتسم . قال : لما كشفت عن وجهها لألحدها التفتت إلى ثم ضحكت ، فقلت لها : ما هذا ؟ قالت : مما رأيت من أفضال الله تعالى على ، وأعرفك أنك ستلخص بى بعد ثلاثة أيام . وتوفى رحمه الله بعد ثلاثة أيام . وقال : لما توفيت إذا مناد ينادى بالإسكندرية هلموا إلى الصلاة على الحرة الصالحة عريفة الخير التى خرجت من الدنيا ثلاث خرجات . من بطن أمها ، وإلى دار بعلها ، وإلى قبرها .

وكان ممن صحبه بتونس الشيخ العارف أبو على سيدى سالم التولسى ، وكان مسكنه بالمصريين . سمعت سيدى الشيخ ماضى رحمه الله يقول : كان لسيدى سالم ولد إسمه على ، فوقعت هوشة فى المصريين بين أهل البلد وجماعة من البرابرة سكان الخيام ، وكانوا واطنين عليهم ، فأتى أبو الحسن على ابن الشيخ سالم وبيده عكاز يحجز بينهم ، فجاء العكاز فى عين رجل من البرابرة ، فطارت عينه ، فاجتمعوا عليه وأرادوا قتله ، فخرج أبو على سيدى سالم عليهم وقال لهم : إذا كان صبيحة غدا إن شاء الله يأتى أخى أبو الحسن يحكم فيما بينكم وبينه . فلما أصبح اليوم الثانى وإذا بالشيخ قادم عليهم، ففرشوا له خلالة على باب الغرفة التى يسكنها سيدى سالم وخرج إليه الشيخ وقال له : إننى أتيت بسبب على ولدك .

قال : فاجتمع الجميع بين يديه فقال لهم سيدى أبو الحسن : اختاروا إما أن

تأخذوا أخى سالماً فى عين صاحبكم ، وإما أن تأخذوا خمسمائة دينار . فقالوا : نأخذ الخمسمائة دينار على ألا ننصرف إلا لقبضها . فقال لهم الشيخ : كأنكم تعجزون الفقراء من المال ، وأدخل يده تحت الخلالة وقد والله فرشت على الأرض وأنا أنظر إليها فجعل يخرج لهم الدراهم وهم يعدون حتى استوفوا وانصرفوا . ثم التفت إلى سيدى سالم وقال له : يا أخى . باعوك بالقراريط . لو أخذوك لأخذوا عنى الدنيا والآخرة فوالله مايأتى آخر هذا الشهر حتى تذهب عنهم ويحتاجون إلى الفقراء . قال : فارتحلوا عن المصرين فنهبوا ورجعوا إليها فقراء محتاجين يطلبون ما يستقرون به من الزاوية .

قال : ولما توفى هذا الشيخ المبارك بالمصريه سيدى سالم خرجنا صحبة الشيخ رضى الله عنه لحضور جنازته . قال : فلما دخلنا البيت الذى هو به قال الشيخ : سلام عليكم . فقال له من وراء حجاب : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وكان بين أيدينا صبى صغير حفيد الشيخ فخرج يقول: جدى والله حى رد السلام على سيدى الشيخ أبى الحسن .

قال : فغسله الشيخ بيده وكفنه ، ثم قبله بين عينيه وقال : يا أخى بالله عليك لا تنسى العهد الذى كان بينى وبينك . قال : فرأيته والله فتح عينيه وقال : نعم يا أخى . فلما صلينا عليه ودفناه قلت للشيخ أبى الحسن يا سيدى ما هذا العهد . قال : كنا تعاهدنا الله أن من مات منا قبل صاحبه كان له وسيلة عند الله تعالى ودفن بالمصريه رحمه الله تعالى .

وحدثنى من أثق به قال : سمعت الشيخ الصالح أبا مروان عبد الملك المعروف بالقساط ، قال لما توجهت للديار المصرية ودخلت الإسكندرية ، قصدت سيدى الشيخ فوجدته جالساً ومعه جماعة من الناس ، وكان يناظرهم فى علم فسلمت عليه وجلست بين يديه فقال : ما اسمك . ومن أين جئت وأى شيء تستحل .

فأخبرته باسمى وبلدى وأن شغلى كتاب الله عز وجل ، فقال لى : اقرأ علىّ آية من كتاب الله

قال : فتعوذت وأطلق الله على لسانى : « فتوكل على الله إنك على الحق المبين ... إلى قوله تعالى ... فوقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون » . فتهلل وجه الشيخ ثم التفت إلى الحاضرين وقال : ما بعد بيان الله سبحانه بيان قال : فعرفت أنهم جماعة من المنزلة ، وأن الشيخ كان يناظرهم فى مذهبهم فأجرى الله على لسانى من كتاب الله ما اهتدوا به . إلى الحق فأقلعوا عن مذهبهم ، وتابوا بين يديه ورجعوا إلى الحق والسنة .

فقال لى رضى الله عنه : اطلب منى ما تحب . فقلت له ثلاثة أشياء : يكسونى كسوة ؛ وتدلنى على من أجود عليه ، وتدعو لى بخير . فأعطانى كسوة جيدة ، ودلنى على أستاذ جيد يقال له ابن الدهان وقال لى : عطف الله عليك قلوب الأخيار . وبارك لك فيما أعطاك ، وختم لك بالسعادة . فوالله لقد رأيت الدعوتين . وأرجو الله فى الثالثة .

ومن وصاياه : عليك بطاعة الله والاعتصام بالله والإخلاص فى دين الله . ألم تسمع إلى قوله تعالى : « إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين » ، ولم يقل من المؤمنين . فتأمل هذا القول إن كنت فهيما والسلام .

وتعلم أبا محمد عبد الله بن سلامة أنا كتبنا لأبى عبد الله بن أبى الحسن كتاباً فى حق على من خصيب على ما أشار إليه ، وهو صحبة هذا الكتاب .

وكتب لبعض الفضلاء من رسالة : وأنتم أيدكم الله أعلم ببعد العامة عن إقامة حججهم والخروج مما لا يلزمهم والتفطن لما ينفعهم فى الوصول إلى حقوقهم ودفع ظلم من منعهم أو ترتب عليهم فى أخذها .

والمسئول من إحسانكم أيدكم الله معاملة هذا الصهر المذكور فى هذا العلو بما لا يجب عليكم ، ولا يمتنع فى حقكم بإمعان النظر وإرشاده إليه ، فأنا وإياكم إن شاء الله من سؤال ذلك بل العلماء الحكام اتساع النظر وإجراء الأحكام على حسب الوقائع وأسبابها وما يتعلق بها ويترتب عليها من المصالح والمفاسد ونظركم وعنايتكم كافية مغنية عن مزيد تأكيد فى حقه .

وكتب إلى سيدى على بن مخلوف بتونس
وهو مدفون بها بالرلاج رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم. والحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين .

هذا من على بن عبد الله عرف بالشاذلى إلى ولده الطيب المبارك الصفى الزكى المبرأ من سبل المهالك: على ابن مخلوف الصقلى سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

علم أيدك الله بنور البصيرة وصفاء التحيزه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له من أولياء الله قال : الذين إذا رؤوا ذكر الله . فافهم معنى قوله إذا رؤوا . فاعدل عن رؤية الأجسام إلى رؤية المعانى والأوسام عن رؤية البصر العامية التى الشركة فيها مع الأنعام التى لا بصيرة لها واعتد بنور الله المستودع فى القلوب الذى به نظروا وعبروا ووفقوا وتحققوا .

وأولئك فيهم قال الله تعالى : وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون . هذا صريح فى أطيب الخلق وأبصرهم به وبنوره ، وبطيبه طاب كل شىء .

وإنه لأمر عجيب فى إيثاره الطيب باتفاق من العلماء أن رائحته أطيب . من كل طيب . فافهم وأدخل فى ديوان معرفته صلى الله عليه وسلم . ومالك لا تقول كما قال : والله ما آكل إلا لنا ولا شرب إلا لنا ولا نكح إلا لنا ،

ثم كذلك لا طيب إلا لنا . فهو إذن أصل كل طيب وبهاء كل معدن وهو معدن المعادن ، فاقتبس من نوره ، واعترف من حبه واشرب من معرفته وتزين بطاعة تكن الأشياء طوع يديك .

اللهم أنه العلم اللدنى والعمل الصالح والرزق الهنيء واجعل الأشياء طوع يده وزهده فيها مع الملك لها واجعله من آل إبرهيم ، فقد آتيتها آل إبرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما . واجعله اللهم من آل محمد .

فانظر إلى هذا الزهد والحوه عن نفسك واكتمه عن أبناء جنسك إلا من يفاوضك فى أمرك . فأين تجده بعد نصيب أنوار النبوة ومعدن الصديقية إلا من خص باسمه الأعظم المقرون بكن ، بل من أشرف على القضاء الأول والقدر الجامع للأقدار .

وبه وقع الرضا الذى لا ضد له ، وعنه تفرعت الأقدار والأقضية إلى محل التقسيم والأضداد ، حيث نادى الشرع بما يحب ويبغض . فمن جهل هذا أوتوهم فاضرب مثلا بآدم صلى الله عليه وسلم وهو الموجود الأول الإنسانى الجامع للبشر ، وهل تجد فيه شيئاً يبغض ؟ كلا وهو الجامع لكل مؤمن وكافر ومطيع وعاص وموحد ومشرك ومخلص ومنافق .

فلما تفرقت منه المفترقات نادى الشرع بالحب والبغض والرضا والسخط ، والأصل ليس إلا مرضى محبوب وهو آدم ، والذرية الخارجة منه كما فصلت لك . وكذلك القضاء الأول مع الأقدار المتفرقة . وعكف النبيون والمرسلون والأقطاب بأسرارهم عليه فلا يشهدون إلا الله وقضاءه ، وبينوا وفصلوا وشرعوا وشرعو المن دونهم حتى يأتى أمر الله لمن شاء من صديق وصفى مصطفى لكشف هذا العلم مع علم المبدأ وعلم الروح وعلم المحبة وعلم البرزخ قبل مفتتح الوجود .

ومنهم انفصلت البرازخ فى كل شىء بين الأضداد والأمثال والأنداد .
ومن ظن أن هذا العلم أعنى علم الروح وغيره مما ذكر وما يذكر لم يحظ به الخاصة العليا أهل البدء الأول الأعلا فقد وقع فى عظيمتين ، جهل أولياء الله إذ وصفهم بالقصور عن ذلك ، وظن بربه أنه معهم .

وكيف يجوز أن يظن على مخصوص . ويرى به التكذيب إلى القدرة والشرع بقوله عن اليهود والعرب كما تضمن الخلاف ، ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى . فما الدليل لك منها على جهل الصديقين وأهل خاصة الله العليا .

والكشف عن هذا أن السؤال يقع بأربعة أحرف بهل وكيف ولم ومن ، « فهل » يقع السؤال عن الشىء أموجود هو أو معدوم ، « وكيف » يقع السؤال عن العلة وليس فى الآية شىء من هذا .

إن قلت : فيها معنى هل . ومعنى هل يقتضى هل الروح موجود أو معدوم وهل عرف وجوده من قبل ولولا ذلك لما قال ويسألونك عن الروح . فثبت أنهم عرفوا وجوده فانبطل هذا . وليس فى هذا سؤال عن الحال كيف هو ولا سؤال عن العلة لم . ولو كان سؤالهم عن هذين لما قدموا بقوله قل الروح من أمر ربى . واقتبعوا وندموا إذ ذاك . شغلهم وعادتهم وإرادتهم .

فسبب إنما كان عن الشىء أين هو بدليل الجواب والبيان الظاهر الشافى : قل الروح من أمر ربى إذ الرسول عالم بما سألوا عنه ، فأجاب عن الله بذلك كما تقول : آدم نسألك عنه وفهم المسئول سؤالهم فقال آدم من تراب ، فإذا رضى الجواب وقنع وليس يرجع العدو إلا بفهم عظيم من المولى العظيم الذى لا مرد له . فكيف يزعم الزاعم أنه لا يعرف ولا يجوز أن يعرف .

وقد أوجب الله علينا معرفته ولا مثل ، ولو مثل ، ولو ضيعناها لكنا

كفاراً أو عصاة ، فكيف بوجود مخلوق أمثاله كثيرة ، هذا عين الجهل أن يقال لا يجوز أن يعرف ، ومن له المثل والنظير وهو روح ويوجب معرفة من لا شبيه له ولا نظير ، نعوذ بالله من جهل الجاهلين وظلم الظالمين .

والذى أقول به أن لله أسراراً لا يسع فيها الرسم ، ولا يليق بها الكتم إلا يرسم فى الدواوين لعلماء البصائر وضعفاء الضمائر ، ولا يليق بها الكتم لوضوحها وشدة ظهورها ، فلا تعبأن بهم مع كثرة حججهم ، وذل للحق ، واخضع له فيما هم فيه ، أو عرض عنهم فيما لا علم لهم به .

وقد أمر الله سبحانه نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام وسائر الأنبياء عليهم السلام وهو الفاضل الذى لا يصل إليه أحد ، ويقول قد شاركتهم فى النبوة والرسالة والهداية والأمور الطارئة على النفوس والأبدان والقلوب والأرواح ، وأقتدى بهم فيما فيه الشركة ، وما خصصنا به ففينا وإلينا .

كذلك أيضاً من فهم هذا السر وأن الله مع عامة المؤمنين ومع أوساطهم ومع الأعلين وفارقهم فيما هو مخصوص بمخصوصين .

فإن تمكن منهم فازدد بعلمك وعملك فقرا إلى الله وتواضعاً للعباد واعطف بالرحمة على عامة المؤمنين ، وإن كانوا ظالين إلا حيث أمرك بالغلظة عليهم مع الدعاء الصالح والدفع عنهم .

فإذا ذكرت هذا مع علمك بعدم التحقيق بما هو دونه هذا لئلا تهتز النفوس فتدعى ما ليس . واجلس مع الباب تظفر بكل ما تريد من رب الأرباب والزم أدب الحضرة إن كنت عالما بها ، وإن لم تعلم فافهم من أبيك ما تسر به .

فذوا الحضرة له أربع مواطن كلها مراكز سره وروحه ونفسه وقلبه وعقله ،

مطمئن بالإيمـان والتوحيد والنور ، والعلم والمعرفة ، واليقين والحياء والهيبة والأنس والمحبة ناطقا بلسان البيان ، يقول فى آداب المراكز :

اللهم إنى أسألك لزوم النظر إليك ، وإلقاء السمع بين يديك والتواطن لمـا يرد على منك . وإن أرجعتنى إلى خلقك فأسألك بى حسن الأدب بالإقبال على من أقبل عليك ، والإعراض عمن أعرض عنك . وإن أرجعتنى حقوقك فأسألك التأدب بأدب رسولك ، ولا تحجبنى بعملى عنك ، وإن أرجعتنى إلى حظوظى ، فأسألك التمـكين من إذنك بموافقة القول منك ، وبالإشارة الـكائنة عنك، واجعلنى ممن يأخذ ذلك بذلك . وقرب الحـكمة من أفواهنا، وأنطق بها ألسنتنا وأملأ بها قلوبنا واستعمل بها ما ظهر وما بطن منا وأيدنا بروح منك حتى لا نؤذى أنفسنا بأهوائنا ، ولا نتبع شيطاننا ، واجعلنا من حزبك فإن حزبك هم الغالبون .

واعلم أن كتابك وصل إلينا لاح منـه السرور لقلوبنا ، وابتهجت به صدورنا ، ولسان الجمع فيه مبسوط ، والفرق عنه مقبوض ، والجمع فى صاحبك موجود لا يليق به النطق ، واطوه فى سرك بشاهد التوحيد لربك وهو على ما هو أولى ربى وربك[1] :

وقد قلت لمن قبلك وكأنك المخاطب دونه إن أردت التى لا لوم فيها فليكن الفرق فى لسانك موجودا ، والجمع فى سرك مشهوداً ، ولا تفتر بفنائك عنه ولا ببقائك وفر إلى الله من كل زوج ولا ترجع بشىء دق أو جل إلا بإذنه .

---

(١) الفرق ملاحظة الموجودات متفرقا بعضها عن بعض والجمع ملاحظتها صادرة من عين الوجود بلا تمييز بين أجناسها وأصنافها .

كيف تغفل عنه ، وقد رحمك بأستاذك وهو معك قائم عليك فى كل أفعالك تشهده البصيرة كأنك أنت هو فما ظنك بالقائم على كل نفس .

وتفسير الإذن من الله : « وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل » ، ثم قال بإذنى وبإذن الله مكرراً ، أى بعلم الله . مكن عيسى عليه السلام من ذلك العلم ، فما قارنه القول كان أتم . وأكثر ما يكون فى المباح وحظوظ النفس والواجب والمندوب قد تناولهما الأمر والنهى قد خرج عنهما فاحتاج الولى هذا إلى الإذن . فلا تخلط الإذن بالأمر فتغلط ، وتسقط جانبا من أحكام الشرع فتكون من الجاهلين .

ونعنى بالإذن فى حق الولى نور ينبسط على القلوب فيجعله الله فيه وعليه ، فيمتد ذلك النور على الشىء الذى يريده فيدركه مع النور نور أو ظلمة تحت نور ، فذلك النور ينبئك أن تأخذ إن شئت ، أو ترفض أو تقبل أو تدبر ، أو تعطى أو تمنع أو تقوم أو تجلس أو تسافر أو تقيم .

هذا باب المباح فيه المأذون فيه بالتخيير . فإذا قارنه القول تأكد الفعل المباح بمراد الله . فإن قارنته نية صحيحة برد عن حكم المباح وعاد مندوبا .

وإن ظهرت الظلمة تحت النور الممتد من القلب ، فلا يخلو أن يلوح عليها لائح الغضب ، فاحذر ذلك وتجنبه ، فإنه المحظور أو يكاد .

ولا ينقطع ذلك إلا ببينة من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو إجماع ، أو بخلاف لمقلد قلدته كمالك والشافعى أو غيرهما من الخلفاء الراشدين فاحكم إذن على أصل صحيح .

فإن تكن الظلمة شبه غيم لا ينصدع معه القلب ، ولا يتفرع به الذهن ، فتباعد عنه ، فإنه يكاد أن يكون مكروها .

ولا تحكم بعقلك ورأيك ، فقد ضل من ههنا خلق كثير . ولا تفت أحداً وإن استفتاك ، وأعط الورع حقه ، ولا تقف ما ليس لك به علم ، فإن تأدبت ههنا فعن قريب تأتيك البينة من ربك، والشاهد يتلوها منه . فهذه نبذة كبيرة من هذا الأمر ولم يكن قصدى وضعها ، ولكن جرى اللسان والقلم بما شاء ، فنسأله المنة والغفران والمشاهدة فى أعلى مقامات درجات الإحسان .

وأما ما بعثت به إلينا فقد وصل إلينا وفرحنا به ، وذكرنا أيادى الإنعام فى سالف الدهر ، والماضى من الأيام ، ولولا أننا نطمع باللقاء لأتحفناك بما أتحفتنا ، فنسأل الله الجمع على ما يحبه ويرضاه .

وأما ما ذكرت من أمر سفرك، فيكون عندنا ، وإن كانت القلوب طامعة حتى جاء مركب المهدية ، وكأنها كزت وانقضت هدم مجيئكم . وأما الزيتونى فأمره قد اهتم له قلبى من قبل مجىء كتابكم إلينا ، واغتمت له قلوبنا .

وقل له : يثبت حتى يقضى الله ما يريده . كان عليه ألوف عددها مائة ألف أو عشرة آلاف ، وهو يسمع أموراً ، ويبصر أموراً ، ويئست الأحباب وحزنت وما يئسنا ، وكان ذلك الاختيار حكما حسناً، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون . وجاء الفرج من الله ، وكأن ذلك لم يكن .

فنسأل الله أن يوزعنا شكر نعمائه ، وأن يخلص أخانا وحبيبنا من ذلك الذل إلى عز الغنى والشهود لإفضاله وإحسانه .

وقد وصل اهتزازكم واهتزاز الحاج زكريا والحاج يحيى ، والحاج عبد الله ، والزروتى والوارشيسى ، وعبد الله الفيتور ، والمرابط محمد ، وقد وصل ذلك الغلام مسعود ، واجتاز على ابن عمهم على ، ورغبناه فى الجلوس ، وسافر إلى الحج ، ولم يجلس عندنا شيئاً بعد الرغبة فيه .

وبعد ما وصل إلينا انكسار سفركم انكسرت قلوبنا ، وكلا لك القابس في عزيمته ، فمنكم المستثير ومنكم الصامت ومنكم المقهور بهمه .

فوالله الذى لا إله إلا هو لو كنت لما قويا ببصر يعيننى لأخوضن كل بر وبحر لأصحابى حتى تخلصهم لما يحبون من ألفتنا بمشيئة الله ومعونته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

واستشار من استشار على السفر فى البر أو فى البحر ، وأومأتم إلى الحزين ، فما علموا أن مركب المهدية قد نزل فى تسعة عشر يوما ، ووجدنا أحمد الصابونى والجد فى السفر إلى بيت الله الحرام وعزمنا على النهوض قبل وصولكم، وكنت راجيا لكم ، ولولا أنا سبعون نسمة قد وطنوا على السفر معى فى هذه السنة وباعوا أشياء، و[هم] نيف ومائتان، والسبعون خاصتهم،منهم الفقهاء والعلماء ، ولا أعلم طائفة من الخلفاء والأمناء والنقباء والنجباء والأبدال الأخفياء والأخيار ، فوجدت معدنهم باليمن ، وأرجو لقاء بعضهم .

ولولا هذه الطائفة مكثت عليكم عاما حتى تأتوا ، ولكن أمواجهم حملتنى ، وانقادت النفس لدعوة الله ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ونحن إن شاء الله على السفر بجميع أهلنا فى شهر تاريخه ، أو بعده بقليل . ولسبب الإمساك فى العادة زرع لنا يدرس ، قد جرت فى ثلاث مواضع من غير كد ولا تعب ، ولا أصل ولا آخذ فى فرع ، بل بفضل من الله على أيدى من أحبنا بمراده ، ولا شهود بادية ولا اهتبال بهمة .

فبارك الله فى أهل الفضل ، وزاد منهم فضلا .

والنقلة إلى مصر، ثم إلى الصعيد ، وكل يريد خدمتنا ، ونحن طامعون بأخذ نصف سنة قبل الوقوف إن شاء الله.

ولا أخاف من يزعجنى إلا من تعلق بى، وأراهم لا يتركوننى كما قررت لكم وهذه إرادتى وبالله أستعين وهو حسبى ونعم الوكيل .

وأهل أيضاً قد تعلقوا ببناتهم ، واتخذوا الثغر موطنـا ، ولا وطن لى ولا ملحوظ إلا مقدوره بإرادته على بساط قدرته ، ملاحظا لذاته ، الـكل كله، والأمر أمره ، والسر سره، والسلطان والملك له يؤتيه من يشاء بالإشراف عليه ، وهو غنى عنه ، والله ذو فضل عظيم .

وأما ما ذكرتم من السفر فى البر والبحر ، فلا تعولوا على البر بشيء من أمرين :

الجوع ، والخوف .

وقد بلغت الزبيبة فى برقة مبلغا شاقا ، وقلما يوجد الطعام ، فالداخلون يفالون معه ، وقلما يفال [أحد] منهم [شيئاً] .

ولو كان الرخاء فلا تدخلوا هذه الطريقة إلا بغنى وعناية ، عادية ، من متقدم شيخ ، أو بيقين خاص يأخذ من الحق ، محمول بالصدق ، ناسيا لنفسه وتوكله ، الحق دليله ويد الله على رأسه ، والقدرة تـكفله والمحبة تحمله ، والشوق يقلقه .

تقول له النار : يا مؤمن ، جز فقد أطفأ نورك لهبى ، وهذا قليل وجوده فى غيركم . فمن وجد فى نفسه خاصة ، وهو عن غيره بمعزل إذ لا مرتبـة له فى الملك[1] .

فابكوا، ثم ابكوا بأبصار الرءوس على فقد الحاملين لأثقالنا، والذاهبين عنا والعالمين بأحوالنا ، كأنهم جهال ، معنا يعدون كواحد منا . لـكن الله لم يخل من واحد أو ثلاثة أو أربعة ، هم خصوص هذه الأمة فى كل زمان .

---

(١) من هنا تبين سريان هذا المذهب فى مدرسة ابن عطاء الله ، التى أظهر مبادئها فى كتابه التنوير فى إسقاط التدبير .

لكن شقوتنا ودعاوينا ، وفتنتنا بالدنس من أعمالنا أوجب عجائب « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

وفصل سهل بن عبد الله التقوى من الحول والقوة ، وعدل عما تزين به الباطلون من ظاهر من ظاهر التقوى مع دنس باطنهم .

وصحيح أن فى عبد ظاهره المعاصى والشهوات ، ويحمل نفسه على أنواع الطاعات ، وقد سد الأفق بالدعاوى، وإضافة الحول والقوة إلى نفسه ، فهذا عبد قد جاوز الحد ، وأعظم الفرية والعجب .

فلا يقوم خيره بشره ، والمحققون يذهبون الأشياء ، وينظرون البواعث والثمار ، فإذا فقدوا الثمار علموا أن علمه وعمله مدخول ، فإذا فقدت البواعث الصحيحة فى الأصول فلا يعتد بأعمالهم .

قال الله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » .

فيا مدعى التقوى . أين المخرج ؟ . فإذا رأيت المخرج فبوعد الله وضمانه ، وإن لم تجد بتقواك إلا تحيراً فمن الصادق ومن الكاذب ؟ ومن أصدق من الله قيلا : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

ولا يصح التوكل إلا لمتق ، ولا تتم التقوى إلا بالبواعث والثمار .

فدققوا النظر فى البواعث والأصول والثمار ، والله يحب الصابرين .

وأما ركوب البحر فهو أقرب وأحب إلى ، وأقل للإنفاق . فمن وجد الركوب من المهدية ، فقد أوصينا عليكم الشيخ أبا على السقاط ، ولا ينتقل أحدكم إلينا إلا على يقين فى غالب الظن ، لئلا يتحقق زاده مع هم النفس وتقلب القلب .

وإذا كان الأمر كله لك فانظروا وقدروا سفرنا من الثغر ، بمجيء أحدكم ،

ولا يجد من يأنس إليه ، فينقطع قلبه ، ويضيق عليه الوقت ، فلا هو إلى حرم الله ، ولا هو إلى بيته[1] .

اللهم إلا من وطن نفسه على الأرياح على أى وجه تقلب، وكان من قال الله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » . أتراهم منع جنوبهم عن المضاجع النوم وترك قلوبهم مضطجعة وساكنة إلى غيره ، بل رفع قلوبهم عن كل شيء ولا يضاجعون بأسرارهم شيئاً . فافهم هذا المعنى .

« تتجافى جنوبهم » عن مضاجعة الأغيار ، ومنازعة الأقدار ، « يدعون ربهم خوفا وطمعا » إليه ومنه . فبالخوف منه قطعهم إليه ، وبالشوق إليه أطمعهم فيه « ومما رزقناهم ينفقون » . ولو وسعني بسط الكلام ههنا لكتبت لك مسجلات ، لكن الحق قد قدر القلوب بقدرته ، وأدهشها بحكمته ، وأغناها بمناجاته عن مخاطبة خلقه .

وأما أمر الحاج زكريا أنه عطل بسبب خمسة عشر ديناراً ، ولو جاء بسلف مثلها ومثلها ، فالمرجو من الله أداؤها ، ولكن كتابه يقتضى أكثر من ذلك فى نظر العلم والله الموفق للصواب .

وأما الفقير أبو يحيى فقد بلغنى عزمه ، وسلموا عليه وأخبروه أن ابن عمه حج وهو فى الثغر عند ابنى عمه إبراهيم ومحمد ، وهما جليلا القدر فى الفضل والعلم ، الكبير منهم متجرد للتصوف ، عدل حسيب فى الدين والخير والسماحة

---

(١) ميزة من ميزات الشاذلى رضى الله عنه وهى مشاعر مراعاة المشاعر الإنسانية . وبعد ذلك فى الأوراد التى تركز على الدعاء والاسترزاق والراحة فى الرزق .

وأما محمد فهو بالغ فى علم الأصلين ، فقد أخذ من الفروع قوتاً ، وهو متزوج ، وأخوه غارب، وإن قدم أحد منكم فدلوه على الفقيهين الجليلين: أبى عمر وأخيه جمال الدين ، وعلى الفقيه السديد أبى محمد عبد الوهاب : ابن من الله عليه وعلى صهرى شرف الدين .

ونحن نوصى بذلك :

وأما الكتاب الذى أخبرتم أنه اشترى ، فإن مكنكم منه فليأت به أحد أو تدفعوه مع من يوثق به ليدفع عند بعض هؤلاء الفقهاء الفضلاء أو الجمال أو صهرى أو السديد وأذنت لكم أن تسلموا على أصحابى بالحضرة والبادية مشافهة وتبلغا وكتابه منكم على ما استطعتم والسلام عليكم وعلى من ذكر ومن لم يذكر وعلى أهل البلد والإقليم جميعا ورحمة الله وبركاته .

تاريخه ليلة الخامس عشر المحرم سنة ست وأربعين وستمائة .

الفصل الثالث

فى دعواته وأذكاره وتوجيهاته

حزب الفتح

الذى فتح الله به عليه ، ويسمى حزب الأنوار أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . اللهم إنا نسألك يقيناً لا ضد له ونسألك توحيداً لا يقابله شرك ، وطاعة لا تقابلها معصية ، ونسألك محبة لا لشيء ولا على شيء ، وخوفا لا من شيء ولا على شيء ، ونسألك تنزيها لا من نقص ولا من دنس بعد التنزيه من النقائص والأدناس، ونسألك تقديساً ليس وراءه تقديس ، وكمالا ليس وراءه كمال وعلما ليس فوقه علم .

ونسألك الإحاطة بالأسرار وكتمانها على الأخيار .

رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى وهب لى تقواك ، واجعلنى ممن يحبك ويخشاك ، واجعل لى من كل ذنب وهم وغم وضيق وشهوة ورغبة ورهبة وخطرة وفكرة وإرادة وفعله ومن كل قضاء وأمر مخرجا أحاط علمك بجميع المعلومات ، وعلت قدرتك على جميع المقدرات ، وجلت إرادتك[1] أن يوافقها أو يخالفها شيء من الكائنات .

---

(١) فى طث : وتجلت قدرتك

حسبي الله حسبي الله حسبي الله ، وأنا برىء مما سوى الله . الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله نور عرش الله ، لا إله إلا الله نور لوح الله ، لا إله إلا الله نور قلم الله ، لا إله إلا الله نور رسول الله لا إلا إلا الله نور سر ذات رسول الله ، لا إله إلا الله آدم خليفة الله . لا إله إلا الله نوح نجى الله ، لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله ، لا إله إلا الله موسى كليم الله ، لا إله إلا الله عيسى روح الله ، لا إله إلا الله محمد حبيب الله، لا إله إلا الله الأنبياء خاصة الله لا إله إلا الله الأولياء أنصار الله .

لا إله إلا الله الرب الإله الملك الحق المبين ، لا إله إلا الله الملك اللطيف الرزاق القوى العزيز ذوالقوة المتين، لا إله إلا الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار،لا إله إلا الله العلى العظيم.

لا إله إلا الله العلى العظيم ، لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحانه الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم .

الحمد لله رب العالمين بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفى الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون . حسبي الله ، آمنت بالله رضيت بالله توكلت على الله . لا قوة إلا بالله أتوب إليك بك منك إليك ولا أنت لما تبت إليك فامح من قلبي محبة غيرك ، واحفظ جوارحي عن مخالفة أمرك[1] .

والله لئن ترعنى بعينك وتحفظنى بقدرتك لأهلكن نفسي ولأهلكن أمة من خلقك ثم لا يعود ضرر ذلك إلا على عبدك .

أعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك بل أنت أجل من أن أثنى

(١) تشترك الشاذلية مع الخلوتية فى مضمون هذه الأذكار . انظر حزب الإمام النووى . وورد الستار للباكوبى .

عليك ، وإنما هى أعراض تدل على كرمك قد منحتها لنا على لسان رسولك لنعبدك بها على أقدارنا لا على قدرك ، فهل جزاء الإحسان الأول الكامل إلا الإحسان منك .

يا من به ومنه وإليه يعود كل شىء أسألك بحرمة الأستاذ بل بحرمة النبى الهادى صلى الله عليه وسلم وبحرمة الاثنين والأربعة ، وبحرمة السبعين والثمانية وبحرمة أسرارها منك إلى محمد رسولك ، وبحرمة سيده آى القرآن من كلامك وبحرمة السبع المثانى والقرآن العظيم بين كتبك ، وبحرمة الإسم الأعظم الذى لا يضر معه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، وبحرمة قل هو الله أحد . . .

اكفنى كل غفلة وشهوة ومعصية مما تقدم أو تأخر ، واكفنى كل طالب يطلبنى من خلقك بالحق وبغير الحق فى الدنيا والآخرة ، فإنه لك الحجة البالغة وأنت على كل شىء قدير .

واكفنى هم الرزق وخوف الخلق واسلك بى سبيل الصدق وانصرنى بالحق واكفنا كل عذاب من فوقنا أو من تحت أرجلنا ، أو يلبسنا شيعا أو يذيق بعضنا بأس بعض ، واكفنا كل هم وكل هول دون الجنة ، واكفنا شر ما تعلق به علمك مما كان وما يكون إنك على كل شىء قدير .

سبحان الملك الخلاق ، سبحان الخلاق الرزاق ، سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ، سبحان ذى العزة والجبروت ، سبحان ذى القدرة والملكوت ، سبحان من يحيى ويميت ، سبحان الحى الذى لا يموت سبحان الملك القادر ، سبحان العظيم القاهر وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير ، قل حسبى الله الذى لا إله إلا هو عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون .

أعوذ بالله من جهد البلاد ومن سوء القضاء ، ومن درك الشقاء ، ومن شماتة الأعداء ، وأعوذ بالله ربى وربك كل شىء من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب.

يا من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه . انصرنى بالخوف منك والتوكل عليك حتى لا أخاف غيرك ، ولا أعتمد شيئاً سواك يا خالق السبع السموات ، ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ، أشهد أنك على كل شىء قدير وأنك قد أحطت بكل شىء علما .

أسألك بهذا الأمر الذى هو أصل الموجودات وإليه المبدأ والمنتهى وإليه غاية الغايات أن تسخر لنا هذا البحر بحر الدنيا وما فيه ، ومن فيه كما سخرت البحر لموسى وسخرت النار لإبراهيم وسخرت الجبال والحديد لداود، وسخرت الرياح والشياطين والجن لسليمان ، وسخر لى كل بحر هو لك ، وسخر لى كل جبل ، وسخر لى كل حديد ، وسخر لى كل ريح ، وسخر لى كل شيطان من الجن والإنس، وسخر لى نفسه، وسخر لى كل شىء يامن بيده ملكوت كل شىء واحمل أمرى باليقين وأيدنى بالنصر المبين إنك على كل شىء قدير .

الحزب الكريم والحجاب العظيم

وهو الحزب الكبير (حزب البر)[1]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد :

« إن الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن وفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

« التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » .

« قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

« إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين

---

(١) من أشهر أحزاب الشاذلى رضى الله عنه ، وواظب عليه ناس كثيرون فى جماعة فوجدوا فيه خيراً كثيرا .

قال رضى الله عنه عن هذا الحزب : « والله ما وضعت فيه حرف إلا بإذن من ربى ، وأمر من فيه حرف إلا بإذن سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » . وقال : « من قرأ ضربنا فله ما لنا وعليه ما علينا . أى له ما لنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة »

والصادقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما » .

« إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون ، والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين بشهاداتهم قائمون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون » .

اللهم إنا نسألك صحبة الخوف وغلبة الشوق وثبات العلم ودوام الفكر ، ونسألك سر الأسرار المانع من الإصرار حتى لا يكون لنا مع الذنب والعيب قرار ، واجتبنا واهدنا إلى العمل بهذه الكلمات التى بسطتها لنا على لسان رسولك وابتليت بهن إبراهيم خليلك فأتمهن ، قال إنى جاعلك للناس إماما ، قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين ، فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن ذرية آدم ونوح .

واسلك بنا سبيل أئمة المهتدين والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار . الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار .

ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا

ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد».

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ».

« ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ».

« ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ».

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا . وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ».

« ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ».

« وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ».

« وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ، فقالوا على الله توكلنا . ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ».

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا ».

« ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ».

« ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقراً ومقاما ، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ».

« ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك الفوز العظيم » .

« ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون » .

« ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم . ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير » .

بسم الله الرحمن الرحيم . « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .

بسم الله الرحمن الرحيم . « قل أعوذ برب الفلق • من شر ما خلق • ومن شر غاسق إذا وقب • ومن شر النفاثات في العقد • ومن شر حاسد إذا حسد» .

بسم الله الرحمن الرحيم . « قل أعوذ برب الناس • ملك الناس • إله الناس من شر الوسواس الخناس • الذى يوسوس فى صدور الناس • من الجنة والناس»

بسم الله الرحمن الرحيم • « الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين • إياك نعبد وإياك نستعين • اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

« الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون وهو الله في السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون .

« الحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » .

« لقد جاءت رسل ربنا بالحق » .

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم . دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » .

« وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً » .

« الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً » .

« قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما تشركون » .

« الحمد لله الذى له مافى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور » .

« الحمد لله فاطر السموات جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شىء قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم » .

« ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » .

ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون .

« وقال الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ، وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » .

« فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون » .

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

« وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وهو بكل شىء عليم . ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

« ألر . كهيعص . حمعسق » .

« رب احكم بالحق ، وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون » .

« طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . إلا تذكرة لمن يخشى . تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلا . الرحمن على العرش استوى . له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى . وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى . الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى .

اللهم إنك تعلم أنى بالجهالة معروف وأنت بالعلم موصوف ، وقد وسعت كل شىء من جهالتى بعلمك تسع ذلك برحمتك ، واغفر لى إنك على كل شىء قدير .

يا ألله ، يا مالك يا وهاب ، هب لنا من نعمائك ما علمت لنا فيه رضاك ، واكسنا كسوة تقنا بها من الفتن فى جميع عطاياك ، وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصا مما استأثرت به فى علمك عمن سواك .

يا ألله يا عظيم يا على يا كبير ، نسألك الفقر مما سواك ، والغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك ، والطف بنا فيهما لطفا علمته يصلح لمن والاك ، واكسنا جلابيب العصمة فى الأنفاس ، واجعلنا عبيد الله فى جميع الحالات وعلمنا من لدنك علما نصير به كاملين فى المحيا والممات .

اللهم أنت الحميد ، الرب المجيد ، الفعال لما تريد ، تعلم فرحنا بماذا ولماذا وعلى ماذا ، وتعلم حزننا كذلك ، وقد أوجبت كون ما أردته فينا ومنا ، ولا نسألك دفع ما تريد ، ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك ، إنك على كل شىء قدير .

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك ، فهنيئا لمن عرفك فرضى بقضائك ، والويل لمن لم يعرفك ، بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك .

اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا ، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا ، فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك ، وكل وُجد يحجب عنك فنسألك بدله فقد الصحبة أنوار محبتك ، فإنه قد ظهرت

السعادة على من أحببته ، وظهرت الشقاوة على من غيرك تسلكه ، فهب لنا من مواهب السعداء ، واعصمنا من موارد الأشقياء .

اللهم إنا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم ، فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم ، وقد أمرتنا ونهيتنا ، والمدح والذم ألزمتنا ، فأخو الصلاح من أصلحته ، وأخو الفساد من أضللته ، والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك ، والشقي حقا من حرمته مع كثرة السؤال لك ، فأغننا بفضلك عن سؤالنا منك ، ولا تحرمنا من رحمتك مع كثرة سؤالنا لك إنك على كل شيء قدير .

يا شديد البطش يا جبار يا قهار يا حكيم ، نعوذ بك من شر ما خلقت ، ونعوذ بك من ظلمة ما أبدعت ، ونعوذ بك من كيد النفوس فيما قدرت وأردت ، ونسألك عز الدنيا والآخرة كما سألكم نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، عز الدنيا بالإيمان والمعرفة ، وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة ، إنك سميع قريب مجيب .

اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض ، وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان ، أقدم إليك بين يدي ذلك كله « الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم » .

أقسمت عليك ببسط يديك ، وكرم وجهك ، ونور عينيك ، وكمال أعينك أن تعطينا خير ما نفذت به مشيئتك وتعلقت به قدرتك وأحاط به علمك ،

واكفنا شر ما هو ضد لذلك ، وأكمل ديننا ، وأتمم علينا نعمتك ، وهب لنا حكمة الحكمة البالغة ، مع الحياة الطيبة والموتة الحسنة ، وتول قبض أرواحنا بيدك وحل بيننا وبين غيرك فى البرزخ وما قبله وما بعده بنور ذاتك ، وعظيم قدرتك ، وجميل فضلك ، إنك على كل شىء قدير .

يا ألله يا على يا عظيم ، يا حليم يا حكيم ، يا سميع يا قريب يا مجيب يا ودود ، حل بيننا وبين غيرك فى البرزخ وما قبله وما بعده بنور ذاتك وعظيم قدرتك وجميل فضلك ، إنك على كل شىء قدير .

يا ألله يا على يا عظيم يا حكيم يا كريم يا سميع يا قريب يا مجيب يا ودود ، حل بيننا وبين فتنة الدنيا والنساء والغفلة والشهوة وظلم العباد وسوء الخلق ، واغفر لنا ذنوبنا ، واقض عنا تبعاتنا واكشف عنا السوء ، ونجنا من الغم ، واجعل لنا منه مخرجا ، إنك على كل شىء قدير .

يا ألله يا ألله يا ألله ، يا لطيف يا رزاق يا قوى يا عزيز ، لك مقاليد السموات والأرض ، تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر ، فابسط لنا من الرزق ما توصلنا به إلى رحمتك ، ومن رحمتك ما تحول به بيننا وبين نقمتك ، ومن حلمك مايسعنا به عفوك ، واختم لنا بالسعادة التى ختمت بها لأوليائك ، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك ، وزحزحنا فى الدنيا عن نار الشهوة ، وأدخلنا بفضلك فى ميادين الرحمة ، واكسنا من نورك جلابيب العصمة ، واجعل لنا ظهيرا من عقولنا ، ومهيمنا من أرواحنا ومسخرا من أنفسنا كى نسبحك كثيراً ، ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيراً ، وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة ، وافتح أسماعنا وأبصارنا ، واذكرنا إذا غفلنا عنك ، بأحسن مما تذكرنا به إذا ذكرناك ، وارحمنا إذا عصيناك ، بأتم مما ترحمنا به إذا أطعناك ،

واغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر ، والطف بنا لطفا يحجبنا عن غيرك ، ولا يحجبنا عنك ، إنك على كل شيء قدير .

« اللهم إنا نسألك إيمانا دائما ، ونسألك قلبا خاشعا ، ونسألك علما نافعا ، ونسألك يقينا صادقا ، ونسألك دينا قيما ، ونسألك العافية من كل بلية ، ونسألك تمام العافية ، ونسألك دوام العافية ، ونسألك الغنى عن الناس [ثلاثا] .

اللهم إنا نسألك التوبة الكاملة ، والمغفرة الشاملة ، والمحبة الكاملة الجامعة والخلة الصافية ، والمعرفة الواسعة ، والأنوار الساطعة ، والشفاعة القائمة ، والحجة البالغة ، والدرجة العالية ، وفك وثاقنا من المعصية ، ورهاننا من النعمة بمواهب المنة ، إنك على كل شيء قدير .

اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها ، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها ، فذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها ، واحملنا على النجاة منها ومن التفكر في طرائقها ، وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها ، واستبدلها بالكراهة لها ، والطعم لما هو بضدها ، وأفض علينا من بحر كرمك وجودك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها ، واجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها ، وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها ، وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها .

اللهم إنا نسألك توبة سابقة منك إلينا ، لتكون توبتنا تابعة إليك منا ، وهب لنا التلقي منك كما تلقى آدم منك الكلمات ، ليكون قدوة لولده في التوبة والأعمال الصالحات . وباعد بيننا وبين العناد والإصرار والشبه بإبليس رأس الغواة ، واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت ، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك ، والإساءة لا تضر مع الحب منك وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف ، فآمن خوفنا ، ولا تخيب رجاءنا ،

وأعطنا سؤلنا ، فقد أعطيتنا الإيمان من قبل أن نسألك ، وكتبت وحببت وزينت وكرهت ، وأطلقت الألسن بما به ترجمت ، فنعم الرب أنت ، فلك الحمد على ما أنعمت ، فاغفر لنا ، ولا تعاقبنا بالسلب بعد العطاء ، ولا بكفران النعم وحرمان الرضا .

اللهم رضينا بقضائك ، وصبرنا على طاعتك ، وعن معصيتك ، وعن الشهوات الموجبات للنقص أو البعد عنك ، وهب لنا حقيقة الإيمان بك ، حتى لا نخاف غيرك ، ولا نرجو غيرك ، ولا نحب غيرك ، ولا نعبد شيئا سواك ، وأوزعنا شكر نعمائك ، وغطنا برداء عافيتك ، وانصرنا باليقين والتوكل عليك ، وأسفر وجوهنا بنور صفاتك ، وأضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك ، واجعل يدك مبسوطة علينا وعلى أهلينا وأولادنا ومن معنا برحمتك ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا أقل من ذلك ، يا نعم المجيب ، يا نعم المحبوب ، يا نعم المجيب . يا من هو هو هو فى علوه قريب .

يا ذا الجلال والإكرام ، يا محيطا بالليالى والأيام ، أشكو إليك من غم الحجاب ، وسوء الحساب ، وشدة العذاب ، وإن ذلك لواقع ما له من دافع إن لم ترحمنى .

لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين [ثلاثا] .

ولقد شكى إليك يعقوب فخلصته من حزنه ، ورددت عليه ما ذهب من بصره وجمعت بينه وبين ولده . ولقد ناداك نوح من قبل فنجيته من كربه ، ولقد ناداك أيوب من بعد فكشفت ما به من ضره ، ولقد ناداك يونس فنجيته من غمه ، ولقد ناداك زكريا فوهبت له ولداً من صلبه بعد يأس أهله وكبر سنه ، ولقد علمت ما نزل بإبراهيم فأنقذته من نار عدوه ، وأنجيت لوط وأهله من العذاب النازل بقومه .

فها أنذا عبدك ، إن تعذبنى بجميع ما علمت من عذابك فأنا حقيق به ، وإن ترحمنى كما رحمتهم مع عظيم إجرامى فأنت أولى وأحق من أكرم به . فليس كرمك مخصوصا بمن أطاعك وأقبل عليك ، بل هو مبذول بالسبق منك لمن شئت من خلقك وإن عصاك وأعرض عنك .

وليس من الكرم ألا تحسن إلا لمن أحسن إليك وأنت المفضال الغنى ، بل من الكرم أن تحسن إلى من أساء إليك وأنت الرحيم العلى ، كيف وقد أمرتنا أن نحسن إلى من أساء إلينا ، فأنت أولى بذلك منا .

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين [ثلاثا] .

يا ألله ، يا ألله ، يا ألله ، يا رحمن ، يا رحمن ، يا رحمن ، يا قيوم ، يا قيوم ياقيوم ، يا من هو هوهو ، يا هو ، إن لم نكن لرحمتك أهلا أن ننالها ، فرحمتك أهل تنالنا .

يا رباه ، يا رباه ، يا رباه ، يا مولاه يا مغيث من عصاه ، أغثنا أغثنا أغثنا يارب يا كريم ، وارحمنا يا بر يا رحيم يا من وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم .

أسألك الإيمان بحفظك إيمانا يسكن به قلبى من هم الرزق وخوف الخلق ، واقرب منى بقدرتك قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك ، فلم يحتج لجبريل رسولك ، ولا لسؤاله منك ، وحجبته بذلك عن نار عدوه .

وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحباء . كلا ، إنى أسألك أن تغيبنى بقربك منى ، حتى لا أرى ولا أحس بقرب شىء ولا ببعده عنى ، إنك على كل شىء قدير .

أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق

لا إله إلا هو رب العرش الكريم ، ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ، وقل رب اغفر وارحم ، وأنت خير الراحمين

هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين .

إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت وباركت ورحمت على سيدنا إبرهيم ، وعلى آل سيدنا إبرهيم ، فى العالمين إنك حميد مجيد .

اللهم وارض عن ساداتنا الخلفاء الراشدين ، أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وارض اللهم عن سيدنا الحسن، وعن سيدنا الحسين، وعن أمهما فاطمة الزهراء، وعن أزواج نبيك الطاهرات أمهات المؤمنين ، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الدعاء المبارك

المعروف بحزب البحر(١)

حدثنا الشيخ الصالح أبو العزائم ماضى بن سلطان رحمه الله بمدينة تونس كلأها الله تعالى وكذلك الشيخ الصالح المبارك شرف الدين ولد الشيخ رضى الله عنه بمدينة دمنهور الوحش من الديار المصرية عام خمسة عشر وسبعمائة قالا : أراد الشيخ السفر من القاهرة إلى الحج بعد خروج الحج بمدة يسيرة . فقال : أمرت بالحج هذا العام فاطلبوا لنا مركبا فى النيل نسافر فيه على الصعيد .

فنظروا مركبا فما وجدوا إلا مركبا للنصارى فيه شيخ نصرانى وأولاده فقال : نركب فيه . قال : فركبنا فيه واقلعنا عن القاهرة يومين أو ثلاثة .

قال وتبدل الريح فى وجوهنا فأرسينا فى شط النيل بموضع خال من العمارة وبقينا نحو الجمعة ونحن ننظر إلى جبل القاهرة . فقال بعض من كان معنا من الحاج : كيف يقول الشيخ : أمرت بالحج فى هذا العام والوقت قد فات ومتى يكون هذا السفر .

قالا : فنام الشيخ فى وسط النهار واستيقظ ودعا بهذا الدعاء ، وقال : أين ريس المركب ؟ فقال : نعم . قل له : إيش اسمك ؟ قال : مسمار فقال : يا مسمار البركة افتح القلاع . فقال له : ياسيدى نرجع إلى القاهرة فقال له : نرجع مسافرين

---

(١) من سيوف الشاذلية لقضاء الحاجات .

فى ثبت ابن عابدين وغيره أن القارىء ينوى مايريد عند قوله «وسخر لنا هذا البحر» . وعند قوله «حم» فى المرة السابعة ويمد بها نفسه ويحط جسده ثم يمسح جسده بيد وينوى وقال هذا من أسرار التلقين .

إن شاء الله تعالى . فقال له : هذا الريح يردنا إلى القاهرة بقية هذا اليوم ولا يمكن الإقلاع به أصلا . فقال له : افتح القلاع على بركة الله تعالى .

قال : ففتحنا القلاع وأمر الله تعالى الريح فدارت ، وامتلأت القلاع بالريح حتى ما استطاعوا أن يحلوا الحبل من الوتد فقطعوه وخرجنا بريح طيبة ، وأسلم الريس وأخوه وبقى أبوهما يبكى ويقول : خسرت أولادى فى هذه السفرة ويقول له الشيخ بل ربحتهما .

قال : فلما كان فى تلك الليلة رأى الشيخ النصرانى كأن القيامة قد قامت ورأى الجنة والنار ورأى الشيخ يقدم جماعة كثيرة إلى الجنة وأولاده صحبتهم فأراد اتباعهم فمنع وقيل له : ما أنت منهم حتى تدخل فى دينهم فأخبر الشيخ بذلك وأسلم فقال له الشيخ الناس الذين رأيتهم معى هم أصحابى إلى يوم القيامة . قالا : وسافرنا وتيسر الأمر بحكايات يطول شرحها .

قال سيدى ماضى رحمه الله : وجاء من الشيخ النصرانى ولى عظيم من أولياء الله تعالى فباع مركبه وحج معنا هو وأولاده وكان صاحب زاوية ببلاد الصعيد ممن تجرى على يده الكرامات وكانت هذه السفرة المباركة مظهرة لمثل هذه الكرامة ، رحمه الله تعالى ورضى عنه .

قال رضى الله عنه : والله ما قلته إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنيه منه تلقينا وقال لى احتفظ به فإن فيه اسم الله الأعظم . وما قرىء فى مكان إلا وكان فيه أمن . ولو كان عند أهل بغداد ما أخذها التتر وهو هذا .

***

يا على يا عظيم يا حليم يا عليم ، أنت ربى ، وعلمك حسبى ، فنعم الرب ربى ، ونعم الحسب حسبى ، تنصر من تشاء وأنت العزيز الحكيم .

أسألك العصمة فى الأنفاس واللحظات ، والحركات والسكنات والكلمات والإرادات والخطرات من الظنون والشكوك والأوهام الساترة للقلوب عن طالعة الغيوب فقد ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً . وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً فثبتنا وانصرنا ، وسخر لنا هذا البحر ، كما سخرت البحر لموسى ، وسخرت النار لإبراهيم ، وسخرت الجبال والحديد لداود ، وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان .

وسخر لنا كل بحر هو لك فى الأرض والسماء والملك والملكوت ، وبحر الدنيا وبحر الآخرة ، وسخر لنا كل شىء يا من بيده ملكوت كل شىء .

كهيعص . كهيعص . كهيعص . حم عسق .

انصرنا فإنك خير الناصرين ، واغفر لنا فإنك خير الغافرين ، وافتح لنا فإنك خير الفاتحين، وارزقنا فإنك خير الرازقين ، وارحمنا فإنك خير الراحمين، وهب لنا ريحا طيبة كما هى فى علمك ، وانشرها علينا من خزائن رحمتك ، واحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية فى الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير .

اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا والسلامة والعافية فى دنيانا وديننا ، وكن لنا صاحبا فى سفرنا وخليفة فى أهلنا ، واطمس على وجوه أعدائنا وامسخهم على مكانتهم فلا يستطيعون المضى ولا المجىء إلينا .

ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون . ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون .

يس . والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم . لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون . لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون .

شاهت الوجوه . شاهت الوجوه . شاهت الوجوه .

ومن أزكاره رضى الله عنه

حزب الحمد

[وهو] ما رواه عنه سيدنا الشيخ الصالح الولى العارف أبو العباس أحمد الموسى نفع الله بهما وأظهره لأصحابه حزب الحمد ، ويسمى حزب النور .

حدثنى به الشيخ الصالح الولى أبو خذر مسعود مسكوردى وروينه عنه بمدينة القاهرة عام ستة عشر وسبعمائة وهو هذا .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

قل هو الله أحد الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد . ومن شر حاسد إذا حسد .

قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس .

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين .

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى . للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون

وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم .

لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم . الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير . آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان .

يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر .

اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم .

الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان . . تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام .

سبحان ربى العظيم (ثلاثا) .

سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . لله ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم . هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير . له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور .

هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس . من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس .

اللهم يا من هو كذلك وعلى ما وصفه به عباد الله المخلصون من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء الموقنين والأولياء المقربين من أهل سمواته وأرضه وسائر الخلق أجمعين أسألك بها وبالآيات والأسماء كلها وبالعظيم

منها وبالأم والسجدة وبخواتم سورة البقرة وبالمبادىء والخواتم وبآمين على الموافقة ، وبحاء الرحمة ، وميم الملك ودال الدوام محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما .

أمون قاف أدمهاء آمين . كهيعص . اغفر لى وارحمنى برحمتك التى رحمت بها أنبياءك ورسلك ولا تجعلنى بدعائك رب شقيا وإنى خفت وأخاف أن أخاف ثم لا أهتدى إليك سبيلا فاهدنى إليك وآمنى بك من كل خوف ومخوف فى الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير .

اللهم يا بديع السموات والأرض يا قيوم الدارين يا قيوما بكل شىء ياحى يا قيوم يا إلهنا لا إله إلا أنت واجعلنا فى جوارك واحجبنا بالذى حجبت به أولياءك فترى ولا يراك أحد من خلقك ، وأصبب علينا من الخير أكمله وأجمله واصرف عنا من الشر أصغره وأكبره .

طس حم عسق مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان .

اللهم إنا نسألك الخوف منك والرجاء فيك والمحبة لك والشوق إليك والأنس بك والرضا عنك والطاعة لأمرك على بساط مشاهدتك ناظرين إليك منك وناطقين بك عنك لا إله إلا أنت . .

سبحانك ظلمنا أنفسنا وقد تبنا إليك قولا وعقدا فتب علينا جودا وعطفا واستعملنا بعمل ترضاه وأصلح لنا فى ذرياتنا إنا تبنا إليك وإنا من المسلمين .

يا غفور يا ودود يابر يا رحيم اغفر لنا ذنوبنا وقربنا بودك وصلنا بتوحيدك وارحمنا بطاعتك ولا تعاقبنا بالفترة ولا بالوقفة مع شيء دونك ، واحملنا على سبيل القصد ، واعصمنا من جائرها إنك على كل شيء قدير .

اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيننا وبين الصدق والنية والإخلاص والخشوع والهيبة والحياء والمراقبة والنور واليقين والعلم والمعرفة والحفظ والعصمة والنشاط والقوة والستر والمغفرة والفصاحة والبيان والفهم فى القرآن ، وخصنا بالمحبة والاصطفائية والتخصيص والتولية ، وكن لنا سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا وآتنا العلم اللدنى والعمل الصالح والرزق الهنيء الذى لا حجاب به فى الدنيا ولا حساب ولا سؤال ولا عقاب عليه فى الآخرة على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع ، وأدخلنا مدخل صدق وأخرجنا مخرج صدق واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا .

يا على يا عظيم يا حليم يا سميع يا بصير يا مريد يا قدير يا حى يا قيوم يا رحمن يا رحيم يا من هو هو هو ياهو أسألك بعظمتك التى ملأت أركان عرشك وبقدرتك التى قدرت بها على خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شيء وبعلمك المحيط بكل شيء وبإرادتك التى لا ينازعها شيء وبسمعك وبصرك القريبين من كل شيء يا من هو أقرب إلى من كل شيء . كل حياتى وعظم افترائى وبعد منائى واقترب شقائى وأنت البصير بمحنتى وجرتى وشهوتى وسوءتى تعلم ضلالتى وعمايتى وفاقتى وما قبح من صفاتى .

آمنت بك وبأسمائك وصفاتك وبمحمد رسولك، فمن ذا الذى يرحمنى غيرك ومن ذا الذى يسعدنى سواك ، فارحمنى وأرنى سبيل الرشد ، واهدنى إليه

سبيلا وأرنى سبيل الغى وجنبنى إياه سبيلا وأصحبنى منك الحق والنور والحكم والفضل والبيان واحرسنى بنورلا يا أللّه يا نور يا حق يا مبين .

اللهم إنى أصبحت أكره الشر ، وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فاهدنى بنورز لنورك فيما يرد على منك ، وفيما يصدر منى إليك وفيما يجرى بينى وبين خلقك، وضيق على بقربك واحجبنى بحجب عزتك وعز حجبك، وكن أنت حجابى حتى لا يقع شىء منى إلا عليك ، وسخر لى أمر هذا الرزق واعصمنى من الحرص والتعب فى طلبه ، ومن شغل القلب وتعلق الهم به ومن الذل للخلق بسببه ومن التفكر والتدبير فى تحصيله ومن الشح والبخل بعد حصوله وما يحصل فى النفس من ذلك ، وتخلفه بقدرتك على وفق علمك وإرادتك ومن ضرورات الحاجات إلى خلقك ، فاجعله سببا لإقامة العبودية ومشاهدة لأحكام الربوبية ، وهب لى خفية من خفياتك ، ونورا من أنوارك وذكرا من أذكارك وطاعة من طاعات أنبيائك وصحبة لملائكتك وتول أمرى بذاتك ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك .

واجعلنى حسنة من حسناتك ورحمة بين عبادك تهدى بها من تشاء إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور .

اللهم اهدنى لنورك ، واعطنى من فضلك ، وامنعنى من كل عدو هو لك ، ومن كل شىء يشغلنى عنك ، وهب لى لسانا لا يفتر عن ذكرك وقلبا يسمع بالحق منك وروحا يكرم بالنظر إليك ، وسرا متمتعا بحقائق قربك ، وعقلا خامد الجلال عظمتك وزين ما ظهر وما بطن منى بأنواع طاعتك يا سميع يا عليم يا عزيز يا حكيم .

اللهم كما خلقتنى فاهدنى وكما أمتنى فأحينى وكما أطعمتهم فأطعمنى واسقنى

ومرضى لا يخفى عليك فاشفنى ، وقد أحاطت بى خطيئاتى فاغفر لى وهب لى علما يوافق علمك وحكما يصادف حكمك واجعل لى لسان صدق بين عبادك واجعلنى من ورثة جنتك ونجنى من النار وأدخلنى الجنة حالا ومآلا برحمتك وأرنى وجه محمد نبيك ، وارفع الحجاب فيما بينى وبينك واجعل مقامى عندك دائما بين يديك ، وناظرا منك إليك ، وأسقط البين عنى حتى لا يكون بين بينى وبينك .

وا كشف لى عن حقيقة الأمر كشفا لا طلب بعده لعبدك مع المزيد المضمون بكريم وعدك إنك على كل شىء قدير .

يا ألله يا عزيز يا حكيم إنك قد أيدت من شئت بما شئت كيف شئت على ما شئت ، فأيدنا بنصرك لخدمة أوليائك ، ووسع صدورنا لمعرفتك عند ملاقاة أعدائك ، واجلب لنا من رضيت عنه حتى نخضع له ونذل كما جلبته لمحمد رسولك .

واصرف عنا كيد من سخطت عليه كما صرفت عن إبرهيم خليلك ، وآتنا أجرنا فى الدنيا بالعافية من أسباب النار ومن ظلم كل جائر جبار وسلامة قلوبنا من جميع الأغيار .

وبغض لنا الدنيا ، وحبب إلينا الآخرة وابعثنا فيها من الصالحين إنك على كل شىء قدير .

يا ألله يا عظيم يا سميع يا عليم يا بر يا رحيم عبدك قد أحاطت به خطيئاته، وأنت العظيم وندائى كأنه لا يسمع ، وأنت السميع وقد عجزت عن سياسة نفسى وأنت العليم وأنى لى برحمتها وأنت البر الرحيم .

كيف يكون ذنبى عظيما مع عظمتك . أم كيف يجيب من لم يسألك وتترك من سألك . أم كيف أسوس نفسى بالبر وضعفى لا يعزب عنك، أم كيف أرحمها بشىء وخزائن الرحمة بيدك .

إلهي عظمتك ملأت قلوب أوليائك فصغر لديهم كل شيء ، فاملأ قلبي بعظمتك حتى لا يصغر ولا يعظم لديه شيء ، واسمع ندائي بخصائص اللطف فإنك السميع لكل شيء .

إلهي سترعني مكاني منك حتى عصيتك وأنا في قبضتك واجترحت ما اجترحت فكيف بالاعتزاز إليك .

إلهي معصيتك نادتني بالطاعة ، وطاعتك نادتني بالمعصية ففي أيهما أخاف وفي أيهما أرجوك . إن قلت بالمعصية قابلتني بفضلك ، فلم تدع لي حقا . وإن قلت بالطاعة ، قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء فليت شعري كيف أرى إحساني مع إحسانك أم كيف أجهل فضلك مع عصيانها .

قاف جيم سران من سرك ، وكلاهما دالان على غيرك ، فبالسر الجامع الدال عليك لا تدعني لغيرك إنك على كل شيء قدير .

يا ألله يا فتاح يا غفار يا منعم يا هادى يا ناصر يا عزيز هب لي من نور أسمائك ما أتحقق به حقائق ذاتك وافتح لي واغفر لي وأنعم على واهدني وانصرني وأعزني . يا معز يا مذل لا تذلني بتدبير مالك ، ولا تشغلني عنك بمالك ، فالكل كلك والأمر أمرك ، والسر سرك ، عدمي وجودي ، ووجودي عدمي ، فالحق حقك ، والجمل جملك ، ولا إله غيرك ، وأنت الحق المبين .

يا عالم السر وأخفى ، ياذا الكرم والوفا ، علمك قد أحاط بعبدك ، وقد شقى في طلبك ، فكيف لا يشقى من طلب غيرك ، تلطفت بي حتى علمت أن طلبي لك جهل ، وطلبي لغيرك كفر ، فأجرني من الجهل واعصمني من الكفر .

يا قريب أنك العزيز وأنا البعيد ، قربك أيأسني من غيرك ، وبعدي عنك ردني للطلب لك ، فكن لي بفضلك حتى تمحق طلبي بطلبك . يا قوى يا عزيز إنك على كل شيء قدير .

اللهم لا تعذبنا بإرادتك ، وحب شهواتنا ، فنشغل أو نحجب أو نفرح بوجود مرادنا ، أو نحزن أو نسخط ، أو نسلّم تسليم النفاق عند الفقد ، وأنت أعلم بقلوبنا فارحمنا بالنعيم الأكبر ، والمزيد الأفضل ، والنور الأكمل وغيبنا وغيب عنا كل شىء ، واشهدنا إياك بالإشهاد ، وانصرنا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الإشهاد .

يا ألله ، يا قدير ، يا مريد ، يا عزيز ، يا حكيم ، يا حميد إنا نسألك بالقدرة العظمى ، وبالمشيئة العليا ، وبالآيات والأسماء كلها ، وبهذا العظيم منها : أن تسخر لنا هذا البحر ، وكل بحر هولك فى الأرض والسماء ، والملك والملكوت ، كما سخرت البحر لموسى ، وسخرت النار لإبراهيم ، وسخرت الجبال والحديد لداود ، وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان ، وسخر لنا كل شىء يا من بيده ملكوت كل شىء ، وهو يجير ولا يجار عليه .

يا ألله يا على يا عظيم يا حليم يا عليم ، أحون قاف أدم حم هاء آمين .

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت على سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد .

اللهم وارض عن ساداتنا أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وعن الحسن والحسين ، وعن الصحابة أجمعين ، وعن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين .

ومن أذكاره رضى الله عنه

اللهم إنى أتوسل بك إليك . اللهم إنى أقسم بك عليك .

اللهم كما كنت دليلى عليك ، فكن شفيعى إليك .

اللهم إن حسناتى من عطائك ، وسيئاتى من قضائك ، فجد اللهم بما أعطيت على ما به قضيت ، حتى تمحو ذلك بذلك ، لا لمن أطاعك فيما أطاعك فيه له الشكر ، ولا لمن عصاك فيما عصاك فيه له العذر ، لأنك قلت وقولك الحق : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » .

اللهم لولا عطاؤك لكنت من الهالكين ، ولولا قضاؤك لكنت من الفائزين وأنت أجل وأعظم وأعز وأكرم من أن تطاع إلا بإذنك ورضاك . أو أن تعصى إلا بحكمك وقضائك .

إلهى ما أطعتك حتى رضيت ، ولا عصيتك حتى قضيت ، أطعتك بإرادتك والمنة لك على ، وعصيتك بتقديرك ، والحجة لك على ، فبوجوب حجتك ، وانقطاع حجتى إلا ما رحمتنى . وبفقرى إليك ، وغناك عنى إلا ما كفيتنى يا أرحم الراحمين .

اللهم إنى لم آت الذنوب جرأة منى عليك ، ولا استخفافا بحقك ، ولكن جرى بذلك قلمك ، ونفذ به حكمك وأحاط به علمك ، ولاحول ولاقوة إلا بك ، والعذر إليك ، وأنت أرحم الراحمين .

اللهم إن سمعى وبصرى ولسانى وقلبى وعقلى بيدك لم تملكنى من ذلك شيئا ، فإذا قضيت بشىء فكن أنت وليى ، واهدنى إلى أقوم السبيل .

يا خير من سئل ويا خير من أعطى ، يا رحمن الدنيا والآخرة ارحم عبدا لا يملك الدنيا ولا الآخرة ، إنك على كل شيء قدير .

* * *

قال رضي الله عنه : بت ذات ليلة فى غم عظيم ، فألهمت أن أقول :

مننت على بالإيمان والمحبة ، والطاعة والتوحيد ، فأخذت منى الغفلة والشهوة والمعصية ، وطرحتنى النفس فى بحر الظلم ، فهى مظلمة وعبدك محزوق مهموم مغموم ، وقد التقمه نون الهوى[1] ، وهو يناديك نداء المحبوب المعصوم نبيك وعبدك يونس بن متى ويقول : « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » .

فاستجب لى كما استجبت له ، وانجذبنى بهواء المحبة فى محل التفريد والوحدة ، وأنبت على أشجار اللطف والجنان إنك أنت الله الملك المنان ، وليس لى إلا أنت وحدك لاشريك لك ، ولست بمخلف وعدك لمن آمن بك ، إذ قلت وقولك الحق : « فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين » .

يا ألله يا جميل ، يا جليل اللطف ، ألطف بى بلطفك الذى لطفت به ، وانصرنى بالرعب الشديد على أعدائك ، إنك على كل شيء قدير .

---

(١) أى حوت الهوى : إشارة إلى قوله تعالى عن يونس عليه السلام « فالتقمه الحوت وهو مليم » .

ومن أذكاره رضي الله عنه

يا ألله يا فتاح ، يا عليم يا غني يا كريم ، افتح قلبي بنورك ، وارحمني بطاعتك ، واحجبني عن معصيتك ، وامنن علي بمعرفتك ، وأغنني بقدرتك عن قدرتي ، وبعلمك عن علمي ، وبإرادتك عن إرادتي ، وبحياتك عن حياتي ، وبصفاتك عن صفاتي ، وبوجودك عن وجودي ، وبدنوك عن دنوي ، وبقربك عن قربي ، وبحبك عن حبي ، وبصدقك عن صدقي ، وبحفظك عن حفظي ، وبنظرك عن نظري ، وبتدبيرك عن تدبيري ، وباختيارك عن اختياري ، وبحولك وقوتك عن حولي وقوتي، وبجودك وكرمك وفضلك ورحمتك عن علمي وعملي، إنك على كل شيء قدير .

* * *

ومن أذكاره رضي الله عنه

يا ألله يا عليم ، يامريد يا قدير، ربطت كل العالم بعلمك، وميزته بإرادتك . فالشقي حقا من رأى الإحسان من غيرك ، مع الدعاوى المريضة .

فإن الكل في قبضتك ، فخلقني بصفاتك ، حتى أكون بغير تكوين كما كنتُ في علمك ، وميزني بإرادتك عن وصف الحدوث ، إذ لا حادث يحدث لك .

وهب لي من نور قدرتك ما يطمئن به قلبي كإبراهيم خليلك . أنت أنت إلهي ، بك أكون ، فأسألك سعادة لا أشقى معها بمطالعة غيرك ، إنك على كل شيء قدير .

ومن أذكاره رضى الله عنه

يا سميع يا عليم يا قريب يا مجيب يا محيط يا دائم .

أنت الله الذى أسمعتنى لذيذ خطابك ، وتعرفت إلى بكشف حجابك ، وأجبتنى من حيث أنت بما أردت من إجابتك ، فوجدتك محيطا دائما ، فانتفى المحاط به مع دوامك .

إن نظرت إلى نفسى خاب نظرى عن ملاحظاتك ، وإن نظرت إليك لم يكن لى قرار مع قرارك ، فعقلى ينزهك ، وقلبى يصدقك ، ونفسى تخدمك ، وروحى تحبك ، وسرى يشهدك .

إلهى أنت أقرب إلى من تمييز عقلى ، ومن تصديق قلبى ، ومن خدمة نفسى ، ومن محبة روحى[1] ، ومن شهادة سرى ، فأعوذ بك من حجابى بصفاتك .

إلهى قربك أشتاق إليه من حيث أنت ، فلا تحجبنى عنك من حيث أنا ، لا إله إلا أنت تقوى من شئت لما شئت بما شئت إنك على كل شىء قدير .

* * *

(١) هنا تظهر مزية الشاذلية حيث يبدأون من الله إلى الخلق « ها أنت وربك » كما يبدأون بالحب من أول قدم ثم تكون المجاهدة بعد ذلك من حيث علم الفرق .

ومن أذكاره رضى الله عنه

يا باعث يا وارث ، يا جامع يامقسط ، أنت الذى تجمع الخير لمن شئت كيف شئت ، وأنت الجامع المقسط ، فكل محبوب يكون لى ولا يكون لك فاصرفه عنى ، حتى لا يكون لى إلا ما يكون لك ، وغذنى بلطائف من عندك ، كما غذيت محمد نبيك صلى الله عليه وسلم ، إنك على كل شىء قدير .

* * *

ومن أذكاره رضى الله عنه

يا غنى يا قوى ، يا قدير يا عزيز .

من للفقير غير الغنى ، ومن للضعيف غير القوى ، ومن للعاجز غير القادر ، ومن للذليل غير العزيز ؟ فأجلسنى على بساط الصدق ، واكسنى لباس التقوى الذى هو خير ، وهو من آياتك ، واحجبنى بعظمتك عن كل شىء هو لك ، واملأ قلبى بمحبتك ، حتى لا يكون فيه متسع لغيرك ، إنك على كل شىء قدير .

* * *

ومن أذكاره رضى الله عنه

إلهى إن الدنيا حقيرة حقير ما فيها ، وإن الآخرة كريمة ، كريم ما فيها ، وأنت الذى حقرت الحقير ، وكرمت الكريم ، فأنى يكون كريما من طلب غيرك ، أم كيف يكون أهدى من اختار لدنياه غيرك ، فحققنى بحقائق الزهد ، حتى أستغنى بك عن طلبى غيرك .

قاف جيم . سران من سرك ، وكلاهما دالان على غيرك . فبالسر الجامع الدال عليك لا تدعنى لغيرك ، إنك على كل شيء قدير .

* * *

ومن أذكاره رضى الله عنه عند الأذان(١)

اللهم إنك لم تشهدنا على خلقنا ، ولا على خلق أنفسنا ، ولم تتخذ أحدا من المضلين عضدا ، ولم يكن لك شريك فى الملك ، ولم يكن لك ولى من الذل ، كبرت نفسك قبل أن يكبرك المكبرون ، وعظمت وجودك قبل أن يعظمك المعظمون .

فنسألك بذلك التعظيم الذى ليس له نسب ولا سبب عزا لا ذل به ، وغنى لا فقر معه ، وأنسا لا كدر فيه ، وأمنا لا خوف بعده ، وأسعدنا فى إجابة التوحيد فى طاعتك ، حتى كنا يوم الميقات الأول فى قبضتك ، إنك على كل شيء قدير .

---

(١) من هنا يثبت أن الشاذلية تقوم على التذكير بالله دائما حتى يمكن إحداث ملكة من هذا الذكر .

ومن أذكاره رضى الله عنه

فى الصلاة

لا إله إلا الله السميع القريب المجيب ، مجيب دعوة الداعى ، ومجيب دعوة المضطر ، وتكشف السوء ، وتجعل من تشاء خليفة ، إن ربى لسميع الدعاء .

رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ، ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب .

أسألك بصلاتك على سيدنا محمد عبدك ورسولك صلاة تخرجنى بها من الظلمات إلى النور ، واجعلنى من المؤمنين ، فإنك بالمؤمنين رءوف رحيم .

اللهم اجعل هذه الصلاة صلة بينى وبينك ، ولا تجعلها مفاصلة لى عنك ، واجعلها صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، واذكرنى فيها منك بالذكر الأكبر ، وأرنيه فى نفسى وعملى ، وأصحبنيه صحبة الكرامة إلى غاية أجلى ، إنك على كل شىء قدير .

* * *

ومن أذكاره للفرج والسعة

وكان رضى الله عنه يعلم أصحابه لضيق الحال فيجدون الفرج والسعة :

يا واسع يا عليم ، يا ذا الفضل العظيم ، أنت ربى ، وعلمك حسبى ، إن تمسسنى بضر فلا كاشف له إلا أنت ، وإن تردنى بخير فلا راد لفضلك ، تصيب برحمتك من تشاء من عبادك وأنت الغفور الرحيم .

ومن أذكاره رضى الله عنه

يا حى ياقيوم لا إله إلا أنت ، كن لى بحياتك كما كنت لأحبابك ، وأمتنى عنى بصفاتك كما فعلت بأصفيائك ، واجعلنى قيوما بذلك بالعصمة من غيرك ، كما فعلت بمحمد رسولك ، إنك على كل شىء قدير .

إلهى ، إذا طالبت منك القوت فقد طلبت غيرك ، وإن سألتك ما ضمنت لى فقد اتهمتك ، وإن سكن قلبى إلى غيرك فقد أشركت بك[1] .

جلت أوصافك عن الحدوث فكيف أكون معك ، وتنزهت عن العلل فكيف أكون قريبا منك ، وتعاليت عن الأغيار فكيف يكون قوامى بغيرك .

اللهم إنى أسألك توحيدا لا نوفى به ضدا ، ويقينا لا ندفع به شكا .

* * *

ومن أذكاره رضى الله عنه

يا من فضل إنعامه إنعام المنعمين ، وعجز عن شكره شكر الشاكرين ، قد جربت غيرك من المؤملين بى وبغيرى من السائلين ، فإذا كل قاصد إلى غيرك مردود ، وعند سواك معدوم مفقود .

يا من به إليه توسلت ، وعليه فى السراء والضراء عولت وتوكلت ، حاجتى

---

(١) استعمال الحجة المنطقية فكرة جديدة فى الأوراد الشاذلية ولا سيما فى مقام الدلال .

مصروفة إليك ، وآمالى موقوفة عليك ، فكل ما وفقتنى إليه من خير أحمله وأطيقه فأنت الهادى إليه ، ومعينني عليه ، ومسبب أسبابى لديه .

يا كريم لا تؤوده المطالب ، يا سيدا يلجأ إليه كل قاصد ، ما زلت محفوفا منك بالنعم ، جاريا على عادات الإحسان والكرم .

يا من جعل الصبر عونا على بلائه ، وجعل الشكر سببا للمزيد من آلائه ، أسألك حسن الصبر على المحن ، وتوفيقا للشكر على المنن ، جلت نعماك عن شكرى إياها ، وعظمت عن أن يحاط بأدناها ، فتفضل على إقرارى بعجزى ، بعفو أنت به أوسع ، وكرمك أجدر . وعليه أقدر ، فإن لم يكن لذنبى عندك عذر تقبله ، فاجعله ذنبا تغفره ، وعيبا تستره ، يا أرحم الراحمين[1] .

(١) انظر يشيد الطريقة العلية والمفاخر العلية والمآثر العلية .

ومن كلامه فى تمجيد البارى

جل جلاله

اللهم لك الحمد ولك المجد ، حمداً لا نهاية له ولا حد ، ولا يدرك له قبل ولا بعد ، لا أستطيع أن أحمدك كما أنت أهله ، ولا يكمل لسان أحد حقيقة حمدك ولا مثله .

فأحمدك كما أطيقه وألحقه إن كنت عاجزا عما أنت وليه ، ومستحقه ، والحمد لله رب العالمين حمدا يستغرق الألفاظ الشارحة معناه ، ويسبق الألحاظ الطامحة أدناه ، لا يرد وجهه نسكوس ، ولا يحد كنهه تخصيص ، ولا يحرزه بقبض ولا ببسط مثال ولا تخمين ، ولا يحصره بعقل ولا بحظ ، ولا بشمال ولا يمين ولا يجمعه عدد يحصيه ، ولا يسمه أبد يحويه ، ولا يدعه أمل يستوى فيه ، إذا سبقت هواديه لحقت نوائبه .

وأشكرك على أنعمك التى لا أحصيها شكر يقتضى زيادتها ويستدعيها ، مع أنى عاجز عن شكرك والقيام بواجب ذكرك ، لأنى إن اعتقدت الشكر فبالعقل الذى أعطيت ، وإن تكلمت فبالنطق الذى أوتيت ، وإن تعدت لك فبالقوة التى أوليت ، فأين الشكر الذى أضيفه لنفسى ، فإن جميع ذلك هو لك ومنك .

ولو ملكت اعتقادى بقلبى من دون هدايتك ، وإظهاره بلسانى دون معونتك ما كان مقدار ذلك حتى ينهض بحمل أيسر ما اتسع من نعمك ، وصرفت من نقمك ، ولوتعبدت لك مدة حياتى حتى لا أتنفس إلا فى عبادتك أين كان يبلغ ذلك مما تستحقه بجلال عظمتك .

ولو قطعت عنى مادة الرزق يوما لم أستطع القيام بشيء من أمرك ، ولو لم تحفظنى من جميع الآفات لشغلنى أضعف دبيب من خلقك عن قضاء فرضك ، بل النعمة من فواضل جودك ، والعبد من ضعفاء عبيدك ، وما تيسر من الشكر فبتوفيقك وتسديدك .

وأسألك أن تصلى على سيدنا محمد الذى جعلته نور الرشاد ، ودليل العباد ، إلى يوم المعاد ، صلاة تتضاعف إلى الأبد ، وتستحل بالمزيد والمدد ، وتبلغه بالرحمة والبركات ، وتؤده عنى بالتحية والسلام إلى يوم حشر الأنام ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأهل بيته الكرام وسلم تسليما كثيراً بدوام ملك الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم [1] .

* * *

من سلامه على النبى صلى الله عليه وسلم

لما قدم المدينة زادها الله تشريفا وتعظيما وقف على باب الحرم من أول النهار إلى نصفه عريان الرأس حافى القدمين يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما . فسئل عن ذلك ، فقال : حتى يؤذن لى ، فإن الله عز وجل يقول : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم » .

فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام: ياعلى، ادخل، فوقف تجاه الروضة الشريفة فقال: السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليك يا رسول الله أفضل وأزكى وأسنى وأعلا صلاة

---

(١) تلك المناجاة كان لها أثر كبير فى سيدى مصطفى البكرى حين وضع ورد السحر وغيره من أحزابه .

صلاها على أحد من أنبيائه وأصفيائه، أشهد يا رسول الله أنك بلغت ما أرسلت به ، ونصحت أمتك ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، وكنت كما نعتك الله فى كتابه : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

فصلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه من أهل سماواته وأرضه عليك يا رسول الله .

السلام عليكما يا صاحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ويا عمر ورحمة الله وبركاته ، فجزاكما الله عن الإسلام وأهله أفضل ما جازى به وزيرى نبى فى حياته ، وعلى حسن خلافته فى أمته بعد وفاته ، فقد كنتما لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وزيرى صدق ، وخلفتماه بالعدل والإحسان فى أمته بعد وفاته ، فجزاكما الله عن ذلك مرافقته فى الجنة ، وإيانا معكما برحمته ، إنه أرحم الراحمين .

اللهم إنى أشهدك وأشهد رسولك ، وأشهد أبا بكر وعمر ، وأشهد الملائكة النازلين بهذه الروضة الكريمة والعاكفين عليها أنى أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، خاتم النبيين ، وإمام المرسلين .

وأشهد أن كل ما جاء به من أمر ونهى وخبر عما كان أو ما هو كائن فهو صدق لا شك فيه ولا امتراء ، وإنى مقر لك بجنايتى ومعصيتى فى الخطرة والفكرة والإرادة والغفلة وما استأثرت به عليه إذا شئت أخذت وإن شئت عفوت عنه مما هو متضمن للكفران والنفاق ، أو البدعة أو الضلالة أو المعصية ،

أو سوء الأدب معك ومع رسولك وأنبيائك وأوليائك من الملائكة والإنس والجن .

وما خصصت به من شيء في ملكك فقد ظلمت نفسي بجميع (ذلك)[١] ، فامنن علي بالذي مننت به على أوليائك فإنك أنت الله الملك المنان الكريم الغفور الرحيم .

وقال رضى الله عنه

كنت كثيراً ما أداوم على قراءة آية الكرسي ، وخواتيم سورة البقرة من قوله تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

ثم « الم . الله لا إله إلا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق (مصدقا لما بين)[٢] يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان . إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذوا انتقام . إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء . هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

---

(١) ساقطة من طس .
(٢) ساقطة من طت .

قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير . تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب[١] .

* * *

اللهم إنى أسألك صحبة الخوف وغلبة الشوق وثبات العلم ودوام الفكر ونسألك سر الأسرار المانع من الأضرار حتى لا يكون لنا مع الذنب أو العيب قرار، واجتبنا واهدنا إلى العمل بهذه الكلمات التى بسطتها لنا على لسان رسولك، وابتليت بها إبراهيم خليلك فأتمهن ، قال إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين .

فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن ذرية آدم ونوح ، واسلك بنا سبيل أئمة المتقين والله بصير بالعباد .

رب إنى ظلمت نفسى ظلما كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى وتب على . لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين.

وهذا الاستغفار

له شأن عظيم وضياء كريم ، فتناوله ترى عجبا . تقول :

يا ألله يا على يا عظيم يا حليم يا عليم يا سميع يا بصير يا مريد يا حى يا قيوم يا رحمن يا رحيم يا من هو هو يا هو ، يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن ، تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام .

---

(١) سورة آل عمران

ومن دعائه رضى الله عنه

اللهم صانى باسمك العظيم الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهب لى معه سراً لا تضر معه الذنوب شيئا ، واجعل لى منه وجها تقضى به الحوائج للقلب والعقل والروح والسر والنفس والبدن . وأدرج أسمائى تحت أسمائك ، وصفاتى تحت صفاتك ، وأفعالى تحت أفعالك ، درج السلامة وإسقاط الملامة ، وتنزل الكرامة ، وظهور الأمانة ، وكن لى فيما ابتليت به أئمة الهدى من كلماتك ، وأغننى حتى تغنى بى ، وأحونى حتى تحيى بى ما شئت ومن شئت من عبادك ، واجعلنى خزانة الأربعين ، ومن خلاصة المتقين ، واغفر لى فإنه لا ينال عهدك الظالمين[1] .

طس حم عسق . مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان .

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

قل هو الله أحد . الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

* * *

(١) كرر هذا المعنى كثيرا فى أحزابه ومناجاته .

ومن أذكاره رضى الله عنه

يا ألله يا نور يا حق يا مبين افتح قلبى بنورك ، وعلمنى من علمك واحفظنى بحفظك ، وأسمعنى منك وفهمنى عنك ، وبصرنى بك وسبب لى سببا من فضلك تغننى به من الفقر ، وتعزنى به من الذل ، وتصلح لى به الدنيا والآخرة ، وتوصلنى به إلى النظر إلى وجهك الكريم فى جنة الفردوس إنك على كل شىء قدير يا نعم المولى ونعم البصير .

* * *

ومن أذكاره رضى الله عنه

لإجابة الدعاء

إذا أردت أن يستجاب لك فى أسرع من لمح البصر فعليك بخمسة أشياء :

أولها : الامتثال للأمر .

ثانيها : اجتناب النهى .

ثالثها : جمع الهم .

رابعها : تطهير السر .

خامسها : الاضطرار .

وخذ ذلك من قوله « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء .

فإن لم تستطع أن تفعل الخمسة أشياء ، وما أراك إلا كذلك ، فعليك بالخلوة عن الناس واذكر ما شاء الله من قبائحك وأفعالك ، وافتقد جميع أعمالك ، وقدم إليه جميع ما علمت من جميل ستره عليك ، وقل :

يا منان يا كريم يا ذا الفضل العظيم من لهذا العبد العاصى غيرك وقد عجز عن النهوض إلى مرضاتك ، وقطعته الشهوة عن الدخول فى طاعتك ، ولم يبق لى ما أتمسك به سوى توحيدك ، وكيف يجترىء على السؤال من هو معرض عنك ، أم كيف لا يسأل من هو محتاج إليك .

وقد منت على الآن بالسؤال منك ، وجعلت حسبى الرجاء فيك فلا تردنى خائبا من رحمتك يا كريم .

قد جعلت لأسمائك حرمة ، فمن دعاك بها لا يشرك بك شيئا أجبته فبحرمة أسمائك يا ألله يا مالك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا عزيز يا جبار يا متكبر يا خالق يا بارىء يا مصور قنى من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل والشك وسوء الظن وضلع الدين وغلبة الرجال فإنه لك الأسماء الحسنى وقد سبح ما فى السموات والأرض لك وأنت العزيز الحكيم[1] .

اللهم إنى أسألك خيرات الدنيا وخيرات الدين خيرات الدنيا بالأمن والرفق والصحة والعافية وخيرات الدين بالطاعة لك والتوكل عليك والرضا بقضائك والشكر على آلائك ونعمك إنك على كل شىء قدير .

* * *

ومن أذكاره رضى الله عنه

يا ألله يا حميد يا مجيد يا بر يا رحيم يا ألله يا قوى يا متين هب لى من رحمتك ما أحمدك به وأكون من المؤمنين . وارزقنى من لطائف العز ما أكون به قويا متينا حاملا محمولا فى العالمين .

وهب لى من كرمك ما أكون به برا تقيا من الصالحين . يا رحيم يا لطيف ألطف بى لطفا يدركه الواهمون .

إلهى ، وجدتك رحيما حيث لا أرى جودك ، وكيف لا أجدك ناصراً وأنا أرجوك ، من لى إذا قطعتنى ، ومن ليس لى إذا رحمتنى ، فصلنى من حيث تعلم ولا أعلم ، إنك على كل شىء قدير .

(١) دليل آخر على توجيه المنطق لأحزاب الشاذلية .

الفصل الرابع

فى مراثيه ووصاياه

وكلامه فى التصوف وفى غير ذلك من العلوم

قال رضى الله عنه : للصوفى أربعة أوصاف : التخلق بأخلاق الله ، والمجاورة لأوامر الله ، وترك الانتصار للنفس حياء من الله ، وملازمة البسيط بصدق الفناء مع الله .

وقال رضى الله عنه : الدليل ينقسم على ثلاثة أقسام : من طريق العقل ، ومن طريق الكرامة ، ومن طريق السر ، وهذا الثالث للبغين وبعض الصديقين ، ودليل الكرامة لأولياء الله المقربين ودليل العقل للعلماء . وقال بعض الحكماء : المعرفة من الله تأتى على وجهين : وجه من طريق عين الجود ، ووجه من طريق بذل المجهود .

قال الشيخ رضى الله عنه : أما من عين الجود فقوم بدأهم الله بكرامته ، فبكرامته وصلوا إلى طاعته ، وأما بذل المجهود فقوم وصلوا بطاعتهم إلى كرامته .

اليقين والمعرفة:

وقال رضى الله عنه : اليقين اسم لدرك الحقائق بلا ريب ولا حجاب . والمعرفة كشف العلوم مع الحجاب فإذا رفع الحجاب سميناه يقينا . فذو الحقائق مجذوب ، وذو المعرفة مسلوب عن نفسه .

فالمعارف ذخائر ، والأنوار بصائر . فالمعرفة سمة ، والتوحيد صدق ، والحكمة إلقاء ، والنور بيان .

والعلوم على ضربين: مواهب ومكاسب . والمكاسب على ضربين: وجه من طريق السمع ، ووجه من طريق النظر .

علامات القطب :

وقال رضى الله عنه : للقطب خمس عشرة كرامة ، فمن ادعاها أو شيئا منها فليبرز :

يمد بمدد الرحمة والعصمة والإنابة والنيابة ، ومدد حملة العرش ، ويكشف له عن حقيقة الذات ، وإحاطة الصفات ، ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجود والانفصال ، الأول عن الأول ، وما انفصل عنه ، وما بث فيه ، وحكم ما قبل وما بعد ، وحكم ما لاقبل ولا بعد ، وعلم البدء ، وهو العلم المحيط بكل عالم وبكل معلوم بدا من السر الأول إلى منتهاه ، ثم يعود إليه .

العلم الحقيقى :

وقال رضى الله عنه العلم الحقيقى هو الذى لا تزاحمه الأضداد ولا الشواهد بنفى الأمثال والأنداد ، كعلم الرسول والصديق والولى .

فمن دخل هذا الميدان كان كمن غرق فى البحر ، وتلاطمت عليه أمواجه ، فأى ضد يزاحمه أو تلقاه أو تسمع به أو تراه .

ومن لم يدخل هذا الميدان احتاج إلى قوله تعالى : « ليس كمثله شىء » .

الطريق :

وقال رضى الله عنه : الطريق القصد إلى الله تعالى بأربعة أشياء . فمن جاوزهن فهو من الصديقين المحققين . ومن جاوز منهن ثلاثا فهو من أولياء الله المقربين ، ومن جاوز منهن اثنتين فهو من الشهداء الموقنين ، ومن جاوز منهن واحدة فهو من عباد الله الصالحين .

أولها : الذكر ، وبساطة العمل الصالح ، وثمرته النور .

الثانى : التفكر ، وبساطة الصبر ، وثمرته العلم .

الثالث: الفقر ، وبساطة الشكر ، وثمرته المزيد منه .

الرابع : الحب ، وبساطة بغض الدنيا ، وثمرته الوصلة بالمحبوب .

فصل

فى آداب العزلة

اعلم أيدك الله أنك إذا أردت الوصول إلى الله تعالى فاستعن بالله واجلس على بساط الصدق مشاهدا ذاكرا له بالحق ، ورابط قلبك بالعبودية المحضة على سبيل المعرفة ، ولازم الشكر والمراقبة والتوبة والاستغفار .

فأنا أشرح لك هذه الجملة لئلا يقع الغلط فيها على سبيل الوصلة ، وهو أن تقول : الله . الله . مثلا أو ما شاء الله من الذكر ، مراقبا لقلبك بالتقوى ، بترك الدفع من نفسك ، والجلب لها . وتجد ذلك فى آيتين من كتاب الله تعالى .

قوله عز وجل : « أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله » . فهذه الآية من الدفع .

ومن الجلب قوله تعالى : « أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه » .

ووصف الذكر أن تذكر بلسانك ، وتراقب قلبك . فما ورد عليك من الله من خير قبلته . وما ورد عليك من ضد كرهته . رجوعا إلى الله تعالى فى الدفع والجلب كما وصفت لك .

واحذر أن تدفع أو تجلب لنفسك شيئا إلا بالله . فإن خامر سرك شىء من ذنب أو عيب أو نظر إلى عمل صالح أو حال جميل ، فبادر إلى التوبة والاستغفار من الجميع .

أما من الذنب أو العيب فواجب شرعا ، وأما من [النظر إلى] العمل الصالح أو الحالة الجميلة فلعلته . واعتبر باستغفار النبى صلى الله عليه وسلم بعد

البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهذا من معصوم لم يقترف ذنبا قط ، فما ظنك بمن لا يخلو من ذنب أو عيب فى وقت من الأوقات .

وأما الجلوس على بساط الصدق فبتحقق أوصافك من الفقر والضعف والعجز والذلة ، واجلس عليها ، ناظراً لأوصافه من الغنى والقدرة والقوة والعزة . فتلك من أوصاف العبودية ، وهذه من أوصاف الربوبية .

وصدق ملازمة أوصافك ، ولا تنتقل عنها إلى ما ليس لك فتكون من الخائبين بقلب الحقائق . وقل :

يا غنى يا قوى يا قدير يا عزيز . من للفقير غير الغنى ، من للضعيف غير القوى من للعاجز غير القادر ، من للذليل غير العزيز . فأجلسنى على بساط الصدق ، واكسنى لباس التقوى الذى هو خير ، وهو من آياتك ، واحجبنى بعظمتك عن كل شىء هو لك ، واملأ قلبى بمحبتك حتى لا يكون فيه متسع لغيرك إنك على كل شىء قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[1] .

---

(١) تأثر صريح من سيدى مصطفى البكرى فى ورد السحر حيث يقول فى آخره يا قوى أنت القوى وأنا الضعيف من للضعيف سواك يا قادر أنت القادر وأنا العاجز . . . الخ .

أسماء النصرة عند الدخول فى العزلة

فاستمسك بها ، ولا تعجل فى شيء من أمورك ، وقل :

باسم الله ، وبالله ، ومن الله ، وإلى الله ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون .

وهذه أسماء الرضا وسعة الصدر مما يرد عليك من الضيق فى العزلة .

حسبى الله ، آمنت بالله ، رضيت بالله ، توكلت على الله ، لا قوة إلا بالله .

وقل فى بعض مناجاتك وسؤالك .

يا من وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم . أسألك الإيمان بحفظك إيمانا يسكن به قلبى من هم الرزق وخوف الخلق ، وأقرب منى بقدرتك قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ، ولا لسؤاله منك ، وحجبته بذلك عن نار عدوه .

فكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحباء . كلا . إنى أسألك أن يغيبنى بقربك منى حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا ببعده عنى إنك على كل شيء قدير .

فصل

فى رد وسواس الشيطان

ومن أراد ألا يكون للشيطان عليه سبيل فليصحح الإيمان والتوكل والعبودية لله ، على بساط الفقر واللجوء والإستعاذة بالله . قال الله تعالى :

« إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » . وقال تعالى :

« إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » . وقال تعالى :

« وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله » .

وبصحيح الإيمان بالشكر على النعماء والصبر على البلاء والرضا بالقضاء .

وصحة التوكل بهجران النفس ، ونسيان الخلق ، والتعلق بالملك الحق ، وملازمة الذكر .

وإذا عارضك عارض يصدك عن الله فاثبت . قال الله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .

وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله . وأضدادها أوصاف الربوبية ، فالك ولها . فلازم أوصافك ، وتعلق بأوصاف الله ، وقل من بساط الفقر الحقيق : يا غنى من للفقير غيرك .

ومن بساط الضعف : يا قوى من للضعيف غيرك .

ومن بساط الذل : يا عزيز من للذليل غيرك .

تجد الإجابة كأنها طوع يديك . واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين .

ومن أخلد إلى أرض الشهوة ، ولم تساعده نفسه على التحلى ، وغلب عن التخلى ، فعبوديته فى أمرين :

أحدهما : معرفة النعم من الله فيما وهب له : من الإيمان والتوحيد إذ حببه إليه ، وزينه فى قلبه ، وكره إليه أضداده من الكفر والفسوق والعصيان . فيقول :

رب أنعمت على بهذا ، وسميتني راشداً ، فكيف أيأس منك وأنت تمدنى بفضلك . وإن كنت متخلفا ، فأرجوك أن تقابنى ، وإن كنت زائغا[١] .

والأمر الثانى : اللجوء والافتقار إلى الله تعالى دائما وتقول : سلم سلم ، ونجنى وأنقذنى ، فلا طريق لمن غلبته الأقدار ، وقطعته عن العبودية المحضة لله إلا هذان الأمران ، فإن ضيعهما فالشقاوة حاصـــلة ، والبعد لازم ، والعياذ بالله .

* * *

---

(١) وجملة ذلك كله شهود العمل والعبادة والحركة من الله تعالى .

فصل

فى آداب العزلة

اعلم أن آفات العزلة فى العوام القاصدين إلى الله تعـالى على سبيل المعرفة والإستقامة فى سلوك العلم إلى الله أربع :

أولها : تعلق النفس بالأسباب .

ثانيها : ركون القلب إلى الجهة المخصوصة فى الاكتساب .

ثالثها : اكتساب العقل بما يحصل له من الاقتراب .

رابعها: خطورت العدو بالأمانى الصادة عن المراد .

واعلم : أن آفاتها أيضا فى خواصهم أربع :

أولها : الاستئناس بالوسواس .

ثانيها : التحدث بالرجوع إلى الناس .

ثالثها : التحديد فى الوقت ، وهو من علامات الإفلاس .

رابعها: ملاقاة هواتف الجن على زعمه بالمعهود من الحواس .

ولـكل آفة سبيل فى الجهاد بالرد إلى أصل التوحيد والمعرفة ، والحمل على سبيل الإستقامة .

فإذا عرض لك عارض من جهة التعليق بالأسباب ، أو الركون إلى الجهة المخصوصة فى الاكتساب ، فأرجعها إلى أصل المعرفة بالسوابق فيما قسم الله لها وأجرى عليها . وقل لها : أتتخذى عند الله عهداً أنك لن ترزق إلا بهذه

السبب ، ومن هذه الجهة ؟ وضيق عليها بالمعرفة ، وأغرقها فى بحر التوحيد[١] ، وقل : ماشاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن، وكذلك قالوا : أغرق الدنيا فى بحر التوحيد قبل أن تفرقك .

وإن عرض لك عارض من جهة اكتفاء العقل بما حصل له من علم أو عمل أو نور أو هدى أو خطاب بنجوى فلا تغفل عن السابقة والخاتمة ، ولا عن فعل الواحد المختار الذى يفعل ما يشاء ، ولا يبــــالى بحسنات المقبل ، ولا بسيئات المدبر .

وإن عرض لك عارض من خطرات العد والصادة عن المراد ، وهى من جهات ثلاث . إما من جهة الآخرة ، وإما من جهة الألطاف والمنازل والأحوال والمنازل والأحوال فى الدرجات . فهى صادة عن المراد . والمراد العبودية المحضة ، ووجود الحق بلا سبب من الخلق .

فالله تعالى يقتضى منك أن تــكون له عبداً ، وتحب أنت أن يكون لك ربا . فإذا كنت له عبداً كان لك ربا . وإذا كان لك ربا من حيث ترضاه كنت له عبداً ، ولا يدعك لغيره من طريق الحقائق ، فــكيف بالأمانى .

فاعلم هذا الباب ، وأتقنه جداً ، واستعن بالله ، واصبر إن الله مع الصابرين.

وإذا كنت فى درجــة الخواص من القاصدين وعرض لك فى عزلتك الوسواس بما يشبه العلم من طريق الإلهام والــكشف من حيث التوهم، فلا تقبل، وارجع إلى الحق المقطوع به فى كتاب الله ، وسنة رسوله ، واعلم أن الذى عارضك لو كان حقا فى نفسه ، واعترضت إلى حق بكتابه أو سنة رسوله لما

---

(١) تأثر بشيخه مولانا عبد السلام بن مشيش فى صلواته المــأثورة .

كان عليك عبث فى ذلك . لأنك تقول : إن الله قد ضمن لى العصمة فى جانب الكتاب والسنة ، ولم يضمنها لى فى جانب الكشف والإلهام والمشاهدة . فكيف قبلت ذلك من طريق الإلهام ، ولم تقبله إلا بالعرض على الكتاب والسنة .

فإذا لم تقبله إلا بهما فكيف تأنس بالوساوس الموهمة ؟ . فاحفظ هذا الباب حتى تكون على بينة من ربك ، ويتلو الشاهد ذلك . والبينة لا خطأ معها ولا إشكال والحمد لله .

وإذا عارضك فيها عارض التحدث بالرجوع إلى الناس لتعرض عليهم ما أنت فيه فأنت معهم لم تخرج عنهم بشىء .

ولا تغتر باعتزال بذلك والقلب معهم ، فإن من هرب إلى الله آواه ، وصفة الهرب إليه بالكراهة لجانبهم ، والمحبة لجانب الحق بالالتجاء والاعتصام ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

وإذا عرض لك عارض التحديد فجاهده بالعوارض الممكنة فى العلم ، الحاملة على ذلك بما يجوز أن يكون . فاصرف همتك إلى الله بالتقوى ، كى يجعل لك من ذلك مخرجا ويرزقك من حيث لا تحتسب .

فإن جاذبتك هواتف الحق فآفاتها الاستشهاد بالمحسوسات على الحقائق الغيبيات ، فلا تردها إلى ذلك فتكون من الجاهلين ، ولا تدخل فى شىء من ذلك بعقلك . وكن عند ورودها كما كنت قبل ظهورها حتى يتولى الحق بيانها وإيضاحها وهو يتولى الصالحين .

* * *

فصل فى ثمراتها

ثمرة العزلة الظفر بمواهب المنة ، وهى أربعة :

كشف الغطاء ، وتنزل الرحمة ، وتحقيق المحبة ، ولسان الصدق فى الكلمة[1] قال الله تعالى : «فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة . وكلا جعلنا صالحين » .

فصل فى المراقبة

ثم عليك أيها السالك لطريق الآخرة تحصيل ما أمرت به فى ظاهرك . فإذا فعلت ذلك فاجلس على بساط المراقبة ، وخذ بالتخليص باطنك حتى لا يبقى فيه شىء ، نهاك عنه . وأعط الجد حقه ، وأقلل النظر إلى ظاهرك إن أردت فتح باطنك لأسرار ملكوت ربك .

فما ورد عليك من خطرات تصدك عن مرادك فاعلم أولا قرب ربك منك علما يباشر قلبك بتكرار النظر فى جلب منافعك ، ودفع مضارك ، وانظر : هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض .

وإن من الأرض نفسك ، ومن السماء قلبك ، فإذا نزل من السماء إلى الأرض شىء فمن ذا عنك غير الله :

---

(1) كشف الغطاء لأن العزلة تذهب بالأغيار ، وتنزل الرحمة لعدم وجود المانع الحائل بينها وبين القلب من الأعمال الغيرية .

وتحقيق المحبة لا نحياش العبد نحو من يناجيه ، ولسان الصدق لعدم وجود موجب النفاق وهو النظر إلى الخلق .

« يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم » .

فأعط المراقبة حقها بلزوم العبودية فى أحكامه ، ودع عنك ملازمة الربوبية فى أفعاله ، فإن من ينازعه يغلب ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير » .

نعم ، الحق ما أقول لك . ما من نفس من أنفاسك إلا والله متوليه مستسلما كنت أو منازعا لأنك تريد الاستسلام فى وقت ، ويأبى الله إلا النزاع . وتريد النزاع فى وقت آخر ، ويأبى الله إلا الاستسلام . وزلت هذه على ربوبيته فى جميع أفعاله ، ولا سيما عند من اشتغل بمراعاة قلبه لتحصيل حقائقه .

فإذا كان الأمر بهذا الوصف فأعط الأدب حقه ، فيما يرد عليك بألا تشهد بشىء منك أوليــة ، إلا بأوليته ، ولا آخرية إلا بآخريته ، ولا ظاهراً إلا بظاهريته ، ولا باطنية إلا بباطنيته .

فإن شبهت لمـا يئول الأول نظرت لمـا يؤول فيما يئوله .

فإن صدر عليك خاطر من محبوب يوافق النفس ، أو مكروه لا يلائمها مما لا يحرمه الشرع فانظر لمـا يخلق الله فى قلبك بأثر ما يخطر ببالك . فإن وجدت تنبيهاً فعليك بالتحقق به ، فذلك أدب الوقت عليك ، ولا ترجع إلى غير ذلك .

فإن لم تجد السبيل إلى التحقق فمرس بين يديه فهو أدب الوقت عليك . ومهما رجعت إلى غيره فقد أخطأت سبيلك .

فإن لم يكن ذلك منك ، فعليك بالتوكل والرضى والتسليم ، فإن لم تجد السبيل إليه فعليك بالدعاء فى جلب المنافع ودفع المضار بشرط الاستسلام والتفويض .

وأحذرك من الاختيار فإنه شر عند ذوى الأبصار . فإذن هى أربعة آداب : أدب التحقيق ، وأدب التمريس ، وأدب التوكل ، وأدب الدعاء .

فمن تحقق به حفظ منه . ومن عرس بين يديه كفى من غيره . ومن توكل عليه كفى من اختيار نفسه باختيار ربه ومن دعاه بشرط الإقبال والمحبة أجابه إن شاء فيما يصلحه . أو منعه إن شاء مالا يصلحه . ولكل أدب بساط .

البساط الأول

بساط التحقيق

إذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن صفاته فكن هناك بسرك ، وحرام عليك أن تشهد غيره .

البساط الثانى

بساط التعريس

إذا ورد عليك خاطر من غيره ، وكشف لك عن أفعاله ، فعرس هناك بسرك ، وحرام عليك أن تشهد غير صفاته شاهداً وشهوداً ، وفى الأول فناء الشاهد وبقاء الشهود ،

البساط الثالث

بساط التوكل

فإذا ورد عليك خاطر من غيره ، أعنى ماتقدم ذكره من محبوب أو مكروه، وكشف لك عن عيوبه جلست على بساط محبته متوكلا عليه راضياً بما يبدو لك من آثار فعله فى أنوار حجبه .

البساط الرابع

بساط الدعاء

. فإن ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن فقرك إليه فقد دلك على

غناه . فاتخذ الفقر بساطا واحذر أن تنزل هذه الدرجة إلى غيرها فتقع فى مكر الله من حيث لا تعلم . وأقل ما يكون منك إذا نزلت عنها أن ترجع إلى نفسك مدبراً لها ومختارا . فأشرف أحوالك — ولا حال لك — أن تحملها على الجد والاجتهاد . إما فى ظاهرك ، وإما فى باطنك طمعا أن تدفع بذلك عن نفسك[1] .

وما أسوأ حالك إذا كابدت أن تدفع عنها ما أراد الله أن يدفعه . فكيف إذا نازعته فيما لا يريد دفعه عنك .

وأقل ما فى هذا الباب دعوى الشرك . فإنك قد غُلِبت وما غَلَبت . فإن كنت غالبا فكن حيث شئت . ولا تكون حيث شئت أبداً ، فدل اجتهادك على عظيم جهلك بأفعال الله . وما أقبح عاملا جاهلا أو عالما فاسقا ، فما أدرى بأى شىء أصفك ، أبالجهل أم بالفسق ، أم بهما جميعا . نعوذ بالله من تعطيل النفس عن المجاهدات ، ومن خلو القلب عن المشاهدات . إذ التعطيل ينفى الشرع ، والخلو يُنفى التوحيد . وحاكم الشرع جاء بهما جميعا .

فاخرج عن منازعة ربك تكن موحدا . واعمل بأركان الشرع تكن سنيا . واجمع بينهما بعين التأليف تكن محققا[2] . « أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

ثم إن خطر لك فى مراقبتك أيضا خاطر من مكروه فى الشرع أو محبوب

---

(١) جماع ذلك الوقوف على الضد فى الحال ففى شهود الفنا تقيم فى الفقر ، وفى شهود الفقر تقيم بالغنى به لا بشىء سواه .

(٢) الجمع بينهما يكون بالعمل بالشرع مع شهود العمل من الله جاريا على العبد ، دون استقلال به .

فيه فيما قد سلف منك فانظر ما تذكر به وتنبه . فإن ذكرت الله به فأدبك توحيده على بساط تفريده ، فإن لم تؤدك رؤية فضله فيما حلاك به من لطائف رحمته ، وزنيك من طاعته بتخصيص محبته على بساط مودته . فإن نزلت من هذه الدرجة ولم تكن هناك . فأدبك رؤية فضله إذ سترك فيما اقترفت من معصية ولم يكشف سترك لأحد من خلقه .

فإن صرفت عن هذا الباب ، وذكرت معصيتك ، ولم تذكر ما تقدم من الآداب الثلاثة فكن بآداب الدعاء بالتوبة منها أو مثلها وطلب المغفرة لها حسبما يطالبه الجانى المخلط .

هذا فى جانب المكروه فى الشرع .

وأما إذا ورد عليك خاطر من طاعة تقدمت وذكرت من أفادكها فلا تقر عينك بها بل بمنشئها فإذا قرت عينك بغيره فقد سقطت عن درجة التحقيق ، فإذا لم تكن بهذه المنزلة فكن فى التى تليها وهو أن تشهد عظيم فضل الله عليك إذ كنت من أهلها .

وميراثها أن ترزق خيراً منها . بل من علاماتها الدالة على صحتها وإن لم تتبوأ منها وبوئت فيما دونها : فأدبك تدقيق النظر فى تلك الطاعة . هل هى وأنت سالم من المطالبة فيها . أم هى بعكس ذلك ، وأنت مأخوذ بها .

نعوذ بالله من حسنات تعود سيئات « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » .

فإذا نزلت عن هذه الدرجة إلى غيرها فأدبك طلب النجاة منها بحسنها وسيئها . وليكن هروبك من حسناتك أكثر من هروبك من سيئاتك إن أردت أن تكون من الصالحين .

فصل

اعلم أنك إن أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة إلا من يدلك على الله بإشارة صادقة وبأعمال ثابتة . لا ينقضها كتاب ولا سنة[١] .

وأعرض عن الدنيا بالكلية ، ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيئا على ذلك . بل كن فى ذلك عبد الله ، أمرك أن ترفض عدوه .

فإذا أتيت بهاتين الخصلتين : الإعراض عن الدنيا ، والزهد فى الناس فأقم مع الله بالمراقبة ، والتزم التوبة بالرعاية والاستغفار والإنابة والخضوع للأحكام بالاستقامة .

وتفسير هذه الأربعة : أن تقوم عبد الله فيما تأتى وتذر ، وتراقب قلبك أن ترى فى المملكة شيئا لغيره . وإن أتيت بهذا نادتك هواتف الحق من أنوار العز : إنك قد عميت عن طريق الرشد : من أين لك القيام مع الله بالمراقبة وأنت تسمع قول الله « وكان الله على كل شىء رقيبا » .

فهنالك يدركك من الحياء ما يحملك على التوبة مما ظننت أنه قربة . فالتزم التوبة بالرعاية لقلبك ألا تشهد ذلك منك بحال فتعود إلى ما خرجت منه .

فإن صحت هذه منك نادتك هواتف الحق أيضا من قبل الحق : ليست التوبة منك . بل الإنابة ، منه ، واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك[٢] .

---

(١) ومن هنا لا يجوز صحبة من يسمون بالمجاذيب الذين يسقطون الأعمال ويتعللون بالجذب ، ولا المتشدقين بأقوال بعيدة عن الجادة .

(٢) ومن هنا لا اعتراض على من يقول يجب التوبة من التوبة ، والمعنى : يجب اعتبار التوبة سابقة من الله لاحقه للعبد ، فهو تعالى أجراها على عبده بمنه وكرمه . فهو يتوب من دعوى نفسه فيها لا من عينها .

فهناك تنظر أوصافك فتستعيذ بالله منها ، وتأخذ فى الاستغفار والإنابة .
فالإستغفار طلب الستر من أوصافك بالرجوع إلى أوصافه .

فإن كنت بهذه الصفة . أعني الاستغفار والإنابة ناداك من قريب : اخضع لأحكامى ، ودع عنك منازعتى ، واستقم مع إرادتى برفض إرادتك . وإنما هى ربوبية تولت عبودية . وكن عبداً مملوكا . لا تقدر على شىء ، فمتى رأيت معك قوة وكلتك إليها وأنا بكل شىء عليم .

فإن صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت من هنالك على أسرار لا تكاد تسمع من أحد من العاملين .

فصل

فى القبض والبسط

قلما يخلو العبد منهما ، يتعاقبان عليه كتعاقب الليل والنهار .

والحق يقتضى منك العبودية فيهما .

فمن كان وقته القبض فلا يخلو أن يعلم سببه أو لا يعلمه ، وأسباب القبض ثلاثة :

ذنب أحدثته ، أو دنيا ذهبت عنك أو نقصت لك ، أو ظالم يؤذيك فى نفسك أو عرضك أو ينسبك لغير دين ، وغير ذلك .

فإذا ورد القبض من أحد هذه الأسباب ، والعبودية أن ترجع إلى العلم مستعملا له ، كما أمرك .

أما فى الذنب فبالتوبة والإنابة وطلب الإقالة .

وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص فبالتسليم والرضا والاحتساب .

وأما فيما يؤذيك به ظالم فبالصبر والاحتمال ، واحذر أن تظلم نفسك فيجتمع عليك ظالمان ظلم غيرك ، وظلمك لنفسك . فإن فعلت ما ألزمت من الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح . وربما أثابك من نور الرضا ما ترحم من ظلمك فتدعو له فتجاب فيه دعوتك[1] .

---

(١) وهو مقام صعب المنال يحتاج إلى عزم ومعرفة بأن الفاعل الحقيق هو الله، ولا يمكن القيام فيه إلا من مقام الجمع .

وما أحسن حالك إذا رحم الله بك من ظلمك فتلك درجة الصديقين الرحماء، وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين .

وإذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سبباً ، فالوقت وقتان : ليل ونهار . والقبض أشبه شيء بالليل ، والبسط أشبه شيء بالنهار .

فإذا ورد القبض بغير سبب تعلمه ، فالواجب عليك السكون ، والسكون على ثلاثة أشياء : من الأقوال والإرادات والحركات .

فإن فعلت ذلك فمن قريب يذهب عنك الليل بطلوع نهارك ، أو يبدو نجم تهتدى به ، أو قمر يستضاء به . والنجوم نجوم العلم ، والقمر قمر التوحيد ، والشمس شمس المعرفة .

وإن تحركت فى ظلمة الليل فقل ما تسلم [به] من الهلاك ، واعتبر قوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

فهذا حكم العبودية فى القبض جميعا .

وأما من كان وقتـه البسط فلا يخلو من أن يعلم سبباً أو لا يعلمه . فالأسباب ثلاثة :

السبب الأول : زيادة بالطاعة ، أو نوال من المطاع ، كالعلم والمعرفة .

والسبب الثانى : زيادة من دنيا بكسب أو كرامة أو هبة أو صلة .

والسبب الثالث : بالمدح والثناء من الناس وإقبالهم عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل يدك .

فإذا ورد البسط عليك من هذه الأسباب ، فالعبودية تقتضى أن ترى النعمة

والمنة من الله عليك . واحذر أن ترى شيئاً من ذلك من نفسك ، وحصنها أن تلازم الخوف خوف السلب مما به أنعم عليك فتكون ممقوتاً . هذا فى جانب الطاعة والنوال من الله تعالى .

وأما الزيادة من الدنيا فهى نعمة أيضاً كالأولى ، وخف مما يظن من آفاتها.

وأما مدح الناس لك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضى شكر النعمة بما ستر عليك وخف أن تظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك أقرب الناس إليك .

فهذه آداب القبض والبسط فى العبودية جميعاً ، وبالله التوفيق .

وأما البسط الذى لا تعلم له سبباً فحق العبودية فيه ترك السؤال والإدلال والصولة على النساء والرجال ، إلا أن تقول : سلم سلم إلى الممات . فهذه إن عقلت والسلام .

فصل

فى الفقد والوجد

اعلم أن الفقد والوجد يتعاقبان علينا كتعاقب الليل والنهار ، ومدار هذا الأمر على أربعة :

كن شاكراً لأنعم الله إذا وجدت . وراضياً عن الله إذا فقدتم . وباذلاً للفضل إذا رزقت . وأسلم وجهك إلى الله فى كل أمر إذا قصدت :

« فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعنى وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم . فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » .

ولا تكن عابداً مكابداً ، ولا زاهداً معانداً ، ولا عاصياً متمرداً ، ولا مفترياً جاحداً ، فإن حظيت بالأربع كالأول فقد دخلت فى ثناء الله تعالى بقوله : « شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم » .

وقال رضى الله عنه :

الولى مصان فى أربعة مواطن : من الخواطر والوساوس فى الصلاة ، ووقت الدعاء واللجوء إلى الله ، ووقت نزول الشدائد ، وعند تفريجها .

فهذه المواطن لا يخطر بقلوبهم ولا يتعلق فيها شىء سوى الله تعالى ، وهى محروسة مصانة إلا من أربعة أصناف : من الآخرة وضدها ، ومن ذكر الأولياء وأضدادهم ، ومن ذكر الطاعات وأضدادها ، ومن ذكر حقائق الإيمان وأضدادها ، فهى مصانة من جميع الخواطر كلها إلا من هذه الأربعة لما فيها من فوائد الاستعمال بالعبودية المحضة من النهوض عن الضد .

وكيف لا يكون ذلك ورسالات ربنا على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم محشوة بذكر ذلك كله ، فلا تنازع فى شىء من هذا الباب ، وأعط الأدب حقه فيما يخطر بقلبك ، واعتصم بالله وتوكل عليه إن الله يحب المتوكلين .

وعليك بالتقوى فى ثلاث منازل : تقوى العزائم ، وتقوى الاقتضاء ، وتقوى التحويل فى الأحوال والأماكن .

والتوكل رأس الأعمال والزهد أساسها ، وتفسير التقوى فى العزائم : أن تعزم فى جانب الخير أن تفعله ، وفى جانب الشر ألا تفعله ، ثم تقتضى من نفسك فى وقت ثان بتقوى مجددة أن تفعل كما زعمت ، وأن تترك كما زعمت . ثم يعرضك فى الأحوال الظاهرة والباطنة أحوال كالعز والذل والغنى والفقر والصحة والمرض والبؤس والنعمة وغير ذلك . وفى الباطن كالقبض والبسط والخوف والرجاء وغير ذلك .

ومنه أيضا الكبر والتواضع وخوف الفقر والأمن ، وسائر الأضداد . فتعطى التقوى حقها فى الأحوال وفى الأوصاف وفى التحويل من بلد إلى بلد ومن موضع إلى موضع وغير ذلك . وانظر قوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » . « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » « ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » .

فانفذ بالفهم وأنزل كل تقوى منزلها ترى العجائب من أسرار الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يزهد فى الدنيا يحبه الله ، ومن أحبه الله كفاه الله وكلأه الله وجعله فى حرزه ومأمنه وفى كلاءته وفى معاقله ، ومن يعش عن ذكر الرحمن نفسا أو نفسين أو زمنا أو زمنين أو ساعة أو ساعتين نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصـــــدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون .

وقال رضى الله عنه .

من أراد ألا يضره ذنب فليقل : أعوذ بك من عذاب يوم تبعث عبادك . وأعوذ بك من عاجل العذاب ومن سوء الحساب فإنك لسريع العقاب ، وإنك لغفور رحيم . رب إنى ظلمت نفسى ظلما كثيراً فاغفرلى وتب على لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .

جلاء القلب:

وقال رضى الله عنه : إذا أردت ألا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من قول : « سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم . لا إله إلا الله اللهم ثبت علمها فى قلبى واغفر لى ذنبى ، واغفر للمؤمنين والمؤمنات . وقال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى[1] .

غلبة الشر واللحاق بالخير :

وقال رضى الله عنه : إذا أردت أن تغلب الشر كله ، وتلحق الخير كله ، ولا يسبقك سابق وإن عمل ما عمل فقل : « يا من له الأمر كله ، أسألك الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله ، فإنك لا إله إلا أنت الغنى الغفور الرحيم . أسألك بالهادى محمد صلى الله عليه وسلم إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور مغفرة تشرح بها صدرى

---

(١) وسبب إعطاء هذه الكلمات ذلك المقام تنزيه الله عن المثل ، واعتقاد ألا موجود سواه ، وحب المؤمنين والمؤمنات . وأضداد ذلك يكون منه القيام على القلب .

وتضع بها وزرى وترفع بها ذكرى وتيسر بها أمرى وتنزه بها فكرى ، وترفع بها قدرى إنك على شىء قدير » .

مناجاه :

وقال رضى الله عنه فى بعض مناجاته : يا ألله يا ولى يا نصير يا غنى يا حميد أعوذ بك من دنيا لا يكون فيها نصيب لوجهك ، ومن عمل آخرة يكون فيها حظ لغيرك ، وأعوذ بك من كل حركة تعرى من الاقتداء بسنة رسولك ، أو من ضرورة لاتؤدى إلى حقيقة معرفتك واعكف قلبى فى حضرتك ، وأغننى عن رعايتى برعايتك ، إنك على كل شىء قدير .

ميزان النفس :

وقال رضى الله عنه : كل نفسك وزنها بالصلاة وإقبال الناس عليك وإعراضهم عنك وبالفقد والوجد فى الأحوال الظاهرة ، والباطنة فإن خطر ببالك شىء تسكن إليه أو تفرح به أو تحزن عليه أو تهتم له أو من أجله فذلك عيب يسقطك عن الولاية الكبرى والصديقية العظمى .

وعساك أن تحظى بالولاية الصغرى فى درجات الإيمان ومزيد العمل ، وأن تعدم فيها الوسواس والخواطر لأنك بعيد من سماء الدنيا وقريب من الشيطان والهوى يسترقون ويلقون ويقولون .

فإن أيدت بنجوم العلم وكواكب اليقين ودوام الحفظ فقد تمت ولايتك فى هذا الباب وإلا كنت شاعرا . فتارة لك وتارة عليك على حسب ذلك . ولك أجر الشاهد فى سبيل الله والسلام .

أصول الإرادة :

وقال رضى الله عنه : أصول الإرادة على مذهب محققى الصوفية على أربع : الصدق فى العبودية وترك الاختيار مع الربوبية ، والأخذ بالعلم فى كل شىء ، وإيثار الله بالمحبة على كل شىء .

والصدق ينبنى على أربعة أصول : على التعظيم ، والحياء ، والمحبة ، والهيبة .

وترك الاختيار ينبنى على أربعة أصول : على الشهود فى القبضة ، وعلى التحقيق بالوصلة ، وعلى التصديق ، وعلى الثقة بضمان الله ووعده .

والأخذ بالعلم ينبنى على أربعة أصول : إما من طريق الإشارة ، وإما من طريق المواجهة ، وإما من طريق الفهم ، وإما من طريق السمع .

وأما إيثار الله بالمحبة فعلى أربعة أصول : إيثار الموجود[1] على كل موجود ، وإيثار أفعاله بالرضا عند كل مفقود[2] ، وإيثار محابه على محاب نفسك . هذا لمن نفذ .

أما من لم ينفذ فليكن مع الأستاذ النافذ إلى الله تعالى بهذه المثابة والسلام .

قلب المؤمن والإخلاص :

وقال رضى الله عنه : نور من نور الله استودعه قلب عبده المؤمن ، فقطع به

---

(١) فى طت وطس : إيثار الوجود ، والمعنى الوجود الحق وهو الله تعالى .

(٢) قالوا فى التدريب على الرضا أن يبدأ الإنسان يومه دون تدبير ، ويعتقد أن كل ما يلاقيه فإنما هو من علم الله ، فيسهل عليا الرضا .

عن غيره فهو الإخلاص الذى لا يطلع عليه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هوى فيميله . وتتشعب عنه أربع إرادات :

إرادة الإخلاص فى العمل على التعظيم لله . وعلى الإخلاص للتعظيم لأمر الله .

وإرادة الإخلاص لطلب الآخرة والثواب .

وإرادة الإخلاص فى تصفية العمل من الشوائب لا يراعى فيه غير ذلك .

وكل هذه الإرادات استعهدنا بها ، فمن تمسك بواحدة منها فهو مخلص . وهم درجات عند الله ، والله بصير بما يعملون . وإلى ذلك الإشارة بقوله عز وجل فيما يحكى عنه جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإخلاص سر من سرى أستودعه قلب من أحب من عبادى وقال رضى الله عنه :

الرياء تبرئه القلب بالعمل لغير الله . من حيث لم يأذن الله تعالى .

مشهد فى الإخلاص :

وقال رضى الله عنه : رأيت كأنى أطوف بالكعبة طالبا من نفسى الإخلاص ، وأنا أفتش عليه فى سرى . فإذا النداء : كم تدنون مع من يدنون وأنا السميع العليم القريب الخبير وتعريفى يغنيك عن علم الأولين والآخرين معا ، خلا علم الرسول وعلم النبيين ، وإنما هو أربعة :

إخلاص من مخلص بمخلص به لمخلص له . وهو على ضربين : إخلاص الصادقين ، وإخلاص الصديقين . فإخلاص الصادقين لطلب الأجر والثواب . وإخلاص الصديقين وجود الحق مقصودا به لا شىء من غيره ، فمن استودع

ذلك فى قلبه فهو المستثنى على لسان عدوه بقوله : « لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » .

العلوم :

وقال رضى الله عنه : هذه العلوم أتراس وبيان لمواقع النفوس وخواطرها ومكرها وإراداتها وقطع للقلوب عن الملاحظة والمساكنة والمراكنة على سبيل التوحيد والشرع بصفاء المحبة ، وإخلاص الدين بالسنة .

ولهم بعد زوائد فى مقامات اليقين من الزهد والصبر والرجاء والخوف والتوكل والرضا وغير ذلك من مقامات اليقين . فهذا سبيل القاصدين فى طريق المعاملات .

وأما أهل الله وخاصته فهم قوم جذبهم عن الشر وأصوله ، واستعملهم بالخير وفروعه ، وحبب إليهم الخلوات ، وفتح لهم سبيل المناجاة ، فتعرف إليهم فعرفوه ، وتحبب إليهم فأحبوه وهداهم السبيل إليه فسلكوه ، فهم به وله لا يدعهم لغيره ، ولا يحجبون عنه ، بل هم محجوبون به عن غيره ، لا يعرفون سواه ، ولا يحبون إلا إياه ، « أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب » .

حقيقة الطريق :

ليس هذا الطريق بالرهبانية وأكل الشعير والنخالة[1] ولا ببقية الصناعة ،

---

(١) تصحيح لما شاع وذاع من مراسم الصوفية واعتقادهم الزهد فى مظاهر الحياة ، بل الزهد الحق كما يقول سيدى أحمد زروق هو برودة وقع الأشياء على القلب .

وإنما هو بالصبر واليقين فى الهداية « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون . إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .

وهذا الثغر ثغر كريم فيه خمس خصال : الصبر والتقوى والورع واليقين والمعرفة . الصبر إذا أوذى ، والتقوى ألا يؤذى ، والورع فيما يخرج ويدخل من ههنا — وأشار إلى فمه — وفى القلب ألا يلج فيه غير ما يحب الله ورسوله . واليقين فى الرزق ، والمعرفة بالحق الذى لا يذل معها أحد لأحد من الخلق ، « واصبر إن العاقبة المتقين ، ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

حقيقة العاقل :

وقال رضى الله عنه : العاقل من عقل عن الله بما أراد به ومنه شرعا . والذى يريد الله تعالى بالعبد أربعة : إما نعمة أو بلية أو طاعة أو معصية .

فإن كنت بالنعمة فالله يقتضى منك الشكر شرعا . وإذا أراد الله بك بلية فالله يقتضى منك الصبر شرعا . وإذا أراد الله منك طاعة فالله يقتضى منك شهود المنه ، ورؤية التوفيق شرعا . وإذا أراد الله تعالى منك المعصية فالله تعالى يقتضى منك التوبة والإنابة شرعا .

فمن عقل هذه الأربعة عن الله ، وكان فيما أحب الله منه شرعا فهو عبد على الحقيقة . بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « من أعطى فشكر ، ومن ابتلى فصبر ، وظلم فاستغفر ، وظلم فغفر ، ثم سكت . فقالوا : ماذا يا رسول الله ؟ فقال : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وذلك فى قول بعضهم : ولن يسهل

ذلك إلا على عبد أحب لا يحب إلا الله وحده ، أو أحب ما أمر الله به شرعاً لدينه والسلام .

وقال رضى الله عنه :

ورد فى بعض الأخبار : من أطاعنى فى كل شىء ، بهجرانه لكل شىء ، أطعته فى كل شىء بأن أتجلى له فى كل شىء حتى يرانى كأنى كل شىء ، وهذه هى الطاعة فى حق العوام الصالحين .

أما الطاعة فى حق الخواص من الصديقين فطاعتهم باليأس منهم بإقبالهم على كل شىء لحسن إرادة مولاهم فى كل شىء ، فكأنه يقول : من أطاعنى بكل شىء ، بإقباله على كل شىء ، لحسن إرادتى فى كل شىء بأن أتجلى له فى كل شىء حتى يرانى كأنى أقرب إليه من كل شىء .

من مناجاته :

وقال رضى الله عنه : كنت كثيراً ما أداوم على قراءة آية الكرسى ، وخواتم سورة البقرة ، من قوله : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم

ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم .

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب[١] .

* **

اللهم إني أسألك صحبة الخوف، وغلبة الشوق وثبات العلم ودوام الفكر، ونسألك سر الأسرار المانع من الإصرار حتى لا يكون لنا مع الذنب قرار . واجتبنا واهدنا إلى العمل بهذه الكلمات التي بسطتها لنا على لسان رسولك ، وابتليت بهن إبراهيم خليلك فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين .

فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن ذرية آدم ونوح ، واسلك بنا سبيل أئمة المتقين والله بصير بالعباد .

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي وارحمني وتب علي لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

وهذا الاستغفار له شأن عظيم وضياء كريم ، فتناوله ترى عجبا .

---

(١) سورة آل عمران .

حصون السر :

وقال رضى الله عنه : حصون السر أربعة : ارتباط القلب مع الله ، وترك ما سوى الله ، وألا تنظر بعينك إلى ما حرم الله ، وألا تنقل قدميك حيث لا ترجو ثواب الله .

وقال رضى الله عنه يحكى عن أستاذه :

سيئتان قلما ينفع معهما كثرة الحسنات : السخط لقضاء الله ، والظلم لعباد الله . وحسنتان قلما يضر معهما كثرة السيئة : الرضا بقضاء الله ، والصفح عن عباد الله .

وقال رضى الله عنه .

لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم ، ولا من يؤثرك على نفسه فإنه لايدوم ، واصحب من إذا ذكر الله ذكر ، فالله يتوب عنه إذا فقد ، ويغنى به إذا شهد ، ذكره نور وشهوده مفتاح الغيوب ، وليكن قصدك الله ، وحبك الموت مع كل قدم ، ولا تظل أمامك ، ولا تصحب من هو بهذا الوصف ، ولا تعول عليه ، وارفضه بأول قدم ، وعامله بالمعروف مدة الصحبة معك .

وقال رضى الله عنه حاكياً عن أستاذه أنه قال :

الأنفس ثلاثة : نفس لم يقع عليها البيع لحريتها . ونفس وقع عليها البيع لشرفيتها . ونفس مهملة لا حرية ولا شرف .

وقال رضى الله عنه :

من لم يذق الأنس مع الله إذا أعرض عنه . من ينفع أو يؤذى بأشد من ذوقه إذا أقبلوا عليه . فليس معه من الأنس بالله قليل ولا كثير . وإن من أفضل الأعمال العزائم واقتضاء الوفاء .

وقال رضى الله عنه حاكيًا عن أستاذه :

أفضل الأعمال أربعة بعد أربعةَ : المحبة لله ، والرضا بقضاء الله ، والزهد فى الدنيا ، والتوكل على الله ، والقيام بفرائض الله ، واجتناب محارم الله ، والصبر على مالا يعنى ، والورع عن كل شىء يلهى .

وقال رضى الله عنه :

إذا كانت النفس غالبة والروح مغلوبة فقد حصل القحط والجدب وانقلب الأمر ، وجاء الشر كله . فعليك بكتاب الله الهادى ، وسنة رسوله الشافى ، فلن تزل بخير ما آثرتهما . وقد أصاب الشر من عدل عنهما . وأهل الحق إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه . وإذا سمعوا الحق أقبلوا عليه . ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا .

وقال رضى الله عنه :

عمى البصيرة فى ثلاثة أشياء : فى إرسال الجوارح فى معاصى الله، والتصنع بطاعة الله ، والطمع فى خلق الله . فمن ادعى البصيرة مع واحدة من هذه فقلبه هدف لظنون النفس ووساوس الشيطان .

وقال رضى الله عنه :

إذا أردت السلامة من الغرق فأخلص العمل لله بشرط العلم ، ولا ترض من نفسك بشىء .

وقال رضى الله عنة :

الإيمان أن تشهد أوليتك بأوليته ، وآخريتك بآخريته ، وظاهريتك بظاهريته ، وباطنيتك بباطنيته .

وقال رضى الله عنه :

العزيز من رسخ فى علم الهيبة، وتصرف بحكم المشيئة ، لا بحكم الهوى والشهوة والطبيعة .

وقال رضى الله عنه :

حقيقة الزهد فراغ القلب مما سوى الرب تبارك وتعالى .

وقال رضى الله عنه :

حقيقة الصدق والتقوى وجدان ما تشاء مع المولى. قال الله تعالى: « والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون . لهم ما يشاءون عند ربهم » .

وقال رضى الله عنه :

حقيقة العلم بالخير السكون فيه . وحقيقة العلم بالشر الخروج عنه .

وقال رضى الله عنه :

حقيقة النية عدم غير المنوى عند الدخول فيه، وكمالها عند استصحاب ذلك على الكمال .

وقال رضى الله عنه : حقيقة السجود إذعان القلب تحت أحكام الرب .

وقال رضى الله عنه : حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله فى كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها .

وقال رضى الله عنه : حقيقة الهجران نسيان المهجور .

وقال رضى الله عنه : حقيقة المحبة رؤية المحبوب على العيان وكمالها فقدانك فى كل وقت وأوان .

وقال رضى الله عنه : حقيقة الهمة تعلق القلب بالشيء المهتم به ، وكمالها اتصال القلب بالله بالإنفصال عن كل شيء سواه .

وقال رضى الله عنه : حقيقة القرب الغيبة بالقرب عن القرب لعظيم القرب .

وقال رضى الله عنه : حقيقة المريد فقدان المريد لعظيم المراد .

وقال رضى الله عنه: حقيقة القدرة أن يكون بأسه ممن يحب أشد من بأسه ممن يبغضه .

وقال رضى الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، ما حقيقة المتابعة ؟ فقال : رؤية المتبوع عند كل شيء ، ومع كل شيء ، وفى كل شيء ،

وقال رضى الله عنه : الشيخ من دلك على راحتك ، لا من دلك على تعبك .

وقال رضى الله عنه : كل شيخ لم تصبك منه الفوائد من وراء حجاب فليس بشيخ[1] .

وقال رضى الله عنه : ليس الرجل الكامل من سقط الخوف عنه فى نفسه إنما الرجل الكامل من سقط الخوف به عن غيره . قال الله تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وليس الرجل الكامل من حيي فى نفسه ، وإنما الرجل الكامل من حيي به غيره .

---

(١) وهى التربية على البعد ، وهى أمر مقرر فى السلوك الصوفى يحتاج إلى ممارسة وتجربة لتصديقه ، ويمكن أن يكون الشعور على البعد المقرر فى علم النفس دليلا على صحة المذهب .

وقال رضى الله عنه : التصوف تدريب النفس على العبـــودية وردها لأحكام الربوبية .

وقال رضى الله عنه : الصـــوفى من لا يلتفت إلى الخلق ولم يركن لمواعيد الحق .

وقال رضى الله عنه: الصوفى فيه أربعة أخلاق: التخلق بأوصاف الله تعالى، والمجاورة لأوامر الله ، وترك الانتصار للنفس حياء من الله ، وملازمة البساط بصدق الوفاء مع الله .

وقال رضى الله عنه : الصوفى من الخلق فى طى سره كالهباء فى الهواء ، غير موجودين ولا معدومين حسبما هم فى علم الله . فالعوارض التى تمر على السر إنما هى للتحديد أو التأكيد ، ليعلم بذلك حقيقة التوحيد .

وقال رضى الله عنه : مجالسة الأكابر بأربعة أوصاف : بالتخلى عن أضدادهم ، والميل والمحبة ، والتخصيص لهم . الثانى : إلقاء السمع بين أيديهم وترك ما تهوى لما يهوون . الثالث : إيثار أقوالهم وأفعالهم ، والتحبيس عن عقائدهم . الرابع : الهمة بما تعلقت به هممهم بشرط الموافقة فى أفعالهم .

وقال رضى الله عنه: أربعة آداب إذا خلا الفقير المجرد منها فاجعله والتراب سواء : الرحمة للأصاغر ، والحرمة للأكابر ، والإنتصاف من النفس ، وترك الإنتصاف لها .

وأربعة آداب إذا خلا الفقير المتسبب منها فلا تعبأن به وإن كان أحدهم أعلم البرية : مجانبة الظلمة ، وإيثار أهل الآخرة ، ومواساة أهل الفاقة ، ومواظبة الخمس فى الجماعة .

فمجانبة الظلمة تدل على الخوف ، وإيثار أهل الآخرة يدل على المحبة .

ومواساة أهل الفاقة يدل على الرجاء ، ومواظبة الخمس فى الجماعة يدل على الشوق .

وقال رضى الله : أحسن الناس منزلة من يتحمل بالدنيا على من يستحقها .

وقال رضى الله عنه : أشقى الناس منزلة من يعترض على مولاه ، وأركس فى تدبيره دنياه ، ونسى المبدأ والمنتهى والعمل لأخراه .

وقال رضى الله عنه : من سبق نوره عقله فهو المبارك ، ومن سبق عقله نوره فهو المسكين .

وقال رضى الله عنه: اتخذ التقوى وطناً ولا يضرك مدح النفس ما لم تصر على الذنب أو ترض بالعيب ، أو تسقط منك الخشية فى الغيب .

وقال رضى الله عنه : التوحيد نور يعدمك لغيرك ويعدم غيرك لك .

وقال رضى الله عنه : فى تفسير بسم الله الرحمن الرحيم : النقض لما انبرم .

وقال رضى الله عنه : مراكز النفس أربعة : مركز للشهوة فى المخالفات . ومركز للشهوة فى الطاعات. ومركز فى الميل إلى الدرجات . ومركز فى العجز عن أداء المفترضات . فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد .

وقال رضى الله عنه : رأس النفس إرادتها ، ويداها علمها ، ورجلاها تدبيرها واختيارها .

وقال رضى الله عنه : إذا أردت جهاد النفس فاحكم عليها بالعجز

فى كل حركة ، واضربها بالخوف عند كل خطرة ، واسجنها فى قبضة الله أينما كنت ، واشك عجزها إليه كلما عقلت فهى التى لم تقدروا عليها وقد أحاط الله بها .

فإن سخرت لك فى قبضة فجدير بأن تذكروا نعمة الله وتقولوا : سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون .

وقال رضى الله عنه : قوة النفس بالعلم والمعرفة والإقتداء بالكتاب والسنة .

وقال رضى الله عنه : حرام عليك أن تتصل بالمحبوب وبقى لك فى العالمين مصحوب .

وقال رضى الله عنه : التقوى كسوة أنواره ، وشهوده الإحاطة بصفاته ، والقيام عليه بذاته ، ذلك خير ، ذلك من آيات الله .

وقال رضى الله عنه : المغبون فى الدنيا والآخرة من أصحب مصائب الأجور بمصائب الشهور ومن مساخط الله الرضا عن الله ، ثوابه الرضا من الله . وإن ترض عن الله يرض عنك ، وإن تسخط قضاء الله يسخط عليك . كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم . ذلك بأنهم قوم لا يعلمون .

وقال رضى الله عنه : لا كبيرة عندنا أكبر من اثنين : حب الدنيا بالإيثار ، والمقام على الجهل بالرضا ، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والمقام على الجهل أصل كل معصية .

وقال رضى الله عنه : مراتب الأولياء أربعة : مرتبة فى القربة ، ومرتبة فى الملك ، ومرتبة فى التحقيق ، ومرتبة فى الخصوص .

وقال : آداب الحضرة ثلاثة : دوام النظر ، وإلقاء السمع ، والتوطين لما يرد من الحكم .

وقال : ألق بنفسك على باب الرضا ، واخلع عن عزائمك وإرادتك تحقق عن توبتك بتوبته . قال الله تعالى : « ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم » .

وقال رضى الله عنه : إذا كثر عليك الوسواس فقل : سبحان الملك الخلاق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز .

وقال رضى الله عنه : الحكيم الذى علم المبدأ والمنتهى ، وحكم على الغيب بما حكم عليه .

وقال رضى الله عنه : قلما سلم عهد من النفاق ويمهد على الوفاق .

وقال رضى الله عنه : حد السخط إرادة ما لم يرد الله بالحكم .

وقال رضى الله عنه : كنت متنسكا ببعض الجبال ، فألقى فى سرى : من سكن خوف الفقر قلبه قلما يرفع له عمل ، فضقت بذلك ذرعا وأقمت على ذلك عاما ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لى : يا مبارك يا مبارك أهلكت نفسك فرق بين سكن وخطر فالمؤمن يخطر (بقلبه) ولا يسكن ، قال : فسكن ما بى .

وقال رضى الله عنه : كنت مريضا بالقيروان ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس . فقلت : وما ثيابى يا رسول الله ؟ فقال : إن الله عز وجل كساك حلة المعرفة ، ثم حلة المحبة ، ثم حلة التوحيد ، ثم حلة الإيمان ، ثم حلة الإسلام . فمن عرف الله صغر لديه كل شىء . ومن أحب الله هان عليه كل شىء ، ومن وحد الله ولم يشرك به

شيئا ومن آمن بالله أمن من كل شيء ، ومن أسلم لله قلما يعصيه . وإن عصاه اعتذر إليه ، وإن اعتذر إليه قبل عذره . قال : ففهمت عند ذلك معنى قوله تعالى : « وثيابك فطهر » .

وقال رضى الله عنه : يبلغ الولى مبلغا يقال له أصحبناك السلامة ورفعنا عنك الملامة فاصنع ما شئت .

وقال : من آمن بالقسمة حرام عليه أن ينازع فى الحـكمة .

وقال رضى الله عنه : لا يكون حظك من دعائك الفرح بقضاء حاجتك دون الفرح بمناجاة محبوبك فتـكون من المحجوبين .

وقال رضى الله عنه : خرجت لبستان مع أصحابى بمدينة تونس ، ثم عدنا إلى المدينة ، وكنا ركبانا على الحمير . فلما وصلنا قريبا من المدينة نزلوا ، وكان الطين ، وقالوا لى : يا سيدنا ، انزل هنا ، فقلت : ولم ؟ قالوا : هذه المدينة ، ونستحيى أن ندخلها على الحمير ، فثنيت رجلى وأردت موافقتهم فإذا النداء : إن الله لا يعذب على راحة يصحبها التواضع ، ولـكن يعذب على تعب يصحبه الـكبر .

وقال رضى الله عنه : يئست من منفعة نفسى لنفسى ، فـكيف لا أيأس من منفعة نفسى لغيرى ، ورجوت الله لغيرى فـكيف لا أرجوه لنفسى .

وقال رضى الله عنه : إرجاعك السر إلى حقيقة القرب منك كامتداده إلى حد البعد عنك ، وإنما هما وصفان ، وصف الفناء ، ووصف البقاء ، فإن كنت بالفناء فلا قرب ولا بعد ، كما لا وصل ولا قطع . وإن كنت بالبقاء فقد علمت ما قال « فبى يسمع وبى يبصر » .

وقال رضى الله عنه : بالسعادة وسم عبد علم الحق فتواضع لأهله ، ووسم بالشقاوة عبد علم الحق وتـكبر على أهله وإن عمل ما عمل.

وقال : المحبة أصل فى الإفهام ، فمن أحب الله فهم عنه كل شىء .

وقال : خصلتان تسهلان الطريق إلى الله تعالى : المعرفة والمحبة « حبك الشىء يعمى ويصم » .

وقال : إذا أردت أن تغلب العدو فعليك بالإيمان والتوكل ، وصدق العبودية ، والاستعاذة بالله من نزغاته ، قال تعالى : « إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » . وقال : « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » . وقال : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله » .

وقال رضى الله عنه : اتخذ الله ولياً ، والشيطان عدواً ، وقد استرحت .

وقال رضى الله عنه : أحصن الحصون ما أخبرك عنه من الإستغفار . وحقيقته ألا يكون لك مع غير الله قرار . قال الله تعالى : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » .

وقال رضى الله عنه : مدار الأعمال على أربعة أشياء : المحبة والإخلاص والحياء والإيمان ، المحبة بالخوف ، والإخلاص بالعلم ، والحياء بالتعظيم ، والإيمان بالصدق .

وقال رضى الله عنه : المعرفة ما قطعك من غير الله ، وردك إليه .

وقال : إذا منعك ما تحب ، وردك إلى ما يحب فهى علامة محبته لك .

وقال : أوصانى أستاذى رضى الله عنه فقال : اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شر الناس . فإن شرهم يصيبك فى بدنك ، وخيرهم يصيبك فى قلبك . ولأن تصاب فى بدنك خير من أن تصاب فى قلبك .

وقال : لعدو ترجع به إلى مولاك خير من حبيب يشغلك عن مولاك .

وقال في قوله صلى الله عليه وسلم « الصلاة صلة بين العبد وربه » . فقال : علامة الوصلة انصباب الرحمة بشواهد المحبة . وشواهد المحبة رفع الحجاب والتلذذ بالخطاب .

وقال : رأيت أبا بكر الصديق رضى الله عنه في المنام فقال لى : هل تدرى ماعلامة خروج حب الدنيا من القلب ؟ قلت : لا . فقال : تركها عند وجدها ، ووجدان الراحة منها عند فقدها .

وقال : أوراد الصادقين الصوم والصلاة والذكر والتلاوة وحفظ الجوارح ورد النفس عن الشهوات ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على أصول أربعة : الزهد في الدنيا ، والتوكل على الله ، والرضا بقضاء الله ، والصبر على بلاء الله .

والحب الصادق على مبان أربعة : الإيمان والتوحيد ، وصدق النية ، وعلو الهمة ، ومن لم تكن فيه أربع خصال فلا ترجو له فلاحا : العلم والورع والخشية لله والتواضع لعباد الله .

وقال يحكى عن أستاذه أنه قال : عبادة الصديقين عشرون : كلوا واشربوا والبسوا واركبوا وانكحوا واسكنوا وضعوا كل شيء حيث أمركم الله ، ولا تسرفوا واعبدوا الله ولا تشركوا به ، واشكروه ، وعليكم بكف الأذى وبذل الندى ، فإنها نصف العقل .

والنصف الثانى أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، والرضا بالقضاء ، وإن عبادة الله التفكر في أمر الله ، والتفقه في دين الله ، وأيمن العبادة الزهد في الدنيا ، ورأسها التوكل على الله ، فهذه عبادة الأصفياء من المؤمنين « وإن كنتم

رضى ما استشفوا واستصرفوا بالعلماء ، واختاروا منهم الأتقياء الهداة المتوكلين .
ن الله .

وقال : سألت أستاذى رحمه الله عن ورد المحققين ، فقال : عليك بإسقاط
وى ، ومحبة المولى آية المحبة ألا يشتغل محب بغير محبوبه .

وقال : دخل على شخص وأنا بالمغرب فقال لى : سمعت أن عندك الكيمياء[1]
لنى . فقلت : أعلمها لك ولا أغادر منها حرفا إن كنت قابلا . فقال : إنى
لله أقبل . فقلت : أسقط الخلق من قلبك ، واقطع الطمع من ربك أن يعطيك
ر ما سبق لك . فقال لى : ما أطاق هذه . فقلت له : ألم أقل لك : إنك
تقبل هذا . فانصرف عنى .

وقال : من استغنى بماله فهو فقير ، ومن استغنى بجاهه فهو حقير ، ومن
غنى بعشيرته فهو ذليل ، ومن استغنى بحسناته فهو مفلس ، ومن استغنى بالله
ر الغنى على الحقيقة .

وقال رضى الله عنه عن أستاده : أنه سمعه يقول لرجل استأذنه فى المجاهدة
سه : فأجابه بقوله تعالى : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله » .

وقال : علامة التفويض عدم الاضطراب عند نزول المكاره .

وقال : كان لى صاحب ، وكان كثيراً ما يأتينى بالتوحيد . فرأيت فى النوم
ى أقول له : يا عبد الله ، إن أردت التى لا لوم فيها فليكن الفرق فى لسانك
وجودا ، والجمع فى سرك مشهودا .

---

(١) هو تحويل المادن إلى ذهب ، وهى فكرة خرافية استولت على عقول الناس .
بالهيد فيها الكتب .

وقال : كنت فى مغارة فقلت : يا إلهى متى أكون لك عبداً شكوراً ، فسمعت النداء من جوف المغارة : إذا لم تر فى الوجود منعما عليك غيره فأنت إذاً عبد شكور . فقلت : الأنبياء أفضل منى ، والملوك فى الدنيا أنعم منى . فقال : لولا الأنبياء ما عرفتنا ولا اهتديت إلينا . ولولا الملوك ما هنت لك المعيشة . فالكل نعمة منا عليك .

وقال : دخل على بعض كبار الدولة بالمغرب فقال لى : ما أرى لك كثير عمل ، فأخبرنى بم فقت الناس وعظموك . فقلت : لى حسنة واحدة افترضها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم تمسكت بها . فقال : وما هى ؟ فقلت : الإعراض عنكم وعن دنياكم . قال الله تعالى : « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا » .

وقال : قرأت ليلة فى وردى : « ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً » . فنمت ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : أنا عمن أعلم ولا أغنى عنك من الله شيئاً .

وقال : استوصيت أستاذى رحمه الله فقلت له : أوصنى . فقال لى : لا تتهم الله فى شىء ، وعليك بحسن الظن به فى كل شىء ، ولا تؤثر نفسك على الله فى شىء .

وسألته رضى الله عنه فى قوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن لا يذل لنفسه » . فقال لى : أى : لهواه .

وقال : أرحم الناس بالناس عبد يرحم من لا يرحم نفسه .

وقال : قرأت ليلة فى وردى قوله تعالى : « كل من عليها فان . ويبقى وجه

ربك ذو الجلال والإكرام » . فرأيت أبا بكر رضى الله عنه فى المنام فقال لى : « صل من يبقى واهجر من يفنى تجلّ وتكرم ، تجل عن الفناء ، وتكرم بالبقاء » .

وقال : العلوم على القلوب كالدنانير والدراهم فى الأيدى إن شاء نفعك بها ، وإن شاء ضرك[1] .

وقال : بساط الكرامة أربع : حب يشغلك عن حب غيره ، ورضى يتصل به حبك بحبه ، وزهد يحقك بزهده فى بريته ، وتوكل عليه يكشف لك عن حقيقة قدرته .

وقال : ليكن همك ثلاثا : التوبة والتقوى والحذر ، وقوها بثلاث : الذكر والاستغفار والصمت عبودية لله ، وحصّن هذه الستة بأربع : الحب والرضا والزهد والتوكل .

وقال : من دعا إلى الله بغير ما دعا به رسوله فهو يدعى .

وقال : رأيت كأنى مع النبيين والصديقين ، فأردت السكون معهم ، ثم قلت : اللهم اسلك بى سبيلهم مع العافية مما ابتليتهم فإنهم أقوى ونحن أضعف منهم ، فقيل لى : وما قدرت من شىء فأيدنا كما أيدتهم .

وقال : رأيت كأنى فى المحل الأعلى فقلت : إلهى ، أى الأحوال أحب إليك ، وأى الأقوال أصدق إليك ، وأى الأعمال أدل على محبتك ، فوفقنى واهدنى . فقيل لى : أحب الأحوال إليه الرضا بالمشاهدة . وأصدق الأقوال لديه قول لا إله إلا الله على النظافة . وأدل الأعمال على محبته بغض الدنيا .

---

(١) وكذلك طغيان العلم يشبه طغيان المال .

واليأس من أهلها، مع الموافقة .

وقال : كرامة الصديقين خمسة :

أولها : دوام الذكر والطاعة بشرط الاستقامة .

والثانية : الزهد فى الدنيا بإيثار القلة .

والثالثة : تجديد اليقين مع المعارضات .

والرابعة : وجود الوحشة مع أهل الغفلة ، والأنس من أهل الحضرة .

والخامسة : ما يظهر على الأبدان من طى الأرض والمشى على الماء ونبع الماء وغير ذلك مما لا يجرى تحت حكم العادة .

ولهذا الفصل أوقات وأشخاص وأماكن . فمن طلبها فى غير زمان طلبها حرمها . ومن طلبها فى غير وقتها قلما يعثر عليها . وعلى الجملة لا يعطاها من طلبها ولا من يحدث نفسه بها واستعمل نفسه فى طلبها . إنما يعطاها عبد لا يرى نفسه ولا عمله وهو مشغول بعجائب الله ناظر لفضل الله آيس من نفسه وعمله .

وقد ظهرت على من استقام فى ظاهره وإن كانت هنات النفس فى باطنه : ظهرت على من عبد الله فى الجنة خمسمائة عام ، فقيل له : ادخل الجنة برحمتى . فقال : بل بعملى .

وقال ، يحكى عن رجل سأل أستاذه فقال : نطف على لطائف وأوراداً . فغضب منه الأستاذ فقال : أرسول أنا ، أوجب الواجبات . الفرائض معلومة ، والمعاصى مشهورة . فكن للفرائض حافظاً ، وللمعاصى رافضاً ، واحفظ قلبك من إرادة الدنيا وحب النساء وحب الجاه ، وإيثار الشهوات . واقنع من ذلك بما قسم الله لك إذا خرج لك مخرج الرضى ، فكن لله فيه شاكراً ، وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عنه صابراً .

وحب الله قطب تدور عليه الخيرات ، وأصل جامع لأنوار الكرامات .
وحضور ذلك كله أربعة : صدق الورع ، وحسن النية ، وإخلاص العمل ،
ومحبة العلم . ولا تتم لك هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح .

وقال : قلت على مصيبة نزلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم آجرنى
فى مصيبتى ، واعقبنى خيراً منها ، فألقى فى سرى أن أقول : فاغفر لى بسببها
وما كان من توابعها ، وما اتصل بها ، وما هو محشو بها ، وكل شىء كان
قبلها ، وما يكون بعدها ، فقلتها . فهانت على ، فلو أن الدنيا كلها كانت لى
فى ذلك وأصبت فيها لهانت على ، ولكان ما وجدت من برد الرضى والتسليم
أحب إلى من ذلك كله .

وقال : من أجل مواهب الله الرضا بمواقع القضاء ، والصبر عند نزول
البلاء ، والتوكل على الله عند الشدائد ، والرجوع إليه عند النوائب ، فمن
خرجت له هذه الأربعة من خزائن الأعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السنة
والإقتداء بالأئمة فقد صحت ولايته لله ولرسوله وللمؤمنين ، ومن يتولى الله
ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون .

ومن خرجت له من خزائن المن على بساط المحبة فقد تمت ولاية الله له بقوله
« وهو يتولى الصالحين » . ففرق بين الولايتين . فعبد يتولى الله ، وعبد يتولاه
الله . وهما ولايتان : صغرى وكبرى . تفسيره : ولايتك لله خرجت من المجاهدة ،
وولايتك لرسوله خرجت من متابعة سنته ، وولايتك للمؤمنين خرجت من
الإقتداء بالأئمة ، فافهم ذلك من قوله : « ومن يتول الله ورسوله فإن حزب الله
هم الغالبون » .

وقال : من علم اليقين بالله ، وبما لك عند الله أن تتعاطى بين الخلق تصغر به
عند الحق ، وإن صغرت به فى أعين الخلق بلا اعتراض من الشرع ،

ولا منازعة من الطبع ، بل من عين اليقين نسيان الخلق عند الشدائد ، وتتابع الفوائد بسواطع الشواهد . بل من حق اليقين الفرق فى الشىء كأنك فى نفس الشىء ، كمن اضطر إلى ركوب البحر فركب السفينة فانكسرت وتلاطمت عليه أمواجه . فنهم بعد من يفنى ويذهب مع الذاهبين ويتقل إلى درجات عليين . ومنهم من يحيى ويبقى مع الباقين .

ولاحظ للاقتداء فيه ، بل هو مستور عن الخلق أجمعين .

ومنهم من يبقى برزخا بين الحق والخلق، ظاهراً بالنعتين، كاملا فى الوصفين، قدوة للثقلين . ومنهم كالإمام الأكبر القدوة القطب الجامع الغوث المختص بالأسماء والصفات والأنوار والأخلاق وما لا يسع أن يسمعه سامع .

ومن دونهم من لا درجة له من الأولياء والأتقياء والعباد والزهاد، ومن أهل النظر بالدليل والبرهان ولم يطلع بعد على الكشف والعيان .

ومن دونهم أهل الوسائل بالأعمال والأحوال. وأهل التخطيط فى الأقوال والأفعال « ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء » .

فصــــل
فى المحبـة

قال رضى الله عنه حاكياً عن أستاذه رحمه الله: إلزم الطهارة من الشرك ، كلما أحدثت تطهرت . لا تشرك بالله شيئاً . ومن دنس حب الدنيا كلما ملت إلى شهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أو كدت ، وعليك بمحبة الله تعالى على التوقير والنزاهة ، وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحو كلما أفقت أو تيقظت شربت حتى يكون سكرك وصحوك به ، حتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشراب والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله وقدس كمال جلاله .

ولعل أحدث من لا يعرف المحبة والشراب ، ولا الشرب ولا الكأس ، ولا السكر ولا الصحو .

قال له القائل : أجل وكم من غريق فى الشىء لا يعرف بغرقه ، فعرفنى ونبهنى لما أجهل ، أو لما من به على وأنا عنه غافل .

قلت له : نعم، المحبة : آخذه من الله قلب من أحب بما يكشف له من جماله وقدس كمال جلاله والأنوار بالأنوار ، والأسماء بالأسماء ، والنعوت بالنعوت ، والأفعال بالأفعال ، ويتسع فيه النظر لمن شاء الله عز وجل .

والشرب : سقى القلب والأوصال والعروق من هذا الشراب ، حتى يسكر ويكون الشرب بالتدريب بعد التدريب والتهذيب ، فيسقى كل على قدره ، فمنهم من يسقى بغير واسطة ، والله سبحانه يتولى ذلك منه له . ومنهم من

يسقى من جهة الوسائط بالوسائط ، كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين ـ فمنهم من يسكر بشهود الكأس ولم يذق بعد شيئاً ، فما ظنك بعد بالذوق ، وبعد بالشرب ، وبعد بالرى ، وبعد بالسكر بالمشروب .

ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى ، كما أن السكر كذلك أيضاً .

والكأس : معرفة الحق ، يعرف بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافى لمن شاء من عباده المخصوصين من خلقه ، فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة ، وتارة يشهدها معنوية ، وتارة يشهدها علمية ، فالصورة حظ الأبدان والأنفس ، والمعنوية حظ العقول والقلوب ، والعلمية حظ الأرواح والأسرار .

فياله من شراب ما أعذبه ، فطوبى لمن شرب منه وداوم ، ولم يقطع عنه ، فنسأل الله من فضله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وقد يجتمع جماعة من المحبين ، فيسقون من كأس واحدة ، وقد يسقون من كئوس كثيرة ، وقد يسقى الواحد بكأس وبكئوس ، وقد تختلف الأشربة حسب عدد الأكوس وقد يختلف الشرب من كأس واحدة ، وإن شرب منه الجم الغفير من الأحبة .

وسئل أيضاً عن المحبة فقال : المحبة آخذة من الله لقلب عبده من كل شىء سواه . فترى النفس مائلة لطاعته ، والعقل متحصناً بمعرفته ، والروح مأخوذة فى حضرته ، والسر مغموراً فى مشاهدته ، والعبد يستزيد فيزاد ، ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته ، فيكتسى حلل التقريب على بساط القربة ، ويمس أبكار الحقائق ، وثيبات العلوم ، فمن أجل ذلك قالوا : أولياء الله عرائس .

قال له القائل : قد علمت الحب ، فما شراب الحب ، وما كأس الحب ، وما الســـاق ، وما الذوق ، وما الشرب ، وما الرى ، وما السكر ، وما الصحو ؟

قال له : الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب، والكأس هو اللطف الموصل ذلك إلى أفواه القلوب ، والساقى هو المتولى للمخصوص الأكبر ، والصالحين من عباده وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أحبابه .

فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظى به نفساً أو نفسين ثم أرخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق . ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقا، ومن توالى عليه الأمر ، ودام الشراب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة فذلك هو الرى، وربما غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدرى ما يقال ولا ما يقول ، فذلك هو السكر .

وقد تدور عليهم الكاسات، وتختلف لديهم الحالات، ويردون إلى الذكر والحالات والطاعات ، ولا يحتجبون عن الصفات ، مع تزاحم للتدورات ، فذلك وقت صحوهم واتساع نظرهم ، ومزيد علمهم ، فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون فى ليلهم ، وبشموس المعارف يستضيئون . أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم الغالبون .

* * *

فصـــل

فى الورع

سئل رضى الله عنه عن الورع فقال : الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه ، وأجل ثوابه ، فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله ، والقول بالله ، والعمل لله وبالله ، على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة ، وهم فى عموم أوقاتهم وسائر احوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يرتحلون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون إلا بالله تعالى ولله .

هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فهم مجموعون فى عين الجمع ، لا يفترون فيما هو أعلا ولا فيما هو أدنى وأما أدنى الأدنى فالله يورعهم عن ذلك ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازعات الشرع عليهم : ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا أو مصروف بدعوى .

وميراثه التقوى لخلقه والاستكبار والصولة بعلمه ، والدلالة على الله بعمله . فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك .

والأكياس يتورعون عن هذا الورع ، ويستعيذون بالله منه ، ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقاراً لربه وتواضعاً لخلقه فهو هالك ، فسبحان من قطع كثيراً من أهل الصلاح بصلاحهم عن مصلحهم ، كما قطع المفسدين بفسادهم عن موجدهم . فاستعن بالله إنه هو السميع العليم .

مشاهد شتى

وقال رضى الله عنه : رأيت كأنى جالس مع رجل من أصحابى بين يدى أستاذى ، فقال لى : احفظ عنى أربعة فصول . ثلاثة منها لك ، وواحدة لهذا المسكين .

لا تختر من أمرك شيئا ، واختر ألا تختار ، وفر من ذلك المختار ، ومن فرارك، ومن كل شىء إلى الله، وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم . وكل مختارات الشرع فهى مختار الله ، ليس لك منه شىء ، ولا بد لك منه ، فاسمع وأطع . وهذا موضع الفقه الربانى ، والعلم الإلهامى ، وهو أرض لعلم الحقيقة المأخوذ عن الله لمن استوى ، فافهم واقرأ وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم . وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون .

وعليك بالزهد فى الدنيا ، والتوكل على الله ، فإن الزهد أصل فى الأعمال ، والتوكل رأس فى الأحوال . واستشهد بالله واعتصم به فى الأقوال والأفعال والأخلاق والأحوال . ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

وإياك والشك والشرك والطمع والاعتراض على الله فى شىء ، واعبد الله على القرب الأعظم تحظ بالمحبة والاصطفائية والتخصيص والتولية من الله والله ولى المتقين .

ثم قال لى: والذى قطع نفس هذا المسكين عن الوصلة بطاعته، وحجب قلبه عن تحقيق معرفته ، وشغل عقله عن شواهد توحيده ، أمران : دخوله فى عمل دنياه بتدبيره ، وفى عمل أخراه على الريب فى مواهب محبوبه . فعاقبه الله بالحجاب ، وترادف الارتياب ، ونسيان الحساب ، وأغرقه فى بحر التدبير

والتقدير ، ودلى فيه بورع التكدير . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم .

فارجعوا إلى الله فى أوائل التدبير والتقدير تحظوا منه بمدد التيسير ويحال بينكم وبين التعسير ، وكل ورع لا يثمرك العلم والنور فلا تعتد له أجراً ، وكل سيئة يعقبها الخوف والهرب إلى الله فلا تعدلها وزرا .

ثم أشار وقال : خذ رزقك من حيث أنزلك الله ، باستعمال العلم ، وبمتابعة السنة ، ولا ترق قبل أن يرقى بك فتزل قدمك .

وقال رضى الله عنه : كنت بالمنصورة فلما كان ليلة الثامن من ذى الحجة بت فى هم من أمر المسلمين ومن أمر الثغر أعنى الإسكندرية خصوصا ، وكنت أدعو وأتضرع إلى الله فى أمر السلطان والمسلمين . فلما كان آخر الليل رأيت فسطاطا واسع الأرجاء عاليا فى السماء ، يعلوه نور ، يزدحم عليه خلق كثير من أهل السماء ، وأهل الأرض مشغولون عنه .

فقلت : لمن هذا الفسطاط؟ فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبادرت إليه بالفرح ، فلقيت على بابه عصابة من العلماء والصالحين نحوا من السبعين ، أعرف منهم الفقيه عز الدين بن عبد السلام ، والفقيه مجد الدين مدرس قوص ، والفقيه الكمال بن القاضى صدر الدين ، والفقيه المحدث محيى الدين بن سراقة ، والفقيه الحكيم ابن أبى الحوافر ، ومعه رجلان لم أر أجمل منهما ولم أعرفهما ، غير أنى وقع لى ظن فى حالة الرؤيا أنه الفقيه زكى الدين بن عبد العظيم المحدث ، والشيخ مجد الدين الإخميمى .

وأردت أن أتقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزمت نفسى التواضع والأدب مع الفقيه عز الدين عبد السلام ، وقلت لنفسي : لا يصلح لك التقدم بين عالم الأمة في هذا الزمان . فتقدم الفقيه وتقدم الجميع ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إليهم يمينا وشمالا أن اجلسوا . وتقدمت وأنا أبكى بالهم والفرح. أما الفرح فمن أجل قربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسب ، وأما الهم فمن أجل المسلمين والثغر ، ومن طبعى إليه صلى الله عليه وسلم فمد يده حتى قبض على يدى وقال لى: لا تهتم كل هذا الهم من أجل الثغر وعليك بالنصيحة لرأس الأمر يعنى السلطان. فإن ولى عليهم ظالم فما عسى ، وجمع أصابع يديه الخمس من يده اليسرى كأنه يقلل المدة . وإن ولى عليهم تقى فالله ولى المتقين . وبسط يده اليمنى واليسرى .

وأما المسلمون فحسبك الله ورسوله وهؤلاء المؤمنون، ومن يتولى الله ورسله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون .

وأما السلطان فيد الله مبسوطة عليه برحمته ما والى أهل ولايته ونصح ولايته ونصح للمؤمنين من عباده ، فانصحه وقل فى الظالم عدو الله قولا بليغا . واكتب له : فاصبر إن وعد الله حق، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون فقلت: نصرنا ورب الكعبة ، وانتبهت .

وقال رضى الله عنه: استأذنني بعض الفقراء لحضور السماع، فهممت بذلك، فرأيت أستاذى رضى الله عنه وفى يده اليمنى كتاب فيه القرآن العظيم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده اليسرى أوراق فيها شعر موجز وهو يقول كالمستهزىء : تعدلون عن العلوم الزكية إلى علوم ذوى الأهواء الردية . فمن أكثر من هذا فهو عبد مرقوق لهواه ، وأسير لشهواته ومناه ، يستفزون بها

قلوب أهل الغفلة والنشوان وأهل الضلالة والعصيان، ولا إرادة لهم فى عمل الخير واكتساب الغفران :

يتمايلون عند سماعها تمايل الصبيان . لئن لم ينته الظالم ليقلبن الله أرضه سماء وسماءه أرضا .

قال: فأخذنى منه حال بوجد وأنا أقول له : نعم يا أستاذى، إلا أن النفس أرضية ، والروح سماوية ، فقال لى: نعم يا على. إذا كانت الروح بأمطار العلوم دارة والنفس بالأعمال الصالحة ثابتة، فقد حصل الخير كله . وإذا كانت النفس غالبة والروح مغلوبة فقد حصـــل القحط والجدب ، وانقلب الأمر وجاء الشر كله .

فعليك بكتاب الله الهادى ، وكلام رسول الله الشافى ، فلا تزال بخير ما آثرتهما ، وقد أصاب الشر من عدل عنهما . وأهل الحق إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، وإذا سمعوا الحق أقبلوا عليه . ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا .

وقال رضى الله عنه : رأيت أستاذى تحت العرش فقلت له : يا سيدى . رأيتك البارحة تحت العرش . فقال لى : ما رأيت إلا نفسك. يا على، من كان مع الله بلا أين كيف يرى ؟ ولكن إذا ورثت مقامى ترانى .

* * *

مشاهد أبي العباس

وقال سيدنا أبو العباس المرسى رضى الله عنه ونفع به :

لما سافرت للديار المصرية صحبة الشيخ رضى الله عنه لحقتني فاقة وشدة في الطريق، فقال لي: يا أحمد إن الله تعالى خلق آدم بيداه ، وأسجدله ملائكته، وأسكنه الجنة نصف يوم ، وهو خمسمائة عام ، ثم أنزله إلى الأرض . والله ما أنزله إلى الأرض لينقصه ، وإنما أنزله ليكمله . والله لقد أنزله قبل أن يخلقه ، فقال: إني جاعل في الأرض خليفة . وإن آدم كان يعبد الله في الجنة بالتعريف، فأنزله إلى الأرض ليعبد الله بالتكليف حتى يستكمل فيه العبوديتان : عبودية التعريف ، وعبودية التكليف . ولذلك استحق أن يكون خليفة .

وأنت كنت في سماء المعارف ، فأنزلت إلى مقام تعب النفس والتكليف فتستحق أن يكون خليفة .

وقال رضى الله عنه :

لما سافرت صحبة الشيخ سيدى أبي الحسن رضي الله عنه ونزلنا بالإسكندرية عند عمود السوارى، وكنا جياعا ، خرج إلينا طعام كثير، فأمرنا ألا تأكلوا منه شيئا ، فلما صلينا الصبح قال: قدموا ما عندكم، فحملنا سماطا وقال: خوطبت البارحة في هذا الطعام ، فقيل لي : أحل الحلال ما أتاك من غير سؤال ، ولم تسأل فيه أحدا من النساء والرجال .

وحدثني الشيخ الصالح الفقيه أبو عبد الله بن حريز قال : حدثني رجل من الصلحاء الفضلاء من أهل الجزيرة القبلية قال : خطر ببالي ليلة أن كان في زماننا

من يقتدى به من السادات وأهل خرق العادات ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : أنوار الشيخ أبى الحسن الشاذلى لائحة فى الأكوان ، أو قال : فى الوجود فمن تمسك بشىء منها ، فقد تمسك بالخير كله .

وحدثنى أيضا قال : رأيت فى كتاب لطائف المنن فى فضائل الشيخ الولى أبو العباس المرسى وشيخه سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما قال : خطر ببالى إن كان شذ عن الشيخ أبى الحسن شىء من العلوم التى اختصت بها الملائكة ، فدخلت عليه فقال لى : إن ملائكة السماء السابعة يأتون إلى ملائكة سدرة المنتهى ، فأمدهم بما أمدنى الله تعالى .

وحدثنى الشيخ الصالح أبو العباس الحامى قال : سمعت الشيخ الولى الفاضل أبا عبد الله بن سلطان رحمه الله يقول : قال الشيخ رضى الله عنه يوما فى مجلسه : ليس لأحد من خلق الله علينا منة ، وكان فى المجلس الفقيه قاضى القضاة بالإسكندرية ناصر الدين بن المنير ، فقال له : وما تقول فيما قاله جدك رضى الله عنه جبلت القلوب على حب من أحسن إليها . فقال : إنا لا نرى المحسن إلينا إلا الله سبحانه ، فجبلت قلوبنا على محبته ثم قال له : يابن المنير تنتقد علينا ، فوالله لتموتن ثلاث ثلاث موتات : موتة الذل ، وموتة الفقر ، وموتة الفناء . ولكن تموت مسلما .

قال : فعزل عن القضاء ، وابتلى بالفاقة ، حتى لا يجد خبز الشعير يشبع به أولاده ، وبالذل حتى لا يلقى من يسلم عليه .

وحدثنى الشيخ الفقيه العالم أبو عبد الله بن حريز ، قال : لما توفى الشيخ رضى الله عنه بحميثرة ، استعمل الفقيه ابن المنير السفر إلى ضريحه ، وأقام عنده أياما ، واعتذر عنده ، وأنشد أبياتا يعتذر بها ، قال : فرآه فى النوم فقال له :

قد قبلنا عذرك، فارجع إلى بلدك، واعمل شرحا على كتاب الله تعالى، وسيفتح عليك فيه .

قال : فرجع إلى الإسكندرية فألف شرحا عظيما وفتح عليه فيه، وهو الآن مشهور عنه . ولما توفى رؤى فى النوم فى حال حسنة . فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : وقفت بين يديه، واجتمعت بالشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه . فعاملنى بمعاملة الأخيار والأبرار، فشفع فى إلى الله سبحانه وتعالى .

* * *

ومن نظم الشيخ الولى أبى العباس المرسى

نفعنا الله به وبشيخه ورضى عنهما

وقوم تائهون بأرض قفر
وقوم تاهوا فى ميــــدان حبه

فأفنوا ثم أفنـــوا ثم أفنوا
وأبقوا بالبقاء من قرب قربه

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فى تأليفه : ووجدت بخط سيدى أبى العباس المرسى نفع الله به :

أعندك من ليلى حديث محرر
بإيراده يحيى الرمـــيم وينشر

فعهدى بها العهد القديم وإننى
على كل حال فى هواها مقصر

وقد كان منها الطيف قدما يزورنى
ولمـا يزور . ما باله يتعـــذر

فهل بخلت حتى بطيف خيالها
أما اعتل حتى لا يصح التصور

ومن وجه ليلى طلعة الشمس يستضى
وفى الشمس أبصار الورى تتحير

وما احتجبت إلا برفع حجابها
ومن عجب أن الظهور تستر

ولتاج الدين بن عطاء الله رضى الله عنه :

أرى الكل محتاجا وأنت لك الغنى
ومثلك من يعطى ومثلك من يعفو
وأنت الذى تبدى الوداد تكرما
ومثلك من يرعى ومثلى من يجفو
وما طاب عيش لم تكن فيه واصلا
ولم يصف لا والله أنى له يصفو
عزمت على أن أترك الكون كله
وأقفو سبيل الحب ، والجاهي يتقفو
شهودك يجلو والحجاب لأنه
إذا حقق التحقيق صار هو الكشف
وما أحسن الأحباب فى كل حالة
فلله ما يبدوا ولله ما يخفو
وإن الأولى لم يشهدوك بمشهد
قلوبهم عن نيل سر الهوى غلف
وأنت الذى أظهرت ثم ظهرت فى
جميع المبادىء مثل ما شهد العرف
ظهرت لكل الكون ، فالكون مظهر
وفيه له أيضا كما جاءت الصحف
فأى فؤاد عن ودادك ينثنى وأية عين بعد قربك لى تغفو
وأية نفس لم يملها هواكم على حبكم طرا نفوس الهوى وقف
سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه

ومما رأيت من سلامه على رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه كان يقف بباب السلام ويقول : هذا موضع قال فيه ربنا عز وجل : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم . حتى يسمع الخطاب يقول : ادخل يا أبا الحسن .

قال : ومهما كنت أسلم عليه يكشف لي عنه عيانا ، ويرد السلام على بسبابته . وهو : السلام عليك يا سيدنا يا رسول الله ، أفضل وأزكى وإنما وأعلا صلاة صلاها أحد على أحد من أنبيائه وأصفيائه . أشهد أنك يا رسول الله بلغت ما أرسلت به ، ونصحت أمتك ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين . وكنت كما نعتك الله في كتابه «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

فصلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه من أهل سماواته وأرضه عليك يا سيدنا يا رسول الله .

السلام عليكما يا صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر وعمر ورحمة الله وبركاته . فجزاكما الله عن الإسلام وأهله بأفضل ما جازى به وزيرى نبي في حياته وعلى حسن خلافته في أمته بعد وفاته . فلقد كنتما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وزيرى صدق في حياته ، وخلفتماه بالعدل والإحسان في أمته بعد وفاته ، فجزاكما الله عن ذلك مرافقته في جنته وإيانا معكم برحمته . إنه أكرم الأكرمين .

اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك وأشهد أبا بكر وعمر ، وأشهد الملائكة النازلين بهذه الروضة الكريمة ، والعاكفين عليها بأني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المرسلين .

وأشهد أن كل ما جاء به من أمر وامي وخبر عما كان وعما يكون فهو صدق لا شك فيه ولا امتراء ، وأني مقر لك بخطاياي ومعترف في الخطارة والفكرة والإرادة والفعلة ، وما استأثرت به عني مما إذا شئت أخذت به ، وإذا شئت عفوت عنه ، مما هو متضمن للكفر والنفاق والبدعة والضلالة أو المعصية أو سوء الأدب معك ومع رسولك وأنبيائك وأوليائك من الملائكة والإنس والجن وما خصصت به من خلقك . فامنن علي بالذي مننت به على أوليائك ، فإنك أنت الله المنان الكريم الغفور الرحيم .

* * *

ومن أذكاره رضى الله عنه

اللهم إنى أسألك بجاه سيدنا محمد المصطفى ، وإبراهيم الذى وفى وبحرمة كل نبى ورسول وصديق وولى وشهيد وصالح وتقى ، وبحرمة عظيم الأسماء وبالأسماء كلها . أسألك اللهم أن تمحق هذا الخلق من قلوبنا وأن تجعلهم فى أسرارنا كالهباء فى الهواء . وأسلك بنا سبيل أنبيائك وأصفيائك وأتقيائك فى السر والعلانية إنك على كل شىء قدير .

* * *

ومن أذكاره رضى الله عنه

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، وخار لنا وإياكم فيما قدره وقضاه ، وجعلنا وإياكم من الفائزين يوم لقاه .

اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بمحمد وحزبه على الرضى منك ومنهم ، مع السلامة من الحياء والخجل والذل بما سلف منا من أعمال الخاطئين . اللهم اعذرنا فى جهلنا ، ولا تؤاخذنا بغفلتنا عنك ، ولا يسوء أدبنا معك ، ومع الملائكة الكرام الكاتبين .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وغفلتنا وجهلنا بنعمك ، واغفر لنا قلة حيائنا منك، واقبل علينا بوجهك ، ولا تفتنا بشىء من خلقك ، إنك على كل شىء قدير .

اللهم اغفر لنا ما حمله البشر من خلقك ما علمه وكتبته ملائكتك ، واغفر لنا ما علمناه من أنفسنا ، ولم يعلمه أحد من خلقك ، واغفر لنا ما استأثرت به عنا فى جميع أحكامك ، وبالغنى عن جميع خلقك ، وبرفع الحجاب فيما بيننا وبينك ، إنك على كل شىء قدير .

اللهم اغفر لنا مغفرة الأحباب التى لا تدع شيئا من الارتياب ولا يبقى معها شىء من اللوم والعتاب واجعل ماعلمته فينا ومنا خير معلوم بعد المحو والتثبيت ، فإنك عندك أم الكتاب .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها ، دقيقها وجليلها سرها وعلانيتها أولها وآخرها واغفر لمن سافر عنا من أحبابنا سفر الدنيا أو سفر الآخرة . واجعل تقلبهم تقلب المتقين وإيابهم إياب الفائزين . واجعلنا برحمتك جميعا من المقبولين ، وإن كنا زائغين فإن النقاد يسمحون وإن كانوا عارفين . فأنت أولى بذلك فإنك

أكرم الأكرمين . وأرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

اللهم لا تخيبنا ونحن نرجوك ولا تحرمنا ونحن ندعوك ، وقد دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا ولا تجعل تضرعنا هينا عليك وغير مقبول وكما يسرت لنا الدعاء فيسر لنا الإجابة إنك على كل شيء قدير .

* * *

ومن أذكاره رضى الله عنه

اللهم يا من كون السكون بكونه ، ويا مدبر حركاته وسكناته ، أسألك باسمك العزيز الذى به تحيي الموتى ، وبه تعز من تشاء وبه تذل من تشاء ، اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا يا عظيم الرجاء .

وقال رضى الله عنه : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خصوا بالعمل ، والتابعين ليقتدى بهم ، وخص أهل زماننا بالمعرفة ، وجعلت أعرفهم بالله عز وجل .

* * *

ومن نظم الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله المزدوري

في سيدنا الشيخ العارف بالله أبي الحسن الشاذلي

لما سافر من تونس إلى الديار المصرية

واذكر الشيخ ما أجل علومه
فالشاذلي يدعى حفيد نبينا
دامت سياحته بإفريقية وبها
له إخوان صدق بيننا
وبنى بتونس بيتا عرفت به
أجاد مبانيها بسوق بلاطنا
بعد السياحة كان وقت بنائها
داراً وقيسارية لمعاشنا
لما بنى بعد الزهادة والذى
تسكن إليه النفوس من أسبابنا
سلبته منه يد التأديب عنوة
حفظاً لنا كيما تصان طريقنا
لا يعرف الأشواق إلا من اكتوى
بنار الشوق بين ظهورنا
فسطا عليه ابن البراء وفتنه
حتى تنقل بالإذن من إقليمنا
عوض الشريف من القياس بعد منا
بنيت وتمت وانقضى بنياننا

فغدا عن العلوم يركض عيشه
نحو الكفيل فى أرق حديثنا
عمر الشارق بعد ذلك مـــدة
وبنى بها مجـــداً نقيض بقائنا
نور النبـــوة فى ساق دعائه
فالله يرحمـــه ويرحم جمعنا
لما انقضى العمر العزيز وقربت
منه الرواحل للرحيـــل لربنا
نودى قلبى بالحجيج مبـــادرا
باب الإله فقر عن أبوابنا
ترك النبيين وكل شىء عاجلا
وأتى حيـــرة فنال بها المنى
يا ليت لشعرى بالحبائب نلتقى
بعد البعـاد ويطرح عنا العنا
خلت الديار فلا كريم يرتجى
منه النـوال ولا يلح عشيقنا
هذى المعـــاكر آذنت بفراقنا
فالله يصلح ما به إصـــلاحنا
فالله يرحمـــه برحماه التى
شملت جميع عصاتنا وهداتنا

* * *

وحدثنى الشيخ الصالح أبو العباس الجامى :

أنه وقف فى تأليف الشيخ تاج الدين بن عطاء الله عن سيدى أبى العباس المرسى ، نفع الله به : أنه قال فى قوله تعالى : « ثلة من الأولين ، وثلة من الآخرين » . إنهم الشيخ أبو الحسن الشاذلى وأصحابه .

وحدثنى الشيخ أبو العباس الجامى أيضا :

أن رجلا قال لسيدى أبى الحسن : من أستاذك يا سيدى ؟ فقال له : فى البادية . سيدى أبو محمد عبد السلام بن مشيش . وأما الآن فأنا أعترف من عشرة أبحر بخمسة آدميين ، وخمسة روحانيين . أما الآدميون فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم . وأما الروحانيون فجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح نفع الله ببركاته وحشرنا منه بفضله .

وقال رضى الله عنه :

ليلة أخذت ميراثى من جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنت من خزائن الأسماء فلو أن الإنس والجن يكتبون عنى إلى يوم القيامة لكلوا وملوا .

وقال رضى الله عنه :

ليلة أخذت ميراثى من جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذنى جدى الحسين رضى الله عنه وعمل إصبعه فى سرتى وأدارنى على رأسه حتى بقيت السموات والأرض والعرش والكرسى بين يدى كالكرة . فقيل لى : قل : اللهم إنى أسألك من النور الذى رأى به سيدنا محمد رسولك صلى الله عليه وسلم ما كان وما يكون ليكون العبد بوصف سيده لا بوصف نفسه غنيا عن تحديد

النظار شىء من المعلومات ، ولا يلحقه عجز عما أراد من المقدورات ومحيطا بذات السر بجميع أنواع الذوات ، ومرتبا للبدن مع النفس وللقلب مع العقل وللروح مع السر ، وللأمر مع البصيرة وللصفات مع الصفات .

وقال رضى الله عنه :

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له : يا سيدى يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى رحمة للعالمين فقال : أنا هو ذاك يا على ، واولى رحمة فى العالمين .

وكان رضى الله عنه يقول لأصحابه :

اصحبونى ولا أمنعكم أن تصحبوا غيرى . فإن وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردوه .

وقال رضى الله عنه :

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال لى: يا على ما فى زمانك مجلس فى علم الفقه أبهى من مجلس عز الدين بن عبد السلام ، ولا فى الحديث أبهى من مجلس زين الدين بن عبد العظيم ، ولا فى علم الحقيقة من مجلسك .

وحدثنى سيدى ماضى رحمه الله تعالى قال :

كان سيدى أبو العباس المرسى نفع الله به فى بعض الأوقات إذا جلس يتكلم فى المجلس يجعل ثوبه على عينيه يغمض به عينيه ، فسأله يوما عن ذلك فقال: يا أخى يا ماضى ، إذا كنت أتكلم تنخرق لى الحجب حتى نرى العرش ، وتغشانى أنواره ، حتى لا أستطيع النظر . والله يا أخى يا ماضى ما أخاف إلا أن أحترق من كثرة الأنوار .

وحدثنى الفقيه المقرى أبو يعقوب يوسف بن جبارة قال : حدثنى الشيخ

أبو على جدار قال : سافرت صحبة الشيخ الولى العارف أبى محمد الجبيى نفع الله به إلى مندرة . فبينما نحن فى وسط الشعراء وكان عندى رغيف بارد يابس ، فتمنيت عنقودا من عنب آكله به . قال : فنزل عن فرسه وقال لى : يا على سر وسط الشعراء كل شجرة منها معلقة عنبا ، حتى أصلى ركعات .

قال : فتقدمت فرأيت الشعراء كل شجرة منها معلقة عنبا مختلفة الألوان والأنواع ، فأكلت حتى تمليت وأتيته بعنقودين أحدهما أبيض ، والآخر أكحل ، فناولتها له ، فرمى بهما فى الأرض . وإذا بهما رثم .

قال : وكنت يوما فى جبل الجلود الذى فى قبلة تونس فأصابنى العطش ، فقال لى : عطشت ؟ قلت له : نعم . فناولنى إبريقه وقال لى : انزل إلى العين التى فى أسفل الجبل واملأه وسم الله واشرب . فنزلت إلى العين ، وهى التى بطرف البحيرة المالحة ، فملأته وشربت ماء عذبا . وطلعت إليه ، فقال لى : هل شربت ؟ قلت له : نعم ، ماء عذبا . فأخذ الإبريق من يدى وأراقه ، وقال : من شدة العطش راق لك وطاب .

وأخبرنى المرابط عمر قال :

كنت يوما بطرف الجبارين ، وإذا بسيدى محمد الجبيى على قدميه ، وإذا بأبى على جدار راكب على حصان ، فلما رآه سيدى عبد الله الجبيى أراد الهبوط له . فقال له : لا تفعل . أنت فارس فى الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى.

وقال سيدى أبو الحسن رضى الله عنه :

رأيت كأن رجلا جاء إلى وقال : إن السلطان يأتى إليك . فقال : اللهم ألق على من زينتك ومحبتك وكرامتك ومن نعوت ربوبيتك ما يبهر القلوب ،

وتذل النفوس ، وتخضع له الرقاب ، وتبرق له الأبصار ، وتتبدد له الأفكار ، ويصغر له كل متكبر جبار ، ويسجد له كل ظلوم كفار يا ألله يا مالك يا عزيز يا جبار يا ألله أحد، يا واحد يا قهار .

وقال رضى الله عنه :

بت فى هم من المسلمين من الترك ، هل أدعو عليهم . فرأيت أستاذى رحمه الله يقول : قم. أجل لهم ، فاصبروا واشكروا وفوضوا وارضوا وسلموا وتوكلوا واتقوا وأحسنوا ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . أمدبراً غير الله تريدون. أم حكما غير حكمه تلتمسون. ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون . قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون يؤذون ويظلمون، وما أقل استعجالهم ودعاءهم على الظالمين ، لمرفتهم بالله رب العالمين . وإن دعا منهم داع فبإذن من الله ، لا عن ضيق وسخط .

وقال رضى الله عنه :

إذا امتلأ القلب بأنوار ، وامتلأ السر بأنوار الأعلا حجبت بصيرته عن الذام والنقائص المقيدة لعباده من المؤمنين لما أطلق عليه من الثناء الأعلا الذى لا غاية له أبد الآبدين . وإذا حجب العبد عن النور الأعلا وتقيد بالنور الأدنى وتغير لتغيره وتكدر لساكن ليله ، وظلمة وقته . فحسبه أن وفق القيام بأمره ونهيه .

وقال رضى الله عنه :

المحبة مع الله برفض الشهوات والمشيئات ، وان يصل العبد إلى الله وقد بقى معه شهوة من شهواته ، ولا مشيئة من مشيئاته .

وقال رضى الله عنه :

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : قل لفلان بن فلان يقرأ هذه الكلمات . فإن قراءتها تنصب عليه الرحمة كالمطر . . الحمد لله الذى بدىء منه الحمد وإليه يعود كل شىء كذلك . لا إله إلا الله . اللهم اغفر لى شركى وكفرى وتقصيرى واغفر للمؤمنين والمؤمنات .

وقال رضى الله عنه : فى وقت عند دخوله الصلاة :

لا إله إلا الله السميع القريب المجيب . تجيب دعوة الداعى إذا دعاك ، وتجيب المضطر وتكشف السوء وتجعل من تشاء خليفة ، إن ربى لسميع الدعاء ، رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعائى . ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب . أسألك بصلاتك على محمد رسولك أن تصلى على وملائكتك صلاة تخرجنى بها من الظلمات إلى النور . واجعلنى من المؤمنين ، فإنك بالمؤمنين رحيم . اللهم اجعل هذه الصلاة صلة بينى وبينك ، ولا تجعلها مفاصلة لى عنك ، واجعلها صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، واذكرنى فيها منك بالذكر الأكبر ، وأرنيه فى نفسى وفى على ، وأصحبنيه صحبة الكرامة إلى غاية أجلى إنك على كل شىء قدير .

وقال رضى الله عنه :

سألنى بعض أصحابى وأعز الناس على أن أستخير له فى خير يأمله ففعلت فى أول ليلة طلب ذلك . ثم سألنى فى اليوم الثالث فلجأت إلى الله تعالى فيما أراد منى فرأيت أستاذى رضى الله عنه فقال لى : رجل يخالط أهل الآخرة ويعول عليهم ، ويخالط أهل الدنيا وينفر طبعه منهم . إن ضيق عليه لجأ إلى الله . وإن أنعم عليه أخذ فى الشكر لله فما ظنك به عند الله . أفلا تعقلون . احمله

عمل فواضل الأعمال يبارك له فيما يفنى ، ويدخر فيما يبقى ، وسيجزى الله الشاكرين .

وقال رضى الله عنه :

رأيت كأنى فى عليين مع الملائكة المقربين فى نعيم لا أبغى عنه بدلا . فقالوا : سر إلى الزيادة ، فسرت معهم ، فدخلت فى موطن كريم لا أقدر على وصفه طاعما فى الشهود ، فإذا أنا بشهود لا أقدر على وصفه فقيل لى : من كففت جوارحه عن معصيتى ، وزينته بحفظ أماناتى ، وفتحت قلبه لمشاهدتى ، وأطلقت لسان سره لمناجاتى ، ورفعت الحجاب بينه وبين صفاتى ، وأشهدته معانى أرواح كلماتى فقد زحزحته وأدخلته جنتى ، وفاز بقربى وصحبة ملائكتى ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز .

فهذه جنة معجلة لأهل الإيمان البالغ يقينا ، وسيدخلونها يوم الجزاء بأبدانهم ذوقا وحسا وعيانا ، ثم أناديهم بالعبارة والإشارة واللطف والحقيقة : يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة .

وقال رضى الله عنه :

العاقل عن الله من عزه شدائد الزمان فى الألطاف الجارية من الله ، وعزه إساءة نفسه فى إحسان الله إليه ، فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون .

وقال رضى الله عنه :

عليك بالمطهرات الخمس فى الأقوال ، والمطهرات الخمس فى الأفعال ، والبراءة من الحول والقوة فى جميع الأحوال وغص بقلبك إلى المعانى القائمة بالقلب ،

وأخرج منها وعده إلى الرب ، واحفظ الله يحفظك ، واحفظ الله تجده أمامك ، واعبد الله بها وكن من الشاكرين .

فالمطهرات الخمس فى الأقوال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

والمطهرات الخمس في الأفعال : الصلوات الخمس .

وقال رضى الله عنه :

« الحقائق هى المعانى القائمة بالقلوب، وما اتضح لها وانكشف من الغيوب، وهى منح من الله وكرامات ، وبها وصلوا إلى البر والطاعات ، ودليلها قول حارثة : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت مؤمناً . . . الحديث .

وقال رضى الله عنه :

خرجت من منزلى لصلاة الصبح ، فلقنت ذكر : باسم الله رب جبريل ، باسم الله رب ميكائيل ، باسم الله رب إسرافيل ، باسم الله رب عزرائيل ، باسم الله رب محمد ، باسم الله رب إبراهيم ، باسم الله رب موسى ، باسم الله رب كل شىء وهو على كل شىء قدير .

وقال رضى الله عنه :

ومما يصلح أن يقال فى أول الليل وفى أثنائه : أعوذ بالله وبقدرته وبكلماته التامات والعامات من شر ما كان ومن شر ما هو كائن فى هذا اليوم وما بعده إلى يوم القيامة ، وفى الدنيا وفى الآخرة وفى الأزل والأبد . وأبد الأبد الذى لا غاية له ، ومن شر ما لا يكون أن لو كان كيف يكون . أعوذ بجلالك وجمالك وعظمتك وكبريائك ونورك وبهائك وسلطانك وقدرتك وإرادتك ونفوذ مشيئتك وبجميع أسمائك وصفاتك ونعوتك وأخلاقك وأنوارك ، وبذاتك

من شر كل معلوم هو لك ، أنت ربي ، وعلمك حسبي ، فأعطني من سعة رحمتك على سعة علمك ، فهي التي لم تدع للخير مطلبا ، ولا من الشر مهربا ، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وبالملائكة المتفرقة عن كلمته القائمة بذاته .

وقال رضي الله عنه :

الأذكار أربعة : ذكر تذكره ، وذكر تذكر به ، وذكر يذكرك ، وذكر تذكر به .

فالذكر الأول : حظ العوام ، وهو الذي تطرد به الغفلة ، أو تخافه من الغفلة .

والثاني : تذكر به أي مذكور ، إما بالعذاب ، وإما بالنعيم ، وإما بالقرب ، وإما بالبعد ، وغير ذلك ، وأما الله جل وعلا .

والثالث : يذكرك ، مذكورات أربعة : الحسنات من الله ، والسيئات من قبل النفس ومن قبل العدو وإن كان الله هو الخالق لها .

والرابع : تذكر به ، وهو ذكر الله لعباده ، ليس فيه متعلق ، وإن كان يجري على لسانه ، وهو موضع الفناء بالذكر أو بالمذكور العلي الأعلا . فإذا دخلت فيه صار الذكر مذكوراً ، والمذكور ذاكراً ، وهو حقيقة ما ينتهي إليه في السلوك ، والله خير وأبقى .

وعليك أيها الأخ بالذكر الموجب للأمن من عذاب الله في الدنيا وفي الآخرة ، وهو الموجب أيضاً لرضوان الله تعالى في الدنيا والآخرة ، تمسك به ، وداوم عليه ، وهو أن تقول : الحمد لله ، وأستغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، الحمد لله ، فإن المنن والإحسان من الله ، وأستغفر الله بإزاء قبل النفس وقبل العدو ، وإن كان من الله خلقا وإرادة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فإن العوارض ما يرد من الله عليك ، وما يصدر إليك منه .

وأثبته فإن السر قلما يقع فى الذكر وفى الفكر وفى السكت وفى الصمت الأملا من هذه الأربعة الحسنة أو السيئة ، فقل الحمد لله. فإن عرض لك عارض من الله أو من نفسك لم يك بعد خيراً كان أو شراً ، فلست بقادر على دفعه أو جلبه ، فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، واجمع بين هذه الأذكار الثلاثة فى عموم الأوقات ، وداوم عليها ، تجد بركاتها إن شاء الله تعالى والسلام .

وقال رضى الله عنه :

اقرع باب الذكر بالالتجاء إلى الله تعالى والإفتقار إلى الله بملازمة الصمت عن الأمثال والأجناس ومراعاة السر عن محادثة النفس فى جميع الأنفاس إن أردت الغنى .

وقال رضى الله عنه : من أراد أن يسلم من هول الدنيا والآخرة فليقرأ إذا السماء كورت .

وقال رضى الله عنه : إن أردت خير الدنيا والآخرة ، وكرامة المغفرة والرحمة ، والنجاة من النار ، والدخول فى الجنة ، فاهجر معصية الله ، وأحسن مجاورة أمر الله ، واعتصم بالله واستغفره ، وتوكل عليه إن الله يحب المتوكلين .

وقال له قائل : اشرح لى كيف أتوكل على الله وكيف أعتصم به ، وكيف أستعين به ؟

فقال : من تعلق بشىء أو توكل عليه ، أو استند إليه ، واعتمد على شىء سوى الله فليس بمتوكل. فالتوكل وقوع القلب والنفس والعقل والروح والسر ، والأجزاء الظاهرة والباطنة على الله دون شىء سواه .

والاعتصام بالله : التمسك به ، واللجوء إليه والاضطرار. فخذ فى الاعتصام قبل أن تر قدرة أو إرادة أو حكما أو أثراً فى شىء أو على شىء أو من شىء أو لشىء بعد .

وأما الاستعانة فالله لا يتخذ العلم سبباً ، ولا السبب إليه سبباً ، ولا الأول ولا الآخر ، وغرق الكل فى العلم والقدرة والإرادة والكلمة كما غرقوا الدنيا فى الآخرة فى السابقية ، والسابقية فى الحكم ، والحكم فى العلم الأزلى .

وأما الهجران للمعصية فاهجر حتى تنسى . وحقيقة الهجران نسيان المهجور. هذا فى صورة الكمال ، فإن لم تكن كذلك فاهجر على المكابدة والمهاجرة ، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا . ومن أحسن مجاورة أمر الله فبالذكر والفكر والمبادرة والتسليم لأمر الله .

وإذا عارضك ذنب أو نقص أو لهو أو غفلة فاستغفر الله من ظلمك لنفسك، ومن سوء عملك بعظيم جهلك ، ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما .

وقال رضى الله عنه : الأعمال بالنيات ، وإن للنية محلا ، وتوفيقا ، وكيفية، ومعنى ، فتلك الصفاء لحلاتها . والتوفيق فى أوقاتها ، والعصمة فى كيفاتها ، والتحقيق لمعانيها . وتلك صحة العقد وحسن القصد تعظيما لحق الربوبية ، والتزاما للنفس بوصف العبودية فى محل النية .

ووقتها عند افتتاح العمل ، وكيفيتها : ارتباط القلب مع الجوارح . ومعنى النية أربعة أشياء: القصد، والعزم، والإرادة ، والمشيئة، كل ذلك بمعنى واحد .

وللنية صورتان: تقوية العمل بحسن التيقظ فيه . والصورة الثانية: الإخلاص بالعمل لله ابتغاء ما عنده من الأجر وإرادة وجه الله .

وقال رضى الله عنه : حقيقة الذكر : ما اطمأن بمعناه القلب ، وتجلى فى حقائق سحائب أنوار سحائب الرب .

وقال رضى الله عنه : انتزع عن الدنيا بالإيثار ، ومن المعصية بالأسرار ،

ودأوم على سؤال الرحمة اللدنية ، واستغن بها عن الفاعلية ، ولا تعلق نفسك بشيء تسكن من الراسخين في العلم الدين لا يغيب عنهم لا سر ولا علم . فإن خطر بقلبك خطرات المعصية والدنيا ، فألقها تحت قدميك حقارة وزهداً ، يملأ قلبك علماً ورشداً ، ولا تسرف فتغشاك ظلمتها ، وتنحل أعضاؤك لها .

ثم لا بد من مفارقتها . إما بالهمة أو بالفكرة ، أو بالإرادة والحركة ، فهناك يتحير اللب ويكون العبد كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا ، قل إن هدى الله هو الهدى . ولا هدى إلا لمن اتقى ، ولا تقوى إلا لمن أعرض عن الدنيا ، ولا يعرض عن الدنيا إلا من هانت عليه نفسه ، ولا تهون النفس إلا عند من عرفها ، ولا يعرفها إلا من عرف الله ، ولا يعرف الله إلا من أحبه ، ولا يحبه إلا من اصطفاه الله واجتباه ، وحال بينه وبين نفسه ..

وقل : يا ألله يا قدير يا مريد يا عزيز يا حكيم يا حميد ، يا رب يا مالك يا موجود يا هادي يا منعم هب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، وأنعم على عبدك بنعمة الدين والهداية إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور . بحرمة هذا الاسم الأعظم آمين .

وقال رضي الله عنه : سئلت عن العزائم فقلت أمن غلب عليه شهود الإرادة تفسخت عزائمه لسرعة المراد وكثرته واختلاف أنواعه . وأي وقت تسعه حتى يحل أو يعقد أو يعزم أو ينوي شيئاً من أموره مع تبدد إرادته ، واضمحلال صفاته . أين أنت من نور من نظره بنور ربه ، ولم يشغله المنظور إليه عن نظر به ، فقال : ما من شيء كان ولا يكون إلا وقد رأيته .

وقال رضى الله عنه : منازل السائرين ثلاثة : سائل يسأل عن عين التحقيق برفع الحجاب ، وسائل يسأل عن النيابة بالفناء عن نفسه ، والثالث منهم وجدته .

وقال رضى الله عنه : بسط المناجاة أربعة : إما أن تناديه من أوصافك وأنت ناظر إلى أوصافه ، وإما أن تناديه من أوصافه وأنت ناظر إلى أوصافك ، وإما أن تكون فانيا بأوصافه عن أوصافك ، أو تكون باقيا بأوصافه فى أوصافك . أو يجلسك الحق على بساط الحاجات ترمق ببصر قلبك سد الخلل والفاقات . أو تكون ذاكراً للسنة ، ويكون البساط هنا الذكر ، أو يكون أجلسه على بساط النعمة ، وأوصاف العبد الفقر والفاقة ، والفخر والضعف ، والحاجة والمسكنة ، والجهل والذل .

وقال رضى الله عنه : مخازن الشيطان أربعة : إما أن يجلدك مفكر فيما يقربك إلى الله أو مفكر فيما يبعدك عنه فتجتنبه ، وإما أن تجلس فيما سلف من ذنوبك ، فتستغفر وتشكر ، وإما أن تجلس مفكرا فيما سبق من حسن عمل فتشكر وتستغفر .

وقال رضى الله عنه : إذا جالست العلماء فجالسهم بالعلوم المنقولة والرواية الصحيحة ، إما تفيدهم أو تستفيد منهم . وذلك غاية الربح . وإذا جالست العباد والزهاد فجالسهم على بساط الزهد والعبادة حل لهم ما استمرأوه ، وسهل عليهم ما استوعروه ، وذوق لهم من المعرفة ما لم يذوقوه ، وإذا جالست الصديقين ففارق ما تعلم ، ولا تنتسب لما لا تعلم ، فتظفر بالعلم المكنون ، وببصائر أجرها غير ممنون .

وقال رضى الله عنه : السكينة وجود الحق بلا تعب ، ورجوع إلى الحق

يتهيأ أرب الهمم إلا لاقتضاء العبودية ، فحينئذ يكون حظ النفس الخدمة، وحظ القلب المعرفة ، وحظ العقل المكاشفة ، وحظ الروح المحبة .

وقال رضى الله عنه : من تحقق الوجود فى كل موجود ، ومن كان بالوجود ثبت به كل موجود .

وقال رضى الله عنه: كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف، أم كيف يعرف بشىء من سبق وجوده وجود كل شىء ، وكيف يؤمن مع الفضل من عرف عدله ، أم كيف ييأس مع الشر من عرف فضله ، أم كيف يجهل من يرى تقلب الليل والنهار ، والقـــلوب والأبصار ، والشدة والرخاء والمنع والعطاء .

وقال يحكى عن أستاذه رضى الله عنه : أربعة من كن فيه احتاج الخلق إليه ، وهو غنى عن كل شىء : المحبة لله تعالى ، والغنى بالله ، والصدق واليقين . الصدق فى العبودية ، واليقين بأحكام الربوبية ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .

وقال رضى الله عنه : استهان بدينه من غفل عن قلبه ، واتخذه لعبا من اشتغل بخلقه .

وقال رضى الله عنه : التوحيد سر الله ، والصدق سيف الله ، ومدد السيف بسم الله ، وترجمته : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال رضى الله عنه : العقوبات أربعة : عقوبة بالعذاب، وعقوبة بالحجاب، وعقوبة بالإمساك ، وعقوبة بالإهلاك . إهلاك السر بالمطلوب .

فعقوبة العذاب من جهة المحرمات . وعقوبة الحجاب هي لأهل الطاعات فتكون عقوبة من جهة سوء الأدب . وعقوبة الإمساك تكون من جهة الاستعجال أو التملق ، فربما ينزل له ذلك فيهلك السر .

وقال رضي الله عنه: هممت أن أدعو على ظالم ، فنوزعت في ذلك ، فرأيت أستاذي رضي الله عنه يقول : إن يشأ إهلاك ظالم فلا تستعجل له ، فالاستعجال بالإهلاك للأعداء ، وإرادة النصر للأولياء من الشهوة الخفية ومن أظلم ممن ينازع إرادة مولاه ، وتبع شهوة نفسه وهواه .

وقد أمر المعصوم الأكبر ونهى بقوله : « واصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » . وبقوله : « واصبر فإن العاقبة للمتقين » .

فالإيمان محو الصفات بالصفات والأسماء بالأسماء وتفريق الذوات بالذوات لتحقيق ما هو الأول والآخر والظاهر والباطن .

فأي شيء كان معه آخراً ، حتى يكون معه أولا ، وأي شيء كان معه ظاهراً حتى يكون معه باطنا ، فما ثبت من المخلوق فبإثباته ، وما محي فبمشيئته وإرادته . وخذ ذلك من قوله : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » . وهو العلم الأول ، وعنه صدر كل علم وكتاب .

وقال رضي الله عنه : إن أردت أن تنظر ببصر الإيمان والإيقان دائما ، فكن لنعم الله شاكراً ، وبقضائه راضيا ، وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون .

وإن أردت النيابة عنك أو منك فاعبد الله على المحبة لا على المتاجرة ، وعلى المعرفة بالتعظيم والصيانة .

وقال رضى الله عنه : كرامة الله فى الرضا تلهيك عن المصيبة إلى يوم اللقاء .

وقال رضى الله عنه : العاقل من عقل عن الله تعالى آياته ، وشغل بالذكر والشكر فى آلائه ، وفتح له السبيل باللجوء والافتقار إليه ، والدعاء ، والسؤال منه ، والاعتصام به ، فاستجاب الله له ، فليس يعلم أحد ما يريد الله أن يعطيه ، ثم تلا : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار » . . الآية .

وقال رضى الله عنه : من انقطع عن تدبيره إلى تدبير الله ، وعن اختياره إلى اختيار الله ، وعن نظره إلى نظر الله ، وعن مصالحه إلى علم الله ، بملازمة التسليم والرضا والتفويض والتوكل على الله فقد آتاه الله حسن الأدب ، وعليه يترتب الذكر والشكر ، وما أرى ذلك من الخصائص[1] .

وقال رضى الله عنه : فى قوله صلى الله عليه وسلم : « من صلحت نيته صلح عمله » . تحسن النية فيما بينك وبين الله توجيه القلب بالتعظيم لله ، والتعظيم لأمر الله ، والتعظيم لما به أمره . وفيما بينك وبين العباد توجيه النفوس بالنصيحة لهم ، والقيام بالحقوق وترك الحظوظ ، ونبذ العوارض ، مع الصبر لله والتوكل على الله .

وقال رضى الله عنه : يا عبد الله ، انتزع من محادثة النفس ، وإرادة الشيطان ، وطاعة الهوى ، وحركة الرعناء ، تسكن صالحا . واتق الله فى الخطرة واللمحة

---

(١) يعنى ليس ذلك من خصائص الأولياء العارفين ، بل هو سلوك عام يسلكه الصالحون من العامة . أما سلوك المقربين فهو الفناء الكلى فى مراد الله علما وشهودا ويقينا .

والسكرة وحركة النفس تكن صديقا . وإن تكدر عليك شيء من ذلك ، فاهجر الأسباب والأوطان والإخوان ومواقع الفتن تكن مهاجراً . وإن واقعت شيئا من ذلك فتب إلى الله واستغفره والجأ إليه واستغث به ، تكن مؤمنا .

واتخذ الطهارة والصوم والصلاة والصبر والذكر وتلاوة القرآن والتبرى من الحول والقوة سلاحا تكن سالما . وإن غلبت فاتخذ الإيمان حصنا ، وإن دخل عليك فسلم الأمر كله لله ، وعليك بالإيمان والتوحيد ، والمحبة لله ، وأغرق الدنيا فى بحر التوحيد قبل أن تغرقك .

وقال رضى الله عنه : سر الأسرار سدة العلم والمعرفة ، وروح القربة والمحبة والاصطفائية والتخاصيص والتولية .

وقال رضى الله عنه : من فارق المعاصى فى ظاهره ، ونبذ حب الدنيا من باطنه ، ولزم حفظ جوارحه ومراعاة سره ، أتته الزوائد من ربه ، ووكل حارسا يحرسه من عنده ، وجعله الله فى سره ، وأخذ الله بيده . فى جميع أموره ، وأتته زوائد العلم واليقين والمعرفة .

وقال رضى الله عنه : كل شهوة تدعوك إلى الرغبة فى مثلها فهى عدة الشيطان وسلاحه ، وكل شهوة تدعوك إلى طاعة الله والرغبة فى سبيل الخيرات فهى محمودة ، وكل حسنة لا تثمر نوراً فلا تعدلها أجرا ، وكل سيئة أثمرت خوفا وهربا فلا تعدلها وزرا .

وقال رضى الله عنه : اللهم إنى تبت إليك فقيدنى وأعنى وأقرنى وانصرنى وثبتنى واعصمنى ، واسترنى بين خلقك ، ولا تفضحنى عند رسولك .

فقيل لى : إنك مشرك ، فقلت : وكيف ؟ فقيل لى : إنك خفت الفضيحة عند الناس ، فيكون قلبك متعلقا[1] بالناس لا بالله . وتعلم أن أحدا منهم لا ينفعك ولا يضرك فما دام قلبك متعلقا[2] بعلمك واجتهادك فلست براجع إلى الله حتى تيأس من الكل (وتكون) متعلقا بالرجاء فى الله . وفى كل نفس تستنجد الروح والمدد من الله . وإن لم تقل حاجتك و (حينئذ) يقطعك بذلك النور إلى غيره ، ويضيق عليك (حتى لا ترى غيره)[3] .

وقال رضى الله عنه : حقيقة الذكر الانقطاع عن الذكر إلى المذكور ، وعن كل شىء سواه .

وقال رضى الله عنه : إذا أكرم الله عبدا فى حركاته وسكناته نصب له العبودية ، وستر عنه حظوظ نفسه ، وجعله يتقلب فى عبوديته ، والحظوظ عنه مستورة ، مع جرى ما قدر له ، ولا يلتفت إليها ، كأنه فى معزل عنها .

وإذا أهان الله عبدا فى حركاته نصب له حظوظ نفسه ، وستر عنه عبوديته ، فهو يتقلب فى شهواته ، وعبوديته لله بمعزل عنه ، وإن كان يجرى عليه شىء منها فى الظاهر . وهذا باب فى الإهانة والولاية .

أما الصديقية العظمى والولاية الكبرى ، فالحظوظ والحقوق عند ذوى البصيرة كلها سواء ، لأنه بالله فيما يأخذ ويترك .

وقال رضى الله عنه : الاستقامة بين يدى الله عز وجل على الشهود أنه يدخلك عنده ، ثم يرخى عليك الحجاب .

---

(١) فى طت : متعلق . (٢) فى طت وطس : متملق .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من طت وطس .

وقال رضى الله عنه فى قول بعضهم : من لم تصح إرادته لم يزده مرور الإيمان عليه إلا إدباراً ، فيقال : من أراد أن تصح إرادته فليوصل أمره على العلم برفض الجهل . وعلى رفض الدنيا بالإقبال على الآخرة وإيلازم الخلوة ودوام الذكر . فهنالك تظهر عليه آثار الخصائص بالنور والبهاء فى الوجه ، ويقبل الناس عليه من الرجال فى الحواضر والبوادى ، ويسارعون إليه بالسلام عليه من الرجال .

فإن قبل ذلك منهم قبل التمكين والتحقق فإنه يسقط من عين الله ، ويرد إلى ما خرج عنه . فتراه تارة يمدح هذا ، ويذم هذا ، ويحقد على هذا ، وقد ظهرت عورة نفسه بإدباره عن ربه ورفضه (له) بصحابة نفسه .

فاحذر هذا الأذى العظيم ، فقد هلك به خلق كثير ، واعتصموا بالله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

وقال رضى الله عنه : اعرف الله ثم استرزقه من حيث شئت ، غير مكب على حرام ، ولا راغب فى حلال ، وانصح لله فى عباده ، ولا تخنه فى أمانته ، واعبد الله باليقين تكن إماما من أئمة الدين ، وارتفع عن علم الجهلة إلى علم الخاصة ، تكن من الوارثين ، ولك أسوة فى المرسلين ومتحقق فى النبيين .

ومن نسب أو أضاف أو أحب أو أبغض أو تحبب أو تقرب أو خاف أو رجا أو سكن أو أمن لشئ غير الله ، أو تعدى[1] حداً من حدود الله فهو ظالم ، والظالم لا يكون إماما قال الله تعالى : « إنى جاعلك للناس إماما ، قال ومن ذريتى . قال : لا ينال عهدى الظالمين » .

---

(١) فى ط ت وطس : أو يتعدى .

ومن صدق الله فى يقينه فهو إمام ، قلت روايته أو كثرت . ومن كان إماما فلا يضره أن يكون أمة وحده ، وإن قلت أتباعه .

وقال رضى الله عنه : وقد أراد أن يمشى لبعض فى الدفع عن رجل من الصالحين : اللهم اجعل مشيى إليه تواضعا لوجهك ، وابتغاء لفضلك ، ونصرة لك ولرسولك ، وزينى بزينة الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا . وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصديقون .

وخصنى بالمحبة والإيثار ورفع الحجاب عن الصدور بالليل والنهار ، وقنى شح نفسى ، واجعلنى من المصلحين واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم .

وقال رضى الله عنه : يوصف بالبخل والذم من منع لأجل شىء من هذه الأوصاف : خوف الفقر ، وسوء الظن ، والاحتقار لحرمة المؤمنين ، وإيثار النفس والهوى .

وقال رضى الله عنه : إذا استحسنت شيئاً من أحوالك الظاهرة والباطنة فقل : ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

وقال رضى الله عنه : إذا خوفك أحد من الجن أو الإنس فقل : حسبنا الله ونعم الوكيل . وإذا ورد عليك من يؤثر الدنيا على الآخرة فقل : حسبنا الله ، سيؤتينا الله من فضله ورسوله ، إنا إلى ربنا راغبون .

وقال رضى الله عنه : يقرأ للعين : وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون . وما هو إلا ذكر للعالمين ، وقل : يا قوى ياعزيز يا عليم يا قدير يا سميع يا بصير .

وقال رضى الله عنه : وقد شكى إليه الناس ما هم فيه من الظلم فقال : اللهم إنى برىء من جور الجائرين ، وظلم الظالمين ، وإنا مجبولون ، فلا تجره علينا بتسلطك إنك على كل شىء قدير .

وقال رضى الله عنه : اجتمعت برجل فى سياحتى ، فأوصانى فقال : ليس شىء فى الأقوال أعون على الأحوال من : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . والاعتصام بالله . ففروا إلى الله ، واعتصموا بالله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

ثم قل : بسم الله فررت إلى الله ، واعتصمت بالله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، رب إنى أعوذ بك من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . بسم الله قول باللسان ، صدر عن القلب . ففروا إلى الله . ثم تقول للشيطان : هذا علم الله فيك ، وبالله آمنت وعليه توكلت . أعوذ بالله منك . ولولا ما أمرنى ما استعذت منك . ومن أنت حتى أعتصم بالله منك .

وقال رضى الله عنه : الوسائل كلها فى أربعة : فى الأبدان والأموال والعقول والقلوب . قال الله تعالى : « قالوا : لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين » . فالصلاة للأبدان ، والإطعام للأموال ، والخوض للعقول ، والتكذيب للقلوب .

وقال رضى الله عنه : لا تؤخر طاعتك وقتا ، فتعاقب بفوتها أو بفوت غيرها مثلها جــزاء لتأخيرها عن ذلك الوقت ، فإن لكل وقت سهم فى العبودية يقتضيـــه الحق منك بحكم الربوبية ، فقلت فى نفسى :

قد أخر الصديق[1] الوتر إلى آخر الليل . فإذا بصوت فى النوم يقول : تلك لى، تلك عبادة وسنة ثابتة ألزمه الله إياها، مع المحافظة عليها، فأنى لك بها مع الميل إلى الراحات والتمتع بالشهوات ، والدخول فى أنواع المخالفات ، والغفلة عن المشاهدات . فهيهات هيهات .

فقلت فى نفسى : أتدبير أم رفض ؟ فقال : بل تدبير يقتضى كمال الأدب ، والتنبه لما أغفل وهو وصية الله إليك ، ووصية منك لعباده ، فتنبه لها ولا تكن من الغافلين .

وقال رضى الله عنه : اللهم إنى أسألك حسن اللب، ودوام الذكر والفكر واللجوء والافتقار إليك ، والدعاء لك ، والاستجابة منك ، والثقة بك ، والتوكل عليك ، والزهد الواقع على البر ، القاطع والمحبة والرضا . هذه أعمال الصديقين فى بداية أمورهم .

وقال رضى الله عنه : أوصانى أستاذى رضى الله عنه أن أخاف من الله خوفا آمن به من كل شىء ، فلا معنى للخوف من شىء ، لأنه عند كل شىء ، ومع كل شىء ، وفوق كل شىء ، وتحت كل شىء ، وقريب من كل شىء ، ومحيط بكل شىء . تعالى عن الحدوث والأماكن ، وعن الجهات وعن المحبة والقربة بالمسافة ، وعن الدور بالمخلوقات .

---

(١) المعروف أن الذى كان يؤخر الوتر إلى آخر الليل هو سيدنا عمر رضى الله عنه وقد وصفه النبى صلى الله عليه وسلم بأنه أخذ بالعزم ، ووصف سيدنا أبا بكر بأنه أخذ بالحزم لأنه كان يوتر أول الليل . ولعل الناسخ غلط فى النقل بسبب اتجاه الإمام الشاذلى نحو سلوك الصديق فى كثير من الأحوال .

والحق الكل يوصف الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم . كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما هو عليه .

وقال رضى الله عنه : اركز الأشياء[1] فى الصفات ركزها قبل وجودها ثم انظر هل ترى اذين أين ، أو ترى لكون كائنا .

وقال رضى الله عنه : العلم الحقيقى هو الذى لا تزاحمه الأضداد ولا الشواهد على نفى الأمثال ، والأنداد كعلم الرسول والصديق والولى ، فمن دخل هذا الميدان كان كمن غرق فى بحر وتلاطمت عليه أمواجه فأى ضد يزاحمه أو يلقاه ، أو يسمع به أو يراه ؟ ومن لم يدخل هذا الميدان ، واعترضته العوارض واحتاج إلى قوله : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وقال رضى الله عنه : إنا لننظر إلى الله ببصائر الإيمان والإيقان ، فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ، ونستدل به على الخلق ، هل فى الوجود سوى الملك الحق ، فلا نراه ، وإن كان ولابد فنراهم كالهباء فى الهواء ، وإن فتشتم لم تجدوا شيئا ، والعيون فى الاتصال ، ومقوت الأنوار كالنجوم مع الأقمار . أى : لا حكم لهم مع وجودهم ، ولكن يستعان بهم على الاهتداء فى الظلم « وبالنجم هم يهتدون » .

والأكابر من العيون كالشموس مع الأقمار ، وهم قليلون فى مقام ، وهكذا نفهم أفهام النبيين والرسل والصديقين والأولياء ، والتشبيه عن له سبب ونظير يعطى الأفهام للسالكين ، فتسكن قلوبهم بما يسمعون .

وقال رضى الله عنه : أين أنت من التوحيد المجرد عن التعلق بالله وبالخلق . وكل اسم تستدعى به نعمة أو تشتكى به نقمة فهو حجاب عن الذات .

---

(١) فى طت وطس : اركن .

وعن التوحيد بالصفات ، ومن أحاطت به صفة من الصفات الجميلة أغناه عن الاستغاثة بالأسماء والكلمات ، ولا تدع ما هو لك لما ليس لك ، ولا تتمن ما فضل الله به غيرك ، واسكن عبوديتك التسليم والرضا والقبول لما ترى ، وحسن الظن بالله فيما تاتى ، والاشتغال بما هو أولى . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده . . ولو أشركوا لحبط ما كانوا يعملون .

وقال رضى الله عنه : إن لله رجالا محق أوصافهم بأوصافه ، وفسح عقائدهم بأنواره ، وأبطل عزائمهم(١) بإرادته ، وأغناهم بالرحمة الذاتية عن رحمته الصفاتية ، واصطفاهم لمناجاته ، وثبت فيهم من أسراره ما يعجز عامة الأولياء عن سماعه .

وقال رضى الله عنه : أيها الحريص على سبيل نجاته ، الشائق إلى حضرة جنابه ، اجتنب الإكثار مما أباحه الله لك ، ودع ما لا يدخل تحت علمك مما أحله لك ، واترك الإكثار مما اشتغل الناس به شغلا بمراعاة سرك ، ففي ترك الاستكثار الزهد ، وفي ترك ما لا يدخل تحت علمك الورع لقوله عليه السلام : « البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس بغير ذلك . فافهم .

وفي الاشتغال بمراعاة السر الإشراف على حقائق الإيمان . فإن كنت تاجراً كيسا فدع ما تريد لما يريد بشرط الرضا بجميع أحكامه ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .

الدنيا حرامها عقاب وحلالها حساب حسب الحديث ، والدنيا التى لا حساب

(١) فى طت وطس : وبطل عزائمهم .

عليها الآجل ولا حجاب معها فى العاجل هى التى لا إرادة فيها لصاحبها قبل وجودها ولا معها له مع وجودها، ولا أسف عليها عند فقدها، والحر الكريم من يأخذها منه على المواجهة، ويدعها به على المواجهة، لا أثر للأغيار[1] على قلبه.

وقال رضى الله عنه : رأيت صائحاً يصيح فى جو السماء : إنما تساق لرزقك أو لأجلك أو لما يقضى الله به عليك ، وهى خمس لا سادس لها ، فاتق الله أينما كنت ولا تعدل بالتقوى شيئاً. فإن العاقبة للمتقين ، فيحق يحبهم ويحبونه ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

قال : أعوذ بالله من سوء القضاء ومن جزع النفس عند ورود البلاء ومن الفرح والحزن والهم والغم فى الشدة والرخاء.

وقال رضى الله عنه : سمعت قائلا يقول : ما صبر من احسن : ما سلم من تكلف ، ولا رضى من سأل ، ولا فوض من دبر ، ولا توكل من دعا ، وهى خمس وما أحوجك لهذه الخمس إن ثابرت عليها . وقل: رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير فزدنى من فضلك واجعلنى من الشاكرين لنعمائك.

وقال رضى الله عنه : خمس من لم يكن فيه شىء منهن لا إيمان له : التسليم لأمر الله ، والرضا بقضاء الله ، والتفويض إلى الله ، والتوكل على الله ، والصبر عند الصدمة الأولى.

وقال رضى الله عنه : يا من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ، أجرنى مما أوقعتنى فيه ، فقيل لى : لا تمن إلى الله فى الجزع والسخط فيمقتك الله . فقلت : ضيق على هذا الأمر . فقال : نحن قدرناه عليك لنربيك ونعلمك ، ثم قال : انف المنافع والمضار عنهم لأنها ليست منهم ، واشهدها حتى فيهم ، وفر إلى بشهود القدر الجارى عليك وعليهم أدلك ولهم ولا تخفهم خوفا تشتغل به وتنسى ترد القدر إليهم.

---

(١) فى طس وطت : لأغيار.

وكل خوف يردك إلى غيره فصاحبه مذموم أو ناقص ملوم.

وقال رضي الله عنه: قيل لي: إذا تداينت بدين فتداين على الله، فإن تداينته على الله فعلى الله أداؤه. وإن أردت أداءه وربما سوفت وضيعت أو ما طلت أو هونت أو قدمت أو أخرت أو ظلمت أو كذبت أو خسرت وما ربحت.

فقلت: وكيف أتداين على الله. فقال: تقطع النفس عن الجهات، وانتزع القلب عن العادات، وعلقه بمن ملك الأرض والسموات. وقل: اللهم عليك تداينت وباسمك الذي حلقتني به حلت، وعلى الله توكلت وإليه أمري فوضت، فأعوذ بك من الدخول في هوى الجهل والنفس والنتن والدنس والرجس.

فإن عارضك عارض معلوم هو لك من العادات التي تجري إليك نفسك فاهرب إلى الله منها هروبك من النار ومن عمل أهل النار. وقل: انقذني واغفر لي يا عزيز. فهذه من غرائب المعرفة في علوم المعاملة، فاهرب من نفسك واحتسب أجرك على الله.

وقال رضي الله عنه لبعض أصحابه: رأيتك تكابد نفسك وتجاذب أمرك في مجاذبة نفسك. فقلت له: يا أبكم يا ابن أبكم، أعني بذلك نفسي في الأبوة ونفسك في النبوة. ودع التدبير حتى في اللقمة تأكلها، وفي الشربة تشربها، وفي الكلمة تقولها أو تتركها. أين أنت من المدبر العليم السميع البصير الحكيم الحميد جل جلاله وتقدست أسماؤه أن يشاركه غيره.

إذا أردت أمراً تفعله أو أمراً تتركه فاهرب إلى الله من ذلك هروبك من النار، ولا تستغثن في شيء، واصرخ إلى الله، وعود نفسك فإن ربك يخلق ما يشاء ويختار، ولا يثبت هذا إلا لصديق أو ولي، فالصديق من له الحكم، والولي من لا حكم له. فالصديق يحكم بحكم الله، والولي يفنى عن كل شيء بالله، والعلماء يدبرون ويختارون وينظرون ويفتشون وهم مع عقولهم وأوصافهم دائمون.

والشهداء يكابدون ويجاهدون ويقاتلون ويحيون ويموتون وقد ثبت لهم الرد معنى ولم يثبت لهم حسا وجسما .

وأما الصالحون فأجسادهم مقدسة وفى أسرارهم الـكزازة والمنازعة ، ولا يصلح شرح أحوالهم إلا لصديق فى ابتداء أمره أو ولى فى نهايته ، فحسبك ما ظهر من صلاحه واكتفائه عن شرح ما بطن من حاله .

وإذا أردت أمراً تفعله أمراً تتركه فاهرب إلى الله كما قلت لك ، واصرخ بالله وعود نفسك ذلك ، وقل : يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن أسألك بحق أسمائى بأسمائك ، وصفاتى بصفاتك ، وتدبيرى بتدبيرك ، واختيارى باختيارك وكن لى بما كنت به لأوليائك ، وأدخلنى فى الأمور مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق ، واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً .

واحذر من سوء الظن بالله ، وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين .

وقال رضى الله عنه : اقرع باب الذكر باللجوء إلى الله والافتقار إليه بملازمة الصمت عن الأمثال ، ومراعاة السر عن محادثة النفس فى جميع الأنفاس إن أردت الغنى .

وقال رضى الله عنه : اللهم وسع أرزاقنا ، وكثر أضيافنا ، واجعلنا من المنفقين فى سبيل مرضاتك قصداً بلا إسراف ولا تقتير ، ووفقنا لذلك واهدنا بهدايتك ، وأخلصنا بإخلاصك عن إخلاصنا ، وقنا من الشح والبخل والمن ومن التهمة فى الرزق ومن الشك وسوء الظن ، ومن الاعتماد على الغير ، ومن التعرض فى القول والعمل ومن دعوى التوكل عليك وتفويض الأمر إليك مع خلو الباطن عن مشاهدة قدرتك ومطالعة إرادتك ، وملازمة النظر إلى علمك .

وأقبح الناس من يحتال على الخلق فى طلب الرزق بطاعة الله ، وبتلاوة كتاب الله ، وأقبح منه من يحتال على الله بقطع العلائق والتعلق بالسلائق بالدعاء

والتضرع وسائر العمل وقد جف القلم بما هو كائن والرزق مقسوم ليس تقوى تقى تزيده ولا فجور فاجر ينقصه .

فأخلصنا بتوحيدك وفى العمل بطاعتك والدعاء والتضرع واللجوء إليك بمحض العبودية الخالصة لوجهك ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وقال رضى الله عنه : من اتقى الشرك فى التوحيد والمحبة فى أول خطواته عزم الله له بالمدد العزيز فى أواخر ما مر به ثم لا يحجب عن الله، ولا يدخل عليه الخلل فى عزائمه ، ومن أبطأ به الأمر فى أنفس الخطرات وأخذ منه الميل إلى أشخاص الشهوات فطاعة المدد إلى أوقات الفترات .

هذا بيان من الله لأهل التيقظ من الغفلات ، قال الله تعالى : « ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها » فاتق الله في الشرك والتوحيد ولا تفرق عنه بنقص ولا مزيد ، وإياك والشرك والمحبة بالميل إلى الشهوات ، أى شهوة كانت ، ومن كان عبد الله خائف وجلا مشفقاً من الله فى نمائه كان فى أمن من الله فيما يرد عليه من عظيم بلائه ، ودليله : من كان له فى الرخاء كان له فى الشدة ، الحديث .

وقال رضي الله عنه : المعرفة والمحبة والمواجيد الحقيقية أذهبت عنك الأعراض وعلل الأمراض .

وقال رضى الله عنه : أربعة أشياء كن بها وادخل متى شئت : لا تتخذ من الكافرين ولياً، ولا من المؤمنين عدواً ، وارتحل بقلبك عن الدنيا ، وعد نفسك من الموتى ، واشهد له بالوحدانية ، وللرسول بالرسالة ، وحسبك عملا ، وقل : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله بالقدر كله وبكلماته المقترنة من كلمات ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وتقول كما قالوا : غفرانك ربنا وإليك المصير .

من كان بهذه الأربعة ضمن الله له أربعة في الدنيا وأربعة في الآخرة : الصدق في القول ، والإخلاص في العمل ، والرزق كالمطر ، والوقاية من الشر . هذه في الدنيا ، وفي الآخرة المغفرة العظمى ، والقربة الزلفى ، ودخول جنة المأوى ، واللحوق بالدرجة العليا . وأربعة في الدخول على الله : المجالسة معه ، والسلام من الله ، ورضوان من الله أكبر .

فإن أردت الصدق في القول ، فاستعن على نفسك بقراءة إنا أنزلناه .

وإن أردت الإخلاص ، فاستعن على نفسك بقراءة قل هو الله أحد .

وإن أردت الرزق ، فاستعن على نفسك بقراءة قل أعوذ برب الفلق .

وإن أردت السلامة من الشر ، فاستعن على نفسك بقراءة قل أعوذ برب الناس .

وقال رضي الله عنه : إذا سألت فاسأل الله ، فإن أعطاك فاشكر ، وإن منعك فارض عنه ، وإياك وكزازة النفس وسوء الظن وغلبة الشهوة ، فتحرم المعرفة والرضا والمغفرة وتحجب عن الله وتطرد من المحل الأعلى إلى أسفل من ذلك ولست تدري أن يرميك إلى حدود أسفل السافلين .

وقال رضي الله عنه : إذا أردت أن تسأل حاجة من الناس فارفعها إلى الله قبل أن ترفعها إليهم ، فإن قضاها لك منهم فاشكره واشكرهم وإن لم يقضها لك فارض عن الله ، ولا تنسب شيئاً إليهم ، ولا تذم أحداً إلا بما ذمه الله ، ولا تمدح أحداً إلا بما مدحه الله ، وإلا فأمسك فهو أسلم لك ، وأهدأ للرضا من الله عنك ، واعبد الله باليقين ترفع إلى الدرجات العلا وإن قل عملك .

وقال رضي الله عنه : رأيت كأني في الملكوت الأعلى تحت العرش في أرض وفيها خلق كثير ، فأرسل كلب على صيد هنالك فأخذ الصيد وتقدم رجل وأخذ الصيد من الكلب وقال : أجمع علماء الأمة كافة على إباحته وعلى أنه حلال ، وإنما ذلك بسبب إمساكه على سيده .

ثم نمت فرأيت كأنا اجتمعنا فى موضع آخر ، ورأيت كأنى خصصت بالدخول على الملك الحق وكأنى بين يديه بلا مكان ، فقلت : يا رب ، هذا الرجل - أعنى برجل ينتمى إليه - لا يأتينى بشىء أراه إلا وجدت فيه تلبيساً وتعقيداً ، فإذا النداء على : هذا عبد يطلب النفقة من الله فى الفطنة ، ويعترف إليه بالكياسة ولم يعلم أن ذلك ضرب من الرياسة .

وآخر ما يخرج من رءوس الصديقين أربعة أوجه من العلم : العلم والعمل والفقر والتبرى من الحول والقوة .

واعلموا أن العلم أفضل الدرجات وأن الجهل أقبح الصفات فعلموا وعملوا بما يعلمون ، بل علموا أن ذلك لا يتم إلا بالفقر إلى الله تعالى فى كل شىء ، فعلموا ثم عملوا ، ولو فقهوا لعلموا بما يعلم الله منهم ، فالكلب أفقه منهم ، لأنه نهض لمراد سيده لا لمراده . فأجمعت الأئمة أن صيده حلال فاحظوا بذلك ، طريق الفضل إلى الله تعالى .

فقال قائل : انظر وجودك ، أكنت لنفسك بشىء بل الله كان لك بفضله ، فلما عرفت فضل الله عليك فى حركة شىء من علمك وكسبك فترقها فى فضل الله عليك قبل أن تفرقك .

قال رضى الله عنه : لقيت جماعة من الفقهاء من أصحاب ابن البراء فسلمت عليهم فأعرضوا عنى فعز ذلك على ، فسمعت النداء : يا على لقد أكبرت من شأنك وأعظمت من قدرك إذ أحسست بإعراضهم عنك ، فمن هم إذ أقبلوا فكيف إذا أدبروا ، ولو كنت موفقاً لاشتغلت بإقبالك على الله ، عن إعراضهم عنك ، ولو كنت مسدداً لاشتغلت بإقبال الله عليك عن إقبالك أنت عليهم[1] .

وقال رضى الله عنه : قيل لى : ادع على ابن البراء . فقلت : يا رب أدعو له

---

(١) فى طس وطت : عن إقبالك أنت عليه .

بالصلاح والتوبة ؟ فقيل لى ثانية: ادع عليه . فقلت: يا رب علمنى كيف أقول؟ فقيل لى : قل اللهم اقطع البركة من علمه وعمره ، واقطع دابره بسوء العاقبة له. واجعله من نكالا المتقين .

وقال رضى الله عنه: خطر ببالى يوماً أنى لست بشىء ، ولا عندى من المقامات والأحوال شىء ، فغمست فى بيت مسك فكنت فيه غريقاً ، فدوام غرقى فيه لم أجد له تلك الرائحة . فقيل لى : علامة المزيد فقدان المزيد ، لعظم المزيد .

وقال رضى الله عنه : قيل لى : إن أردت رضائى فمن اسمى ومنى لا من اسمك ومنك . قلت : وكيف ذلك ؟ قيل : سبقت أسمائى عطائى[1] ، وعطائى من صفاتى ، وصفاتى قائمة بذاتى ولا تمحق ذاتى . وللعبد أسماء دنية وأسماء علية ، فأسماؤه العلية قد وصفه الله بها بقوله: « التائبون العابدون الحامدون »... إلى آخرها ، وبقوله : « إن المسلمين والمسلمات » . . . إلى آخرها .

وأسماؤه الدنية معرفة كالعاصى والمذنب والفاسق والظالم وغير ذلك .

فكما تمحق أسماءك الدنية بأسمائك العلية ، كذلك تمحق أسماءك بأسمائه وصفاتك بصفاته ، لأن الحادث إذا اقترن بالقديم فلا بقاء له إذا ناديته باسمه ، كقولك : يا غفور يا تواب يا قريب يا وهاب ، فاستدعيت بها العطاء لنفسك وقد تنزلت لنفسك من أسمائه .

وكذلك إذا لاحظت أسماءك الدنية من المعاصى والفسق ، فاشتغلت بسترها ومغفرتها فأنت باق مع نفسك ، وإذا ناديته باسمه العلى ولاحظت صفته العلية قائمة بذاته محقت أسماءك كلها وانعدم وجودك ، فصرت محواً لا وجود لك ألبتة ، فذلك محل الفناء والبقاء بعد الفناء ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

---

(١) فى ط ت وط س : قال فى الفقرة كلها .

فصل
فى العموم والخصوص

قال رضى الله عنه : اعلم أن العلوم التى وقع الثناء على أربابها هى ظاهرة فى علم ذوى التحقيق ، وهم الذين غرقوا فى بحر تيار الذات ، وعموم الصفات ، فكانوا هنالك بلادهم ، وهم الخاصة العليا الذين ورثوا الأنبياء والرسل فى أسرارهم ، وإن جلت مراتب الأنبياء والرسل فلهم منها نصيب . إذ ما من نبى ولا رسول إلا وله من هذه الأمة وارث . فكل وارث على قدر إرثه من مورثه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء » . ولا يكون وارثاً إلا وله نصيب معلوم من مورثه يقوم مقامه على سبيل التحقيق بالمقام والحال فإن مقامات الأنبياء قد جلت أن يلمح حقائقها غيرهم .

وكل وارث فى المنزلة بقدر موروثه . إذ يقول جل وعلا : « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض » فكما فضل الله بعضهم على بعض ، فكذلك فضل بعض الأولياء على بعض ، إذ الأنبياء أعين الخلق ، وكل عين مستمد منها على قدرها ، وكل ولى له مادة مخصوصة . فانقسم الأولياء على حزبين حزب منهم أبدال الرسل ، وحزب منهم أبدال الأنبياء ، فأبدال الأنبياء الصالحون . وأبدال الرسل الصديقون ، فبين الصالحين والصديقين كما بين الأنبياء والرسل ، فهم ومنهم .

غير أن منهم طائفة انفردوا بالمادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدونها بعين اليقين ، لكنهم قليلون : وهم فى التحقيق كثيرون ، وكل نبى وولى له مادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن الأولياء من يشهد عينها ، ومنهم من تخفى عليه عينه ومادته ، فيبقى فيما يرد عليه ، ولا يشتغل بطالب

مادة ؛ فهو مستغرق بحاله لا يرى غير وقته ، ومنهم الذين مدوا بالنور الإلهي فنظروا به حتى عرفوا مدة التحقيق ، وذلك كرامة لهم لا ينكرها إلا من أنكر كرامات الأولياء ، فنعوذ بالله من النكران بعد العرفان .

وهم الذين أخذوا طريقا لم يأخذها غيرهم ، إذ الطريق طريقان . طريق خاصة ، وطريق عامة . وأعنى بالخاصة المحبين الذين هم أبدال الرسل ، وأعنى بالعامة المريدين الذين هم أبدال الأنبياء على جميعهم السلام .

فأما طريق الخاصة فهو طريق علوى تضمحل العقول فى أقل القليل من شرحها . ولكن عليك بمعرفة طريق العامة ، وهى طريق الترقى من منزل إلى منزل إلى أن تنتهى إلى منزل هو مقعد صدق عند مليك مقتدر .

فأول منزل يطؤه المحب للترقى منه إلى العلا هو النفس[1] . فيشتغل برياضتها وسياستها إلى أن ينتهى إلى معرفتها ، فإن عرفها وتحقق بها فهناك تشرق عليه أنوار المنزل الثانى[2] وهو القلب .

فيشتغل بسياسته ومعرفته . فإذا صح له ذلك ولم يبق منه شىء رقى إلى المنزل الثالث وهو الروح .

فيشتغل بسياستها ومعرفتها . فإذا تمت المعرفة بها هبت عليه أنوار اليقين شيئاً فشيئاً مما تقدم له من أمر المنازل الثلاثة .

فهناك يفهم ما شاء الله ، ثم يمده الله بنور العقل الأصلى فى أنوار اليقين ، فيشهده مشهوداً لا حول له ولا غاية بالإضافة إلى هذا العبد . وتضمحل جميع

---

(١) فى طت وطس : فهو النفس .

(٢) فى طت وطس : الأنوار المنزل الثانى ، ولعلها الأنوار من المنزل الثانى .

الكائنات فيه . فتارة يشهدها فيه كما يشهد الهباء[1] فى الهواء بواسطة نور الشمس ، فإذا انحرف نور الشمس عن الكوة لا يشهد للهباءة أثراً ؛ فالشمس التى يبصر بها[2] هو العقل الضرورى بعد المادة بنور اليقين .

فإذا اضمحل هذا النور وذهبت هذه الكائنات نودى عنه نداء خفياً لا صوت له ، فيمد بالفهم عنه ، إلا إن الذى يشهده غير الله ، وليس من الله فى شىء . فهناك ينتبه من سكرته فيقول : يا رب أغثنى فإنى جاهلك .

فيعلم يقيناً أن هذا البحر لا ينجيه منه إلا الله . فحينئذ يقال له : إن هذا للوجود هو العقل الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما خلق الله العقل » . وفى خبر آخر : « ثم قال له أقبل . . . الحديث » .

فأعطى هذا العبد الذل والانقياد لنور هذا الوجود إذ لا يقدر على أخذه . وغايته [أن] يعجز عن معرفته . فيقال له : هيهات، لا تعرفه بغيره . فأمده الله بنور الروح الربانى ، فعرف به هذا الموجود ، فرقى إلى ميدان الروح الربانى ، فذهب جميع ما تحلى به هذا العبد ، وتخلى عنه بالضرورة ، ويقول كل شىء موجود ثم أحياه الله بنور صفاته ، فأدركه بهذه الحياة فى معرفة هذا الموجود الربانى .

فلما استنشق من مبادىء صفاته كاد يقول : هو الله. فلحقته العناية الأزلية فنادته ألا إن هذا الوجود هو الذى لا يجوز لأحد أن يصفه ، ولا أن يعبر عن شىء من صفاته لغير أهله ، لكن بنور غيره يعبر به فأمده الله بنور سر الروح ، فإذا هو قاعد على ميدان السر .

---

(١) فى طت وطس : النيابة .
(٢) فى طت وطس : يبصرها .

فنظر فعرف من أوصاف الروح الربانى بنور السر . فرفع همته لمعرفة[1] هذا الموجود الذى هو السر ، فعمى عن إدراكه فتلاشت جميع أوصافه كأنه ليس بشىء .

ثم أمده الله بنور ذاته فأحياه حياة باقية لا غاية لها ، فنظر جميع المعلومات بنور هذه الحياة فصار أصل الموجودات ، نوره شائع فى كل شىء ، لا يعرف غيره ، فنودى من قريب : لا تغتر بالله فإن المحجوب من حجب عن الله بالله ، إذ محال أن يحجبه غيره ، فيحيى بحياة استودع الله فيها . فقال : أى رب بك منك إليك فأقل عثرتى ، فإنى أعوذ بك منك حتى لا أرى غيرك .

فهذا هو سبيل الترقى إلى حضرة الملأ الأعلا . وهو طريق المحبين أبدال الأنبياء . والذى يعطى أحدهم من بعد لا يقدر أحد أن يصف منه ذرة . والحمد لله على نعمائه الصلاة على سيدنا محمد خاتم أنبيائه وسلم تسليما .

أما الطريق المخصوص بالمحبوبين فهو منه إليه به . إلى محال أن يتوصل إليه بغيره .

فأول قدم لهم بلا قدم أن ألقى عليهم من نور ذاته ، فقيهم بين عباده ، وحبب إليهم الخلوات وصغر لديهم الأعمال الصالحات، وعظم عند رب الأرضين والسموات فبينما هم كذلك ، إذ ألبسهم ثوب العدم ، فنظروا فإذا هم لا هم ، ثم أردف عليهم ظلمة غيبتهم عن نظرهم ، بل صاروا عدما لا علة له ، فانطمست جميع العلل ، وزال كل حادث ، فلا حادث ولا وجود، بل ليس إلا العدم الذى لا علة له ، فلا معرفة تتعلق .

اضمحلت المعلومات وزالت الموسومات زوالا لا علة فيه ، وبقى[1] من أشهد

---

(١) فى طت وطس : لمعرف .

إليه لا وصف له ولا صفة ولا ذاته ، فهناك ظهر من لم يزل ظهوراً لا علة فيه ، بل ظهر لسره بذاته ظهوراً لا أولية له ، بل نظر من ذاته لذاته بذاته فى ذاته .

فيحيى هذا العبد بظهوره حياة لا علة لها ، فصار أولا فى الظهور لا ظاهر قبله . فوجدت الأشياء بأوصافه وظهرت بنوره فى نوره .

فأول ما ظهر سره ، فظهر به قلبه ، ثم ظهر أمره بسره ، فى سره ، وظهر بأمره الذوات فى قول القلم ، ثم ظهر عنه بأمره فى أمره ، وظهر به فى عرشه ، ثم فى نور لوحه ، ثم ظهر روحه بعقله فى عقله ، وظهر بروحه كرسيه فى نوره بنور عرشه .

ثم ظهر قلبه بروحه فى روحه . وظهر بقلبه حجبه فى نور كرسيه . ثم ظهرت نفسه بقلبه فى قلبه ، وظهر بنفسه فلك الخير والشر فى نور حجبه بنور حجبه ، ثم ظهر جسمه بنفسه فى نفسه ، وظهر بجسمه أجسام العالم الكثيف من أرض وسماء .

وعلى الجملة كل كثيف بنور الفلك . فإذا أول قدم هذا المحبوب الفرد طرح النفس عدما ، وهو طرح لا علة فيه ، وهو استقبال العدم بسقوط الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية ، فيكون استقبال صفة معدومة لمعدوم ، ومعنى الصفة المعدومة للمعدوم ، أى لما انتهى العبد بدليل العلة وهو شهود الحق بلا شهادة ، متعلقة غير منفصلة شهادة لا غفلة فيها قام عليها دليل لا علة فيه ولا له ، وهو شهود العدم المحض .

ومعنى قيام الدليل الذى لا علة فيه ضرورة عدم المخلوقات المشهودات دون ذلك ، فترادف عليه دليل العدم المحض وهو سكرة النسيان الدائر ، حتى حيى الحياة التى أشرنا إليها فيما تقدم من الكلام على هذا المقام .

فإذاً طريق هذا العبد طريق علوى ، فأول ما طرح فى بحر الذات فانعدم فأحيي حياة طيبة فنقل من غير تنقل إلى بحر الصفات ، ثم بحر القلب ، ثم بحر النفس ، ثم بحر الحس ، ثم لقيه بحر السر فطارحه فى بحر الغفلة ، ثم بحر الوحية ، ثم بحر العرشية ، ثم الكرسى ، ثم المحجوبية ، ثم بحر الفلكية ، فلقيه بحر السر المحيط ، فطرحه فى بحر الملكية الإبليسية ، ثم بحر الجنية ، ثم الإنسانية ، فلقيه هناك بحر السر ، فطرحه فى بحر الجنات ، ثم فى بحر النيران ، ثم طارحه فى بحر الإحاطة ، وهو بحر السر .

فغرق هناك غرقا لا خروج منه أبد الأبد ، فإن شاء جعله بدلا من النبي به عباده ، وإن شاء ستره بفعل فى ملكه ما يشاء .

وكل بحر من هذه قد انطوى على أبحر شتى ، لو دخل الصالح الذى هو بدل النبى فى أقل من هذه البحور لغرق فيه غرقا لا نجاة له منه ، فهذه عبرة فى بيان طريق العموم والخصوص ، والحمد لله كثيراً .

من معارفه رضى الله عنه

قال رضى الله عنه: لا تنشر علمك ليصدقك الناس، وانشر علمك ليصدقك الله ، وإن كانت لام العلة موجودة ، فعلة تكون بينك وبين الله من حيث أمرك خير لك من علة تكون بينك وبين الناس من حيث نهاك، ولعلة تردك إلى الله، خير من علة تقطعك عن الله ، فمن أجل ذلك علقك بالثواب والعقاب.

إذ لا يرجى ولا يخاف إلا من قبل الله تعالى، وكفى بالله صادقاً ومصدقاً، وكفى بالله عالماً ومعلماً ، وكفى بالله هادياً ونصيراً ووليا، أى هادياً يهدى بك ويهدى إليك ، ونصيراً ينصرك ، وينصر بك ، ولا ينصر عليك ، ووليا يوالیك ، ويوالى بك ، ولا يوالى عليك .

وقال رضى الله عنه: تأديباً وتعليماً من الله لمن له البصيرة فى دين الله يقولون: إنهما شيئان : شىء قسمته لك وشىء صرفته عنك ، فمن اشتغل بهما أو بواحد منهما ، فقد قل فقهه وعظم جهله وذهل عقله ، واتسعت غفلته وقل من ينتبه لمن يوقظه .

فإن جاءك محبوب بالشرع أو بالطبع أو بهما أو جئته أنت فهو من القسم الأول فكن بى ولى فيما قسمته لك، كذلك بالرحمة فيما صرفته عنك وفيما يساق من المكروه إليك، وإن الله لا يتعجب من عبد يجتهد فى صرف ما هو مصروف عنه ودفع ما لا بد له منه ، فاعمل باليقين واثبت حيث أثبتك، وائتمر بالأمر حيث أمرك ، وانته عن النهى حيث نهاك عن البصيرة فى اليقين ولا تكن من الغافلين .

وقال رضى الله عنه : من أحب الله وأحبه فقد ثبت ولايته ، والحب على

الحقيقة من لا سلطان له على قلبه لغير محبوبه ولا مشيئة له غير مشيئته ، فإذاً من ثبتت ولايته من الله له فلا يكره لقاء الله ، ويعلم ذلك من قوله تعالى : « إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » .

فإذاً الولى على الحقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه ، وقد أحب الله من لا محبوب له سواه ، وأحب له من لا يحب شيئاً لهواه ، وأحب لقاءه من ذاق أنس مولاه .

وتتمحض لك المحبة فى عشرة فاعتبرها، فما وراءها شيء : الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق والفاروق والصحابة والتابعين والأولياء والعلماء الهداة إلى الله والشهداء والصالحين والمؤمنين .

فإذا افتقر بعد الإيمان فلعشرة أشياء : السنة والبدعة، والهداية والضلالة، والطاعة والمعصية ، والعدل والجور ، والحق والباطل ، فإذا أحببت أو أبغضت فأحبب له وأبغض ، ولست تبالى بأيهما كنت ، وقد يجتمع لك الوصفان فى شخص واحد ، ويجب عليك القيام بحقهما جميعاً .

فإذا جاز لك الحب لله فالعشرة الأولى فانظر هل ترى للهوى هناك أثراً ، فكذلك اعتبر حبه من حظ إخوانك الصالحين والمشايخ الصديقين ، والعلماء المهتدين وسائر من حضر .

فمن غاب عنك أو مات فإن وجدت قلبك لا متعلق له بمن حضر كمن لا متعلق له بمن غاب أو مات فقد خلص الحب من الهوى ، وثبت الحب لله ، وإن وجدت شيئاً يتعلق به فيمن تحب أو فيما تحب، فارجع إلى العلم وأتقن الأمر فى الأقسام الخمسة من الواجب والمندوب والمكروه والمحظور والمباح .

وقال رضى الله عنه : هممت بلقاء ملك من الملوك ، فعارضنى ذنبى ، فكلما استغفرت وتبت ضعفت . فقيل لى : قل اللهم إنى أسألك الصلابة فى الدين والعمل باليقين وأعوذ بك من لقاء ذنبى فإن ذلك مما يضعف قلبى . وأشهدنى إياك بالإشهاد فهو أقوى لدرى ولبى . اللهم استرنى بمغفرتك وارحمنى برحمتك وقدرنى بقدرتك وامددنى بمشيئتك وعلمنى علماً يوافق علمك ، وهب لى حكما يصادف حكمك وأوجد لى لسان الصدق فى عبادك ، وكن لى سمعاً وبصراً ولساناً وقلباً وعقلا ويداً ومؤيداً ، واعصمنى من الخطايا والزيغ والطغيان والكذب فى الأقوال والأفعال والعقود والأحوال والظنون والأوهام والبصائر والأبصار ، والخواطر والأفكار فى خفى الهواجس والوساوس والهم والفكر والقدر والإرادات والحركات والسكنات وفيما علمت يا عالم الخفيات أنت ربى وعلمك حسبى لا أسأل ، لا أفضل إن ربى غنى كريم .

وإنما هى عبودية تجرى على ما تشاء من الدعاء والسؤال والتفضيل والأحوال والأقوال والأفعال والعقود وغير ذلك مما تكسبه وتعطيه بلا كسب ولا سؤال إن ربى بكل شىء عليم .

وقال رضى الله عنه : رأيت رجلا يستوصينى فقلت له : لا تتخذ المعصية وطناً ولا الدنيا بالحب لها وثناً ، واهجر النفس والهوى ، وانتصر بالله فنعم المولى ، وعليك بالتحقيق فى الإيمان وبالشهود فى الإحسان والزم ذلك علما تجد المزيد حكماً واستنظر المزيد من الله لا ترج شيئاً سوى الله ، أإله مع الله تعالى الله عما يشركون .

وقال رضى الله عنه : كنت ذات ليلة متفكراً بالفكرة الموعظة الذاهبة عن العلمية فأفادنى الله علما جليلا وسمعت فى الغيوب شيئاً جميلا فقلت فى نفسى :

أليس هذا خيراً من الدخول فى الحوائج للخلق والسكون مع الله أتم من السكون فى الحاجات للناس ، وإن كان مأذون فيها شرعا . فبينما أنا كذلك إذ نمت فرأيت كأن السيل قد أحاط بى من كل جهة يحمل الغثاء عن يمينى وعن شمالى، فجعلت أخوض لأخرج منه ، فلم أر براً أنفذ إليه من الجهات الأربع ، فاستسلمت نفسى ووقفت فى السيل كالسارية أو النخلة الثابتة .

فقلت فى نفسى : هذا من فضل الله أن ثبت لهذا السيل ولا يصيبنى شىء من الغثاء ، وإذا بشخص جميل الصورة يقول لى : من أجل القصوف التعرض فى الحوائج للخلق واستقضاؤها من الملك الحق ، فما قضاه الله شكرت ، وما لم يقضه رضيت . وليس قضاؤها الموجب للشكر بأتم من عدم قضائها الموجب الرضا .

وقد علمنى الله علما قائما بذات نفسى لا يفارقها ، بل هو لازم كالبياض فى الأبيض ، والسواد فى الأسود . وهو : الله لا إله إلا هو الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار . فانظر الألوهية الفردانية والوحدانية والقاهرية والربوبية والعز والمغفرة ، وكيف الف هذا كله فى كلمة واحدة . إن المغفرة انتزل على العارف بالله كالسيل الحامل من الغثاء ، ويثبت الله فيها وبها من يشاء ولا يصيبه شىء من الغثاء .

فانتبهت من نومى وقد وعيت السر العظيم والحمد لله .

وقال رضى الله عنه : هل تدرى ما علاج من انقطع عن المعاملات ولم يتحقق بحقائق المشاهدات . علاجه فى أربعة : طرح النفس على الله طرحا لا يصحبه الحول والقوة . والتسليم لأمر الله تسليما لا يصحبه الاختيار مع الله . هذان علاجان باطنان . وفى الظاهر زم الجوارح عن المخالفات . والقيام بحقوق الواجبات .

ثم تعتمد على بساط الذكر بالإنقطاع إلى الله عن كل شيء سواه بقوله :
« واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا » .

وقال رضى الله عنه : لا يستخار إلا أمين وكم من عبد أمين فى الأموال
غير أمين على الفروج ، ورب عبد يكون أميناً فى الأموال أميناً فى الفروج
غير أمين على الدين . والأمين على الدين هو الآخذ عن الله ببصيرة اليقين
والإشراف كلها وعواقب الأمور فى الدنيا والآخرة .

وقال رضى الله عنه : ما فتح الله بشيء من الدنيا ففرحت لأستعين
أو أعين بها ، فجعلت أحمد الله وأشكره ، والشكر معرفة قائمة بالقلب ، وكلمة
قائمة باللسان ، فكنت أجمع بينهما ، فواظبت على ذلك وقتاً من الليل ، فنمت
فرأيت أستاذى رحمه الله تعالى يقول : استعذ بالله من شر الدنيا إذا أقبلت
ومن شرها إذا أدبرت ، ومن شرها إذا أنفقت ، ومن شرها إذا أمسكت .
فجعلت أقول كذلك . فوصل الشيخ كلامى فقال : ومن المصائب والرزايا
والأمراض البدنية والقلبية والنفسية جملة وتفصيلا بالكلية ، وإن قدرت شيئاً
فاكسنى جلال الرضا والمحبة والتسليم ، وثواب المغفرة والتوبة والإنابة المرضية .

وقال رضى الله عنه : رأيت فى النوم طائفة من الغزلان يصطادها ناس ،
فلم أرى أقبح منهم صورة ، فتمكنها الصبيان وجعلوا يلعبون بها ، فاستيقظت
وتعجبت منها ثم نمت فرأيت رجلا جميل الصورة يقول لى : أجرى الحيوانات
وأمنعها الغزلان ، ولقد رأيتها تصطاد فيلعب بها الصبيان ، فكذلك أسبق
الرجال جريا أهل العلم والعرفان ، ولقد رأيت النساء والدنيا تأخذ بعقولهم فيلعب
بهم الشيطان . فاحذروا النساء والدنيا ، والتزم الصدق والتقوى ، واهجر
مواطن السوء تحظ بالدرجات العلا .

وقال رضى الله عنه : ليس شىء أشد وأشق فى العمل والطاعة والتلاوة من ذكر ضبط النفس وحضور القلب ، وفهم المعانى وإعطاء الحروف حقها ، مع إرادة وجه الله تعالى ، وهو موضع الإخلاص والعزيمة على العمل بما فيه ، وهو موضع الصدق ونهوض السر عن الدنيا ، وعن كل شىء سوى الله ، وهو موضع الخفية .

وقال رضى الله عنه : أربع ليس فى التحقيق من كان بهن : الهرب والطلب والدفع والجلب .

وقال رضى الله عنه : رأيت شخصاً يقول لى : يا بشراك أربع : قد غفرن الذنب ، أو سقطن العيب واتضح الغيب وارتفع الريب . فلا امتراء ولا إشكال . واحكم بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما .

وقال رضى الله عنه : من أراد أن يسلم من أهل الدنيا والآخرة فليقرأ إذا الشمس كورت إلى آخرها .

وقال رضى الله عنه : اللهم إنى أسألك الطاعة والحب لها وكراهة المعصية والبغض لها ، والزهد فى الدنيا والحفظ بأمانة الشرع ، والرضا بما قسمت منها ، وهيئنا للشكر مع الوجد ، والرضا مع الفقد ، والبذل مع الفضل ، واجعل ثواب ما يذهب عنا أحب من منفعة ما بقى لنا ، وهب لنا إخلاصاً ذاتياً وعملا صافياً ونوراً هادياً فإنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم .

وقال رضى الله عنه : من قرأ إنا أنزلناه فى ليلة القدر كفى هم الباطن .

وقال رضى الله عنه : اللهم إنى أسألك انتباها ونظراً بك ، ومعرفة لك وتوكلا عليك ورضاء بك وبرسولك ، وبما جاء من عندك ، وأسألك وصلة به وتحقيقاً بنوره ونظراً بنظره ، وإشرافا على علمه إنك على كل شىء قدير .

وقال رضى الله عنه : رأيت ما الناس فيه من الضنك والضيق فخطر ببالى أن أدعو الله لهم . فأخذتنى سنة من النوم فسمعت قائلا يقول لى : دع تدبيرك إلى تدبير الله ، وارض بالله كفيلا . فإن الناس قد ملوا النعم وأمنوا النقم ، ونزعت منهم الرحمة والله يفعل ما يريد فرجعت عن الدعاء .

وقال رضى الله عنه : استوصيت أستاذى رضى الله عنه لما أردت الانفصال عنه فقلت له : يا سيدى أوصنى فقال لى : يا على ، الله الله ، والناس الناس ، نزه لسانك عن ذكرهم ، وقلبك عن التماثيل من قبلهم ، وعليك بحفظ الجوارح وأداء الفرائض ، وقد تمت ولاية الله عندك ، ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك ، وقد تم ورعك . وقل : اللهم أرحنى من ذكرهم ، ومن العوارض من قبلهم ونجنى من شرهم ، وأغننى بخيرك عن خيرهم ، وتولنى بالخصوصية من بينهم ، إنك على كل شىء قدير .

وقال رضى الله عنه فى صفات المخلصين : قال : رجال جبلهم عن حصن عبوديته ، وأخلصهم لإخلاص توحيد ربوبيته واتباع شريعته ، فيما متع به أسرارهم من أنوار حضرته ، وأمد أرواحهم بمعانى المعارف وخصائص عنايته ، وأجال عقولهم فى آلاء عظمته ، وزكى نفوسهم فأحرزها وأخرجها من ظلمة الجهل ، وهداهم بنجوم العلم وشمس معرفته ، وأيد عقائدهم ببرهان كتابه وسنته ، ومحا عزائمهم بتحقيق غلبة مشيئته ، وطوى إراداتهم بيقين وقفها على إرادته ، وزينهم بزينة الزهد ، وحلية التوكل ، وشرف الورع ، ونور العلم ، وضياء المعرفة ، وألهمهم لفضله وطوله ، وتولاهم فأغناهم به عن غيره ، وجعل منهم مفاتيح لقلوب الورى ، وينابيع الحكمة الكبرى ، يتلقونها شرعا ، ويلقونها لأهلها سرا وجهرا ، ومنهم من سترته الأقدار ، وحجبته عن الأغيار لينفرد بالتمكين فى حقيقة الأسرار ، تعرف كلا بسيام باطنهم مع الحق ،

وظاهرهم مع الخلق ، فهم هم ولا هم ، هم فى الوجود بوصف الفناء ظاهرين ، صفوا وافترقوا فى سيرهم سلفا ، ظاهرهم الفقر ، وباطنهم الغنى ، يتخلقون بأخلاق نبيهم صلى الله عليه وسلم كما قال العلى الأعلا : ووجدك عائلا فأغنى .

أفتراه أغناهم بالمال ؟ كلا . وقد شد الحجر على فؤاده وأطعم الجيش من صاع ، وخرج من مكة على قدميه صلى الله عليه وسلم وركب فوق البراق ، وعرج به إلى السماء العلا ، إلى سدرة المنتهى ، ورأى ما رأى ، ما كذب الفؤاد ما رأى .

فانظر إلى حال الفتى فى الوصفين ، واشهد شرف أوصافه فى الحالين ، فإن قلت بشر . قلت : نعم . لا كالبشر كما تقول في الياقوت : حجر لا كالحجر . وفي العباد نبي ورسول يدعو بالحق إلى الحق ، فأعطى الأولياء منه ميراثاً من النبيين بين الخلق إذ هم قوم أخذوا فى التأسى ، بجد وإتيان ، واعتقدوا قول كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ما عليه كائن ، وأقاموا فى مقام التوحيد على قدم التجريد من حظوظ النفس وملاحظة الحظوظ ، واقتداء بالسلف رضى الله عنهم .

هذا قصد القوم وأصل الإخلاص فيما لو نظرت إلى حقيقة ذلهم وافتقادهم الذى هو عين الغنى والعز بمولاهم ، اشتد تحقق حالهم إلا على ولى فى نهاية حاله أو صديق فى بدايته ، لأن غايات الأولياء بدايات الصديقين ، تخذ القمر جهراً إليك واحبس عليه بكلتا يديك ، ولا تكترث بحسادك ، فقد قال لنبيه عليه السلام : قل أعوذ برب الفلق حتى قال له : ومن شر حاسد إذا حسد . ولا تسألنى أن أقطعه عليك ، فكأنه جل وعز يقول له : سلنى أن أكفيك شر حسادك ، ولا تسألنى أن أقطعهم عنك . فإن الحساد مع النعم ، ولا بد من نعمة عليك .

فتأس يا مسكين إن أردت الشفاء ، فاعله أن يقع بكشف خطاب ولا تطمع أن يقع مع الحجاب .

ومن وصاياه رضى الله عنه : يا بنى الزم بابا واحدا لا التخضع لك الرقاب قال الله عز وجل : « وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب » ولا تغفل عن الله ولا تأمن مكر الله ، ولا تلاحظ غير الله تحظ بعلوم ومواهب وفهوم وتنل من الله أجراً غير ممنون .

وقال رضى الله عنه : الناظر فى قولى معتقداً ومنتقداً ، وكل منهما على قسمين : فمعتقد يتلفظ به ولا يعقل معناه ، ومعتقد يعقل معناه ولفظه ، ومنتقد يتحرف لفظه ومعناه خسر دنياه وأخراه . ومنتقد يتحرر لفظه ، ومعناه طوبى له ثم طوبى .

الفصل الخامس

فى وفاته

وما جرى له فى ذلك من خرق العادات
واستخلافه لسيدى أبى العباس المرسى

وأذكر عدة كرامات مما نقلته عن الثقات فى الديار المصرية، نفع الله بهما .

حدثنى من أثق به أنه قال : لما دخلت الديار المصرية ، وسكنت بها قلت: يا رب أسكنتنى بلاد القبط أدفن بينهم حتى يختلط لحمى بلحمهم ، وعظمى بعظمهم . فقيل لى : يا على ، بل تدفن فى أرض لم يعص الله عليها قط .

وحدثنى سيدى ماضى بن سلطان رحمه الله : لما توجه رحمة الله فى سفرته التى توفى فيها قال : وكنت تزوجت امرأة من أهل الإسكندرية ، وكانت حاملا ، فجعلت تبكى وتقول لى : تتركنى على ولادة وتسافر عنى .

قال : فأخبرت بذلك الشيخ فقال : ادعها إلى ، فأتيت بها إليه . فلما دخلت بها عليه قال لها : يا أم عبد الدائم، اتركى لى ماضى يسافر معى ، وأرجو لك من الله خيراً . فقالت له . يا سيدى ، السمع والطاعة . فدعا لها وانصرفت ، فولدت ونحن مسافرون مولوداً ذكراً فسمته عبد الدائم .

قال : فلما تجهز للسفر قال : احملوا معكم فأساً ومسحاة فإن توفى أحد منا واريناه الثرى . قال : ولم يكن له بذلك عادة متقدمة فى جميع ما سافرت معه ، فكان ذلك إشارة لوفاته .

وحدثنى ولده الشيخ الصالح شرف الدين بمدينة دمنهور فى عام خمسة عشر وسبعمائة قال : كان عندنا شاب يقرأ معنا القرآن تربى معنا يتيما لا أب له ، وأمه عندنا فى الدار ، فلما أراد الشيخ السفر أمرنا أن نتحرك معه بجميع الأهل والأولاد ، فتشوف الشاب للسفر معنا ، فقال الشيخ : احملوه معكم ، فجاءت أمه إلى الشيخ فقالت له : يا سيدى لعل يكون نظركم عليه . فقال لها : يكون نظرنا عليه إن شاء الله إلى حميثرة .

قال : وسافرنا فلما دخلنا البرية مرض الشيخ والشاب ، فمات الشاب قبل أن يصل إلى حميثرة بمرحلة ، فأردنا دفنه فقال : احملوه إلى حميثرة .

فلما نزلنا وغسلناه وصلى عليه الشيخ ودفناه بها كان أول من دفن بها . وتوفى الشيخ فى تلك الليلة .

قال : جمع أصحابه فى تلك العشية وأوصاهم بأشياء ، وأوصاهم بحزب البحر وقال لهم : احفظوه لأولادكم فإن فيه اسم الله الأعظم .

وخلا بسيدى أبى العباس المرسى وحده ، وأوصاه بأشياء واختصه بما خصه الله به من البركات وقال لهم : إذا أنا مت فعليكم بأبى العباس المرسى فإنه الخليفة من بعدى ، وسيكون له بينكم مقام عظيم ، وهو باب من أبواب الله سبحانه وتعالى .

قال : فلما كان بين العشاءين فقال : يا محمد . املأ لى إناء بالماء من هذه البئر . فقلت له : يا سيدى ، ماؤها مالح زعاق ، والماء عندنا عذب . فقال لى : ائتنى منها فإن مرادى غير ما أنت تظن . قال : فأتيته بإناء مملوء بالماء ، فشرب منه ، ومضمض فاه ومجه فى الإناء ، ثم قال لى : رده إليها ، فرددته إليها ، فحلا ماء البئر وعذب ، وكثر بإذن الله تعالى .

قال : وبات تلك الليلة متوجهاً إلى الله سبحانه ذاكراً إسمه يقول : إلهى إلهى ، فلما كان السحر سكن ، فظننا أنه نام ، فحركناه ، فوجدناه ميتاً رحمه الله تعالى .

واستدعينا سيدى أبا العباس المرسى فغسله ، وصلينا عليه ، ودفناه بحميثرة ، وهذا الموضع ببرية عيذاب فى واد على طريق الصعيد ، وقد شربت من مائها ، وزرت ضريحه ، ورأيت له بركات نفع الله به فى الدنيا والآخرة .

قال : ولما دفناه اختلف أصحابه فى الرجوع أو التوجه ، فقال لهم سيدى أبو العباس : الشيخ أمرنى بالحج ، ووعدنى بكرامات ، وتوجهنا ورأينا تهويناً وبركات ، ورجعنا صحبته ، وظهر من بعده له ظهور عظيم ، وظهرت له كرامات كثيرة أذكر منها ما سمعته من الثقات ، إن شاء الله تعالى .

وقال رضى الله عنه : لما مرضت قلت : إلهى متى يكون اللقاء ؟ فقيل لى : يا على إذا وصلت إلى حميثرة فحينئذ يكون اللقاء . وقد رأيت كأنى أدفن إلى ذيل جبل بإزائه بئر قليلة الماء مالحة يكثر ماؤها ويعذب .

وحدثنى الشيخ الصالح الفاضل ، الخطيب المفتى ، قاضى الجماعة بتونس أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرفيع رحمه الله تعالى قال : لما توجه الشيخ أبو الحسن للحج فى سفرته التى توفى فيها قال لأصحابه : فى هذا العام أحج حجة النيابة ، فمات قبل أن يحج .

فلما رجع أصحابه إلى الديار المصرية سألوا المفتى عز الدين بن عبد السلام وأخبروه بمقالة فبكى ثم قال لهم : الشيخ والله أخبركم أنه يموت وما عندكم به علم ، قد أخبركم أن الملك هو الذى يحج نيابة عنه ، لأنه جاء فى الحديث عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من خرج من بيته قاصداً للحج ومات قبل أن يحج فإن الله عز وجل يوكل ملكا ينوب عنه بالحج في كل عام إلى يوم القيامة».

وحدثني الفقيه القاضي الأعدل الأكمل الأفضل عماد الدين قاضي القضاة بالإسكندرية في عام خمسة عشر وسبعمائة قال: توفيت امرأة بالإسكندرية، وكانت مسرفة على نفسها، فرأيت في حالة حسنة، فقيل لها: ما فعل الله بك؟ قالت: مات اليوم الشيخ أبو الحسن الشاذلي، ودفن بحميثرة فغفر لكل من دفن اليوم من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فغفر لي من أجله تعظيماً وإكراماً به.

فلما قدم الحجاج أخبروا بوفاته، فوجدنا التاريخ صحيحا.

وتوفي رحمه الله في سنة ست وخمسين وستمائة وهو ابن ثلاث وستين سنة أو نحوها، رحمة الله ورضي عنه.

وسمعت سيدي ماضي رحمه الله يقول في صفته: إنه كان آدم اللون نحيف الجسم، طويل القامة، خفيف العارضين، طويل أصابع اليدين كأنه حجازي، فصيح اللسان، عذب الكلام. وكان يقول إذا تكلم واستغرق في الكلام: ألا رجل من الأخيار يعقل عنا هذه الأسرار. هلموا إلى رجل صيره الله بحر الأنوار.

تم والحمد لله

لهذا الكتاب

من أهم المصادر التى تحدثت عن سيدى
على أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه
بل يعتبر المرجع الوحيد الذى أخذ
منه كل من تحدث عن الإمام
الشاذلى لأن مادة الكتاب جمعت
فى عهد سيدى أبو الحسن فهو ترجمة
حقيقية كاملة لكل من أراد البحث فى
حياة الإمام أبو الحسن رضى الله عنه
اللهم تقبل منا هذا العمل واجعلنا أهلا
للحديث عن أوليائك وأمدنا بمددهم وأسلكنا
فى سلكهم واحشرنا تحت لواء جدهم. صلى الله
عليه وآله وسلم.

الفقير
ابراهيم بن خلف بن محمد الرفاعى
الصادق الحسانى
دار آل الرفاعى بجازة قبلى / قوص

Bibliotheca Alexandrina
0686854
61
4